سلسلة
عندما نطق السُّراة

مَسْخُ الصُّورَة

سرقةُ وتحريفُ تراثِ الأُمّة

قسم الدراسات والبحوث

جمعيّة التجديد الثقافية الاجتماعية





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مسخُ الصورة

سرقةُ وتحريفُ تراثِ الأمَّة



الكتاب: مسخ الصورة .. سرقة وتحريف تراث الأمة

سلسلة: عندما نطق السراة

تأليف: قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية
Tel: (+973) 17273787
Fax: (+973) 17274787
P.O.BOX 10493
Manama-Kingdom of Bahrain
www.tajdeed.org
E-mail: tajdeed@tajdeed.org

دار كيوان

للطباعة والنشر والتوزيع

الحلبوني – دمشق – سورية – تلفاكس: ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢١٧٢٤٠
E- Mail: Kiwanhouse@mail.sy

سلسلة عندما نطق السراة

مسخُ الصُّورة

سرقةُ وتحريفُ تراثِ الأمَّةِ

قسم الدراسات والبحوث

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية

مملكة البحرين

ملاحظة هامة

تم الانتهاء من تأليف هذا الكتاب في سبتمبر ٢٠٠٥، ووزعت نسخ إلكترونية تجريبية منه عبر موقع جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في مملكة البحرين عبر الرابط **www.tajdeed.org**

المقدمة

كان أحد الأصدقاء في زيارة لمدينة "دالاس" لحضور ورشة عمل مهنية لإحدى التخصصات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وخلال حفل الاستقبال فوجئ بسيدة أمريكية – كانت تشارك في نفس الورشة – تشق صفوف الحاضرين وتتجه ناحيته بسؤال بعد أداء التحية، من أي البلاد أنت؟ فأجابها – بعد أن ردّ التحية – قائلاً: من المنطقة العربية، فبادرته على الفور، ولماذا تكرهوننا هكذا؟! فتلكأ في جوابه، وبدت عليه علامات الاستنكار وطلب منها بلباقة أن تمهله حتى آخر يوم في الورشة للإجابة على سؤالها. بعد انتهاء الورشة لم تكن تلك السيدة بحاجة إلى جواب بعد احتكاكها المباشر معه، والتعرف من خلاله على ثقافة أهل المنطقة. هذه الحادثة ليست سوى مظهر من مظاهر ما يختزن في وعي المواطن الغربي عن الشعب العربي المسلم وثقافته، يعي هذه الحقيقة كل عربي ومسلم يحتكّ مباشرة بالمجتمعات الغربية ويعاين نتائج هذه الثقافة المشوّهة لدى الغرب عن الأمة في كافة المحافل. هذه الثقافة لم تكن أبداً نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر المؤلمة كما يعتقد البعض، بل هي تراكم تاريخي طويل يعود لقرون عديدة، ونحن نعيش اليوم نتائج وإفرازات هذا التاريخ.

١) رسم الصورة

الإنسان (سواء كان تلميذاً في مدرسة أم رجلاً بالغًا عاقلاً) في عصرنا الحاضر عندما يتعلم أمرًا ما، فهو يصله عبر نافذة معلوماتية ما، فهو إما أن يأخذه من أستاذ أو من مُربٍ (والد أو كاهن أو رجل دين) أو زعيم أو من كتاب أو من صحيفة أو خبر

يصله، ونوافذ التعليم هذه لا تختلف من بلد لآخر ولا من ثقافة لأخرى، وكاتب أو ناقل هذه المعلومة سواء كان مؤرخاً أم من أي اختصاص آخر، هو المصدر لهذه المعلومة التاريخية أو العلمية. هذه المعلومات التي ترد عبر هذه النوافذ المتعددة تشكل ثقافة الفرد وبالتالي ثقافة المجتمع، وتخلق صوراً في ذهن المتعلم. فالصورة المذكورة أدناه قد تكونت في ذهنية الإنسان الغربي عن العرب والمسلمين، هذه الصورة تشكلت إما عبر أحد هذه النوافذ المشار إليها أو عبرها جميعا، وهي:

"إن الغرب المسيحي، قد فُرضت عليه مواجهة تستهدف حضارته المتقدمة، من الشعوب العربية المتخلفة التي تقطن منطقة الشرق الأوسط، وأن هذه الأمة ناكرة للجميل ولولا نهضة الغرب الصناعية لمّا عرف إنسانها وسيلة للتنقل إلا الجمال، وإن هذه الأمة (العربية أو الإسلامية) غير المتحضرة تكره الغرب بلا سبب غير الغيرة مما أنعم اللّه عليها به من نهضة وتقدم وجنس متفوق، بربرية متخلفة تصدّر الإرهاب، لها تاريخ حافل بالبداوة والجهل مدوّن باختصار في روايات ألف ليلة وليلة. الغرب يدين بالكتاب المقدس الذي يدعو إلى المحبة والسلام وهم يدينون بكتاب يدعو في جلّه إلى العنف مع أتباع الديانات الأخرى. أمة وُجدت صدفة في منطقة حضارات الشرق العظيمة تنازع الأمة العبرية في إرث الأجداد. هي أمة لا تريد السلام، وهي تحاصر دولة ديمقراطية صغيرة(إسرائيل) والتي تؤمن بكتاب سماوي (التوراة) وتنشد السلام، تعيش هذه الدولة في وسط بحر عدائي متلاطم. والغرب إنما يؤدي دوراً إنسانياً أخلاقياً في دعم هذا الكيان، بل هو دور إلهي يحقق مشيئة الرب بتثبيت أركان دولة شعب اللّه المختار، هذا الشعب المنتمي لأسمى عرق، والموعود بهذه الأرض من قبل الرب.

هذه هي الصورة في الغرب اليوم عن أمتنا - باستثناء حالات نادرة لدى بعض الشرائح - وهي الصورة التي تنتشر بأشكال مختلفة، أحيانا تُبَث مرّمزة، وفي الكثير من الأحيان لا يُبدي من يصرح بها أي قدر من الخجل، هي صورة قد تعمقت في ثقافتهم وترسخت، هي صورة تُبَث لتلميذ المدرسة وللكبير والصغير عبر هذه النافذة أو تلك، أو عبرها جميعًا، وبغض النظر عما يصرح به قادتهم بين الحين والآخر من

أنهم إنما يطمحون إلى علاقات متميزة مع هذه الدولة العربية أو تلك، فالصورة هي نفسها عن أي عربي سواء كان من عرب آسيا أو عرب أفريقيا .

أخذت هذه الصورة تنتشر عبر المنافذ المختلفة، ولم تترك منفذاً حتى ولو كان مصنع أجيال المستقبل، كالمدارس الابتدائية التي كانت إحدى محطات هذه الحملة والشحن العاطفي تجاه شعبنا العربي والمسلم، ولعل ما ذكره الكاتب الأمريكي بول فندلي في كتابه "من يجرؤ على الكلام" يوضح مقصدنا، في قوله "فقد كانت معلمة مدرسة الأحد المسيحية تقول لنا : "إن شعبا أمياً بدائيًا وميالاً إلى العنف يعيش في مناطق صحراوية ويعبد إلها غريباً" . كانت تسميهم "محمديين" وتواظب على تكرار قولها إنهم ليسوا مثلنا"[1] .

إن الشحن الدائم من وسائل الإعلام الغربية لم يكتفِ بتشويه تلك الصورة وخلق الحاجز النفسي بين الشعب العربي والشعوب الغربية، بل أخذ يؤسس لعدوان جديد، فنرى نماذج جديدة أخذت طريقها من خلال المنافذ التعليمية تهيئ الشعوب الغربية لعدوان عربي موهوم أو خطر داهم يهدد الحضارة الغربية ينبغي استباقه والقضاء عليه في مهده، ويقول الدكتور جعفر عبد السلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية: " وصل الأمر إلى حد أن بعض المفكرين في الغرب يرون أن الصراع بين الإسلام والغرب هو في الأساس (صراع حضاري) بسبب تعاليم الكتاب والسُنَّة لدى المسلمين، فالإسلام كما يصوره هؤلاء المستشرقون، يفرض على أتباعه جهاد غير المسلمين، ورفع السيف لقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وبذلك طرح العديدُ من المستشرقين والمفكرين الغربيين تنظيرًا غير صادق عن الإسلام من ذلك كتاب "الأصولية الإسلامية"، الذي حصل مؤلفه برنارد لويس على جائزة مهمة في الدراسات الاجتماعية. وفي هذا الكتاب يَزعم المؤلف، من بين ما

---

[1] - بول فندلي عضو الكونغرس الأمريكي السابق عن ولاية ايلينوي طيلة ٢٢ عاما (١٩٦٠- ١٩٨٢) في كتابه الأخير"لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أميركا" (صدر في العام ٢٠٠١)" ، من دراسة "كيف يرسم الإعلام صورة نمطية لشعب بأكمله، الإسلام في الفكر الشعبي الأمريكي: إيمان شمص شقير، **ملامح مشوهة تتجدد** :

http://www.elsohof.com/index.html.

يـزعم، أن المسـلمين يمثلـون تهديـداً ثلاثيًـا للحضـارة الغربيـة: سياسـيًا وحضـاريًا وسُكانيًا. وأن هنـاك نزاعًـا وشـيكًا سـيقوم بـين الغـرب والمسـلمين، وأن معظـم العـالم المسلم تسيطر عليه الآن حالة كراهية عامة للغرب، ولأمريكا على وجه الخصوص"[١].

٢) الأمّة اليوم

ونحـن نكتـب هـذه الصـفحات يكـون قـد مـرّ علـى مـؤتمر لنـدن الاسـتعماري مائـة عام[٢] (انعقد عام ١٩٠٥ وانفضّ في ١٩٠٧). أوشكت وقائع هذا المؤتمر أن تُمسح مـن الـذاكرة العربيـة. في هـذا المـؤتمر رسُـمت خارطـة المنطقـة كمـا أرادتهـا الـدول الاستعمارية، خوفًا وهلعاً مـن نهضتها، وكل مـا جـرى لاحقاً مـن سـايكس- بيكـو إلى وعد بلفور إلى تقسيم فلسطين، إلى يومنا هذا يدين لهذا المؤتمر ونتائجه.

الأمة تعيش في الذكرى المئوية لهذا المؤتمر حالة من التخبط والإحباط الذي بلغ مبلغًا لم يحدثّنا التـاريخ عنـه مـن قبـل، في أي حقبـة مـن تاريخهـا المدّون، ويمكـن لأي متتّبـع أن يسـمع صـدى هـذا الإحبـاط في كـل محفـل، والأمـة اليـوم تـأنّ تحـت وطـأة الضربات التي تلقتها ولا زالت من أطراف عدة واحدة تلو الأخرى، نـتج عنـها تعطيـل العقل العربي والمسلم، وبالتالي تعطيل نهضتها وتوقف مسيرتها. العربـي الـذي قـرأ في كتاب الله عندما خاطبه مذكّرا بماضي هذه الأمة المُعلِّمة التي علّمت البشرية منذ آدم الإنسان الأوّل قائلا: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ**

---

[١]- رئيس التحرير، صورتنا في الغرب .. مسئولية من؟ **مجلة العربي** (الكويت) - العدد ٥٥٤، السبت ٢١/ ١١/ ١٤٢٥- ١ يناير ٢٠٠٥.

[٢] ـ خرج هذا المؤتمر بتوصيات من ضمنها " "إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها. هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة" للمزيد من التفاصيل حول هذا المؤتمر. راجع الفصل الثاني (دولة إسرائيل).

وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران:١١٠)، والذي قرأ تاريخ أمته المجيد المعاصر للنبي محمد (ص) وعرف ماضيها حين كان الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، وقرأ صوراً أخرى أبّان ما عرف بالعصر الذهبي أو عصر النهوض العلمي، ذلك العصر الذي وضع حجر الأساس لما عُرف لاحقًا بالنهضة الأوروبية، يقع في حيرة من أمره، فهو من جهة يعلم أن هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة يعود في جزء منه للتخاذل والتقصير والبعد عن تلك القيّم القرآنية السامية التي رفعت العروبة عاليًا أبّان البعثة المحمدية، إلاّ أن هذا البعد وعلى رغم فداحته أمر، وتلك الصورة المزيفة عن أمتنا والتي دُست في كل المنافذ التعليمية في الغرب وتداعياتها أمر آخر.

إن المشكلة التي نحن بصدد بحثها تقول أن هناك عملية تزوير وتحريف ضخمة قد تعرّض لها التاريخ العربي من قبل الغرب واليهود والحركة الصهيونية، قد هيمنت على المخرجات الثقافية في الغرب، رافق هذا التزوير ابتداع نظريات عرقية لا تستند إلى أية أسس علمية وتُظهر الغرب الأوروبي على أنه جنس متفوق، قد استشرى هذا التزوير وهذه النظريات كالسرطان في أدبياتهم ومناهجهم التعليمية ووسائل الإعلام. أسست هذه الثقافة لمسَلَّمات لدى الشعوب الغربية عن العرب، ثم انتقلت هذه المخرجات إلى مناهجنا وكتبنا على أيدي الكثير من الكتّاب العرب، الذين أخذوا ينقلون كل ما يكتب في الغرب من غير تمحيص وغربلة. هذا التزوير وهذا التقسيم العرقي قد ساهم وبجدارة – إلى جانب ابتعاد الأمة عن قيمها وعقيدتها – في التأسيس لكل المظالم التي وقعت على الأمّة ولا تزال حتى يومنا هذا.

٣) تضليل الشعوب الغربية

الغالبية الساحقة من الشعوب الغربية لم تخالط المسلمين ولم تقرأ أي كتاب عن الإسلام ولم تتح لهم الفرصة للاطلاع على القرآن من منابعه المحمدية، نعم هناك كتبٌ كثيرة تملأ المكتبات العامة ولكنها لا تخرج عن كونها كتب تضليل وتزوير، لا تعرض حقيقة الإسلام وعظمة القرآن، بل تتصيد الروايات الإسرائيلية التي تملأ كتبنا لتوظيفها توظيفاً مغرضا إمعاناً في تضليل الشعوب الغربية، أضف إلى ذلك تلك الصورة السلبية التي ما برحت وسائل الإعلام في الولايات المتحدة تبثّها عن الأمة

وتاريخها، بل واستغلال تلك الكتب المضللة التي تم التسويق لها في الغرب بكل قوة، ككتاب "آيات شيطانية" الذي قام بتأليفه أحد المبهورين بالحضارة الغربية، ارتضى لنفسه المشاركة في حملة تزوير التاريخ العربي ومسخ صورة الحضارة العالمية الأولى.

هناك وجه شبه بين الصورة المشوهة التي شكلها الأوروبيون وفق تخطيط مدروس عن المسلمين بين القرنين السابع والثالث عشر الميلادي، من أجل تبرير ما عرف حينها بالحملات الصليبية، وبين الصورة اليوم، حيث لا تزال هذه الصورة تتحكم بالثقافة الغربية في هذه اللحظة، الأمر الذي ينبغي أن يدفع بالمثقفين العرب لمناقشتها مناقشة هادئة وجدية، حيث أن هذه الصورة التي انطبعت في ذهن الملايين من الناس في الغرب قد هيمنت على العقل وبشكل كامل، وهي التي تساهم باستمرار في إعطاء الشرعية لكل الضربات التي وُجهت وتوجه للأمة، في تفسيرٍ واضحٍ للصمت الشعبي في الغرب على الجرائم التي ارتكبت بحق أمتنا منذ أن اتفقت الدول الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى على تجزئة الأمة إلى كيانات ضعيفة، وتأسيس دولة وظيفيّة لليهود، والصمت على الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني في فلسطين. هذا هو واقع الحال مع الغرب والذي يشمل تلك الحضارة الممتدة على ضفتي الأطلسي. بالطبع فإن صورة الأمة ليست واحدة في جميع الدول الغربية، ولكنها تبقى المهيمنة على وعي غالبية الناخبين الذين يتوجهون لصناديق الاقتراع لانتخاب هذا الحزب أو ذاك.

٤) أثر هذه الصورة على الأمة

أخذت هذه الصورة تتسرب لشريحة أخرى من الجيل العربي الجديد، وهي الشريحة الخاضعة قسرا لهيمنة الإعلام المقروء والمرئي والمسموع، حيث تعيش هذه الشريحة إشكالية يصعب عليها تفسيرها، وهي أن هذا الوصف الغربي وتابعه اليهودي لأزمتِهم مع العرب يبدو منطقيًا في بعض مفاصله، فهو - أي الجيل العربي الجديد - يرى مصاديق كثيرة لهذا الوصف الغربي واليهودي للحالة العربية، ليست بعض مقالات كتّابنا العرب ومؤرخينا والتفاسير التي دخلتها الإسرائيليات إلاّ بعض مظاهرها.

إن العربي والمسلم ليصاب بالدهشة والاستغراب كلما سمع هذه الأوصاف التي تُنعت بها أمّة التوحيد (بربرية[١] – متخلفة – بدوية – جاهلة – تاريخها مدون في ألف ليلة وليلة)، ويتساءل ما الذي جرى لهذه الأمّة التي كانت مهد الحضارة الإنسانية، مهد آدم العاقل الأول ومهبط الوحي، الأمّة المُعلِّمة للأمم أصبحت اليوم عالة على الأمم الأخرى، وأضحى – في الظاهر - تخلفها يُمثل مشكلة للأمم المتقدمة وتهديداً دائما للاستقرار العالمي. إن المرء ليقف حائراً كلما قلّب صفحات التاريخ ورأى الحدود التي بلغتها تلك الدولة المُعلِّمة والتي كان يحكمها كيان واحد تهابه كلّ أمم الأرض، كيف أصبح هذا الكيان دويلات ضعيفة مفتتة، لم تكتف سطوة القوة الغربية بتفكيكها في سايكس بيكو، وزرع هذه الدولة اللقيطة، بل عادت تطمح في تجزئة المجزّأ كما تقول المؤشرات التي تتدفق علينا بين حين وآخر.

٥) التزوير

لقد تمَّ تقطيع أوصال التاريخ العربي وتجزئته لقطع حبل التواصل مابين الماضي والحاضر، الأمر الذي عملت له الدول الاستعمارية ولا زالت، يُراد به اغتيال الذاكرة العربية وسلب أحد أهم المكونات الحضارية لأمتنا، وتغييب الحقيقة التي شاءت الأيدي التي امتدت لتاريخنا أن تعبث بها، ولنُجبَر نحن وأجيالنا القادمة على العيش بلا تاريخ في زمن عولمة الرعب. كانت مدونات التوراة المحرفة وأسفارها هي الأداة الرئيسية التي استخدمت لهذا العمل المُشين. لقد انتشرت الخرافات التي تعجّ بها هذه الأسفار بين الناس، في وقت كانت المجتمعات الغربية قد اعتادت قبول الخرافات المتعلقة بالدين والتاريخ بسطحية وسذاجة منقطعة النظير، وبالخصوص خلال فترة عصور الظلام في أوروبا، وازداد خطرها عندما اتخذت الكنيسة المسيحية التوراة اليهودية وضمتها إلى الأناجيل لتُكوّن منهما ما دعُيَ بـ(الكتاب المقدس) بعهديه

---

[١] – الإنسان الهمجي، غير المتحضر، بليد الحس، سيئ التنشئة، خشن تعوزه الثقافة. **قاموس ويبستر**، http://www.m-w.com

القـديم والجديـد، والغـرب بقـي طيلـة قـرون لا يعـرف شـيئا عـن الشـرق العربـي والإسلامي إلا من خلال مدوّنات التوراة أو ما يُدّعَى بالعهد القديم.

إن مدونات التوراة (العهد القديم) مليئة بالقصص والملاحم، وتاريخ لممالك ليس لها وجود في الحواضر العلمية، بل حتى تاريخ ما عُرف بالفراعنة في مصر وادي النيل، والذي يدّعي اليهود نسبته إليهم، لا يذكر شيئا مما سطّروه في مدوناتهم، ويقول المفكر الفرنسي بيير روسي في كتابه (التاريخ الحقيقي للعرب): "إننا لم نعثر حتى اليوم على أثر، ولا على أقل إشارة، تجبرنا على التحدث عن عاصمة عبرية أو عن ملوك عبريين و لم يسجل في مكان ما اسم داود أو سليمان، ولم تسجل، في أي مكان، الفتوحات الكبرى التي يمجدها العهد القديم. إن الديوان الفرعوني صامت في هذا الصدد، وهو الذي يحلو له أن يقصَ أدنى الأحداث السياسية أو العسكرية للمنطقة"[1]. فديوان عرب وادي النيل (الفراعنة) لم يُشر ولو بإشارة صغيرة إلى وجود دولة أو مدينة أو ملك عبري، ورغم ذلك أصبح التراث العربي العظيم في مصر، هو تراث الأجداد حسب تعبير الصهيوني مناحيم بيجين، في مشهد يجسّد مقولة نبي اللّه عيسى (ع) "أيها القادة العميان الذين يعفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل". فقد بلعوا تاريخ أمة العرب بشهادة العصر.

لقد كشف ج.ب.آدم، "مدير مكتب علم العمارة في العصور القديمة" في باريس، في مؤلف صدر حديثا عن علم "الآثار أمام الدجل و التضليل" اكتشف الصفة المخادعة المخاتلة الافتراضية لعلم ما من علوم الماضي، وقال أنه كان مذهولا من رؤية العقل السليم مستهزأ به إلى هذه الدرجة، وأنه هو نفسه لم يتجرأ على أن يذهب إلى آخر ما يمكن أن يوصله إليه منطقه"[2]. هذا الرجل (ج.ب.آدم) صدمته حقيقة التزوير، أذهله الاستهزاء بالعقل السليم، وهذا ما سيواجهه أي مثقف غربي يقرر معرفة الحقيقة. هكذا يتم التعامل مع التاريخ العربي في الغرب، الأمر الذي دفع عقلاً

---

(١) – بيير روسي، **مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٥٢.

(٢) – بيير روسي، **مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٢٢.

حرًا كمدير مكتب علم العمارة في العصور القديمة في باريس، أن يعلن أنه هو نفسه لم يتجرأ على أن يذهب إلى آخر ما يمكن أن يوصله إليه منطقه.

ورغم وفرة الوثائق الأثرية التاريخية المصرية، فليست هناك وثيقة واحدة تتضمن أدنى إشارة إلى وجود بني "إسرائيل" في مصر أو طردهم منها، فقد سعت أجيال من الباحثين وعلماء الآثار إلى الربط بين جبل سيناء وبين مواقع تيه اليهود في الصحراء، غير أنه لا أحد منهم عثر على أي مكان يتطابق مع المواقع المذكورة في الروايات التوراتية، والحقيقة أن شيئًا من ذلك لم يحدث في مصر وادي النيل، وأن مصر أو مصرين، جزيرة العرب بجانب السراة، مهد الإنسان الأول ومهد الأنبياء عليهم السلام[١].

إن الباحث عن الحقيقة ليصاب بالصدمة والذهول وهو يرى كيف تمَّ تحريف وتزوير هذا التاريخ بشكل لم تراعَ فيه لله والإنسان حرمة. إن الصورة المزيفة التي رُسمت في الغرب عن العرب والتي قدمناها في بداية الموضوع، تبيّن بصورة قاطعة أن الغرب قد خلع على العرب لبوسه، وعكس الصورة تماما في محاولته لتأسيس القاعدة التي شيّدت عليها كل الأعمال العدائية التي استهدفت بها أمتنا.

٦) دعوة للإصلاح

قد يرى البعض أن هذا البحث يحاول دق إسفين بين الأمة والغرب، من خلال فتح ملفات تاريخية لم تعد قابلة للنقاش عن تراث قد اندثر وتاريخ ولىّ لم يعد له شأن في عصرنا الحاضر، وأن هذا الكتاب سيفاقم موجات الكراهية بين الطرفين، ولكن الحقيقة أن ما نسعى إليه هو الوصول إلى حل جذري لرأب هذا الصدع التاريخي بين الأمة والغرب وعلى قاعدة صحية متينة، ونؤمن أن هذه القاعدة لا يمكن أن تُشيّد إلا بعد تفكيك هذه المواجهة المزمنة والرجوع إلى جذورها بهدف إصلاح الخلل الذي دفع بالكثير من المفكرين في محاولة التنبؤ بمآل هذه العلاقة، متأرجحين بين الحوار والصراع. ولكي يكون الحل المنشود لهذه المحنة حلاً عادلاً منطقيًا إنسانيًا فإنه لا بدَّ من تشخيص الداء، قبل اختيار الدواء.

---

[١] ـ راجع بحث: **نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

نحن لا نرمي في بحثنا إلى تهميش أو حذف أو إسقاط الآخر وإخراجه من التاريخ، إذ أن هذا الأمر لا تقبله المبادئ ولا الحقائق التي نستند إليها في ما نكتبه وندعو إليه، بل الدعوة هنا إلى تصحيح ما يبثّ في تلك المنافذ التعليمية والذي أسّس لتلك الثقافة التي أدت ولا زالت لتواصل شلال الدم في منطقتنا، ولإيقاظ ذاكرتنا من سباتها والتي أوشك أعداء الأمة على الانقضاض النهائي عليها ومحوها من ذاكرة التاريخ الإنساني.

إن الإبحار في هذه المسألة واطلاع القارئ على تفاصيل المراحل التي مرت بها علاقتنا مع الغرب تتطلب مجلدات، ويمكن للقارئ الرجوع إلى الكثير من التفاصيل التاريخية التي لم يتوقف المثقفون من الجانبين الغربي والعربي عن تحليل أسبابها ودوافعها ونتائجها، ولكننا سنحاول في هذا البحث الاختصار والاكتفاء بالتوقف عند المحطات التي أثّرت في مجمل هذه العلاقة.

٧) الدور الصهيوني في تحديد ملامح الصورة

إن المشكلة ليست وليدة التفاعل بين الطرفين العربي والغربي فقط، بل هي علاقة متشابكة قد دخل اليهود فيها كعنصر وظيفي فاعل ومؤثّر، ساهم في رسم صورة عن العربي أكثر حلكة وسواد، وساهمت الصهيونية العالمية في توجيه دفة هذه العلاقة في الكثير من المفاصل، ولكي نكون أكثر دقة، نقول أننا في هذا الصراع نواجه محورا ثلاثيا (غربي – صهيوني – يهودي). عملت الحركة الصهيونية على ترسيخ هذه الصورة المشوهة عن أمّتنا أينما حلت، وحيث أنها باتت مسيطرة على الغالبية الساحقة من المنافذ التعليمية في الغرب بالتحديد، فأضحت الصورة التي رسمتها الحركة الصهيونية هي التي تهيمن على ثقافة الغربي، وقد حدد ملامح هذه الصورة الأستاذ ماهر منصور[١] في دراسة له كالتالي:

---

[١] – ماهر منصور، **الأدب الصهيوني من تشويه الصورة إلى تزييف الحقائق:**

http://www.an-nour.com/old/145/science/science.htm

الملامح الخَلْقية: قبيح الوجه/ قذر/ ذو شارب كثيف/ عينان قاسيتان/ يشبه الحيوانات (الذئب، الحمار، الخنزير، الجرادة،...)

الملامح العقلية: ممسوح العقل/ غبي/ انحطاط فكري واجتماعي/ جهل بالعلم والحضارة ومبتكراتها ومعاداتها..

الملامح النفسية والسلوكية: الجبن/ الذل/ الكذب/ الجشع/ الحقد والكراهية/ الحسد/ الغدر/ القتل من أجل المال والنساء..

وحيث أن هذه العلاقة ليست وليدة السنين أو العقود الأخيرة، فكان لا بدَّ لنا من الرجوع إلى التاريخ واستخلاص العبر قبل الدخول على الطور الأخير الذي بدأ في نهايات القرن التاسع عشر بقيام تحالف المحور الثلاثي الذي أشرنا إليه ولا زال هذا التحالف مستمرًا حتى وقتنا الحاضر.

٨) واقع الأمة

لا بدَّ من الإشارة هنا أنه ليس المراد من هذا البحث التهرب من مواجهة أنفسنا والاعتراف بتقصيرنا ودورنا في ما وصل إليه حال الأمة اليوم من وهن وضعف، ولا المراد التهرب من دراسة الواقع الذي نعيشه، والذي يُعد أحد الأركان الرئيسية التي تغذي هذه الصورة المرسومة لنا في الغرب، فالإصلاح ولكي يكون شاملاً، لا بدَّ أن يتخذ مساراً مزدوجاً. إصلاح الصورة لدى الآخر والتي تتمثل بفضح التزوير والتحريف الذي تعرض له تاريخ الأمة وتداعياته على عقائد وثقافة الإنسان العربي والمسلم، وعلى أن تسير بشكل متزامن مع إصلاح الواقع (واقع الأمة)، وقد قام الكثير من المثقفين العرب باستعراض هذا الأخير، وسوف نتطرق لجانب منه في الفصل الأخير من هذا الكتاب، ونركّز عليه في بحوثنا القادمة بإذن الله تعالى. ونحن إذ نؤكد أننا لا ننفي التخلف المحيط بنا ولا ننفي وجود جهل بيننا، وإلا كيف استطاع هؤلاء العبث بنا؟ ولكننا لن نقوم هنا بجلد الذات والبكاء على الأطلال، بل سيكون جلّ تركيزنا على ما فُعل بهذه الأمة من قِبل الغرب، الذي امتدت إليه يدها، وأخرجته من أطوار الهمجية والتخلف، تعلمه وترشده طريق العزة والخلاص، فقامت هذه الأطراف

(الغرب واليهود) مجتمعة باجتزاء ما يفيد دنياها مما تعلمته من علوم هذه الأمة، وتركت ما يفيد آخرتها، فأضحت أمماً مستكبرة جائرة مارست ولا تزال تمارس شتى أنواع التدمير والحصار للعقل العربي.

ليس المراد من هذا البحث إبراز عظمة الحضارة الإسلامية وما تبنّته من مثل عليا وقيم أخلاقية، وما مثّلته هذه الحضارة من تسامح وقبول للآخر، فاستدعاء الماضي المجيد والتسويق له لن يكون ذا جدوى، في ظل هجمة غربية تحلل واقع الأمّة الحالي، لم يعد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ذا شأن لديها اليوم. إن المحاولات العربية التي برزت بعد أحداث ١١ سبتمبر لتصحيح صورة العرب في الغرب، لن تجد لها طريق النجاح إذا أغفلت الأسباب الحقيقية لرسم هذه الصورة ودوافعها، واكتفت بالاستنكار أو بإبراز عظمة تاريخنا، أو بتوجيه اللوم والنقد للتطرف الذي برز لدى بعض الحركات العربية الإسلامية كرد فعل على الهجمة الغربية على الأمّة، وإلقاء اللائمة عليه.

إن جاز لنا أن نتفهم ما فعله غالبية الكَتاب الغربيين الذين انسلخوا لا عن شريعة عيسى (ع) فحسب، بل عن كل القيم الإنسانية التي مابرحوا يهتفون بها (في مواجهة الهجمة البربرية العربية) عندما قاموا بتنفيذ هذا المخطط الآثم بدافع من المصالح المادية الدنيوية. إلا أن الأمر المؤلم والصادم والذي يتعذر علينا فهمه هنا هو موقف المثقفين العرب. إذ كيف تحركت ضمائر كتاب غربيين — وإن كانوا قلة – لفضح هذا التضليل في تاريخ الإنسانية، وكتّابنا العرب لم تهتز لهم قصبة؟. بل وبمتابعة الأنباء الواردة من "إسرائيل"، نجد أن هناك مجموعة من الباحثين اليهود كـ"زئيف هرتسوغ" قد ضجت لهذا الكم الهائل من التزوير.

وشهادة للتاريخ، لا بدَّ أن نحيي هذه المجموعة من المفكرين الغربيين، الذين أنصفوا أنفسهم ولم يسمحوا لأقلامهم بتنفيذ مخطط السطو على تاريخ أمّة، ونذكر بضعة أسماء من هؤلاء الباحثين والذين أصدروا الكثير من الكتب: بيير روسي، غوستاف لوبون، جان غومليه، لوسيان لوكيز، بريس دافين، سيديو، جاك روبسلر، ماكس فانتاجو، جورج مارسيه، سيغريد هونكه، جورج سارتون، سودهوف، وغيرهم.

٩) ثوابت هذا البحث

قبل الشروع في التفاصيل لا بدَّ من توضيح أمر في غاية الأهمية، إذ أن المقصود بمصطلح "الغرب" في هذا البحث هو النظام الغربي القائم، وريث تلك الدول الاستعمارية التي فعلت ما فعلت خلال القرنين الماضيين من التاريخ، وهو المسئول الأوّل عن هذه النوافذ التعليميّة ومخرجاتها المشّوهة، فقد يصل أي باحث منصف إلى نتائج قد لا تعني الكثير من الشرائح المجتمعية في العالم الغربي، والتي تتمتع بفكر ناصع وبمستوى أخلاقي رفيع. وعليه وللتوضيح نقول إننا لا نرى تلك الشرائح إلا وريثة نزيهة لتلك المدرسة العربية الأولى التي علّمت البشرية. أما مصطلح (العرب) أو (العربي) أو (الأمّة العربية) والذي سيتردد كثيرًا في هذا البحث، إنما يعني الأمّة الموَحدة التي تقطن دفتي سلسلة جبال السراة (شبه الجزيرة العربيّة) والتي تشمل عربَ أفريقيا وعرب آسيا، ونختلف جوهريًا مع التعريفات المعاصرة التي فرقت بين أبناء الأمّة الواحدة فأخرجت الفرس والكرد والبلوش وغيرهم ابتغاء الفتنة وتقسيم الأمّة وإضعافها. يقول بيير روسي في تعريفه للحضارة العربية "إن الحضارة العربية بطبيعة الأمر شاملة، فقد ولِدت في حيز جغرافي مترامي الأطراف، من بلاد الرافدين إلى مصر وشمال إفريقيا، بل إلى آسيا الصغرى حتى أندونيسيا ..."[١].

عندما نتحدث عن العروبة، فإننا نتحدث عن مكوناتها، وليس عن المشروع السياسي، حيث نرى أنّ هناك خطأً واضحاً يفصل ما بين مكونات العروبة كثقافة ولغة وتاريخ، ومكونات المشروع السياسي (القومي) الذي عاصرناه في العقود الأخيرة. إن تعريف الأمّة العربية حسب التفصيل السابق يعد أمراً مهماً لإدخال القارئ في جو البحث الذي نحن بصدده، كما أنه يعتبر أمرًا حيويًا التنبيه على أن المبادئ التي تقوم عليها دراستنا تختلف عن المبادئ والمفاهيم التي تم الترويج لها في العصر الحديث بكل أسف على يد بعض الحركات القومية في الوطن العربي، والتي عملت على خلق أجواء عدائية عنصرية مشحونة تفتقر إلى أدنى درجة من المسؤولية والحقائق العلمية.

---

[١] – بيير روسي، **مقدمة دراسة التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**، لنزيه الشوفي:

www.awu-dam.org .

وحيث أن صورة الأمّة في ثقافة الغرب، قد رُسمت على جبهات وحقب مختلفة، ونظراً لسعة المساحة التي نحاول تغطيتها في هذا الكتاب، فقد قمنا بتقسيمه إلى ثلاثة فصول رئيسية وخاتمة، ولقد فرض علينا موضوع البحث الرجوع للماضي، لفترة الاحتكاك المباشر أبّان الحروب الصليبية وحقبة الأندلس نظراً للتشابه الكبير بين عناصر الصورة في الماضي والحاضر، بل وتشابه التزوير وإن اختلفت تفاصيله نظراً للموضع الذي كانت أوروبا تحتله حينها بالنسبة للعرب مقارنة بالوقت الحاضر. والتزوير هو موضوع الفصل الأول والثاني وسنبين في الفصلين القواعد التي تم التأسيس والتوطئة للواقع المرّ الذي تعيشه الأمّة اليوم، وفي الفصل الثالث أوضحنا الأدوار المختلفة التي لعبتها وتلعبها مختلف الأطراف في منهجة التزوير وترسيخه، وتتكون الفصول كالتالي:

الفصل الأول استعرضنا فيه جدار التزوير العازل بين الأمّة والغرب، فبدأنا هذا الفصل بالتمهيد عن حقبة الحروب الصليبية الدموية وحقبة الأندلس ومن ثم ابتداع الأعراق والسلالات في الغرب، لما لها من علاقة بمحاور هذا الفصل، ومن ثم ناقشنا أوجه التشويه والتزوير الذي طال تاريخ الأمّة ودوافع القائمين عليه بشيء من التفصيل، لننتقل بعدها إلى مناقشة تداعيات هذا التزوير والتحريف على الوعي العربي ومساهمته في تفريق أبناء الأمّة من خلال استعراض أصول بعض شعوب المنطقة (الفرس والكرد والبلوش)، ثم ختمنا الفصل بالحديث عن بدعة السامية واللاسامية التي هيمنت هي الأخرى على الثقافة في الشرق والغرب ونعيش آثارها حتى اليوم.

وفي الفصل الثاني ناقشنا الأسس التي قامت عليها دولة إسرائيل بعد التمهيد لذلك من خلال استعراض البيئة التي كانت سائدة أبان تلك الفترة في أوروبا، مروراً بالمؤتمر الصهيوني الأول في سويسرا ومؤتمر لندن الاستعماري وتلفيق مكونات أمّة يهودية لم يكن لها وجود في يوم من الأيام، من خلال تحريف وتشويه التاريخ العربي وتقطيع أوصاله، واختلاق اللغة العبرية التي لم يكن لها وجود، والتزوير الجغرافي الذي ساهم المستشرقون من خلاله في خداع العالم بل وخداع الشعب العربي.

أما الفصل الثالث فقد استعرضنا فيه عملية منهجة التزوير واعتماده، دسّه وتسويقه من عدة محاور، وبدأنا بالكنيسة المسيحية ودورها في ترسيخ التزوير ودعمها له، ثم عرجنا على مناهج الغرب وهوليود والمحاولات الأخيرة لتغيير مناهج التعليم العربية، ثم انتقلنا للمثقفين العرب الذي اتضح وبشكل جليّ أنهم ساهموا وبشكل كبير في بناء واقعنا المؤسف، جراء عمليات النقل عن الكتّاب الغربيين ومن دون تمحيص وغربلة. لنختم الفصل بالحديث عن دور الرواية الإسرائيلية أو ما عرف بالإسرائيليات، لما كان لهذه المسألة الحساسة من أضرار كبيرة من خلال مساهمتها في إضفاء الشرعية على جانب من ادعاءات اليهود بحقهم التاريخي في فلسطين وبحقيقة مدونات التوراة. وفي خاتمة البحث، قمنا بعرض أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأوّل

جدار التزوير العازل

بين الأمة والغرب ما قبل إسرائيل

أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتييه (بلاط الشهداء) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي.

المفكر الفرنسي أناتول فرانس

توطئة

في حين أنّ الصورة تقول أنّ الأمّة ناكرة للجميل، إذ لولا نهضة الغرب الصناعية لما عرف إنسانها وسيلة للتنقل غير الجمال. وأن هذه الأمّة (العربية) غير المتحضرة تكره الغرب بلا سبب غير الغيرة مما أنعم الله عليه به من نهضة وتقدم وجنس متفوق، فإن التاريخ يؤكد بأن العرب لم ينكروا جميل صنع الغرب، لو كان للغرب حسن صنع معهم، والحقيقة أن الغرب هو الذي جحد جميل الصنع وتنّكر لمن علّمه وأدّبه، ورفع منظومة قيمه وفنه. فالعرب الأساتذة قد حاولوا بصدق وإن لم تنجح تلك المحاولات أن يعلّموا الشعوب الأوروبية التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، بل إن كل الأديان التي تم تصديرها للغرب بقيمها الإنسانية انطلقت من جزيرة العرب. وإن كان الحديث اليوم عن الوطن العربي وجميله على الغرب يعتبر من المحرمات في الغرب، إلا أن الحقيقة أنه لم يكن للمدنية وجود في الغرب قبل الأندلس، ذلك ما يؤكده جميع المؤرخين، فالأندلس تحولت خلال فترة حكم المسلمين من بلد فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف، أهدى لأوروبا سبل نهضتها وشقّ طريقها للتخلص من الأنظمة المتخلفة التي تعاقبت عليها.

المقصود هنا من نكران الأمّة العربية لجميل الغرب عليها، والذي يتردد على بعض الألسن في الغرب، ويلمسه كل عربي يحتك مباشرة بالمجتمع الغربي، هو القناعة المترسخة عن فضل الحضارة الغربية على العرب، والتي وبمجرد تقليب نزيه لصفحات التاريخ القديم والحديث سيماط اللثام عن هذا التضليل. فالعلاقة بين العرب والغرب كانت باستمرار علاقة عطاء من جانب العرب وإن أشكل البعض علينا بأن الغرب قد تحول مع الزمان من جهة المتلقي إلى جهة المعطي، ولو أمعنّا النظر ودققنا في ما يصدّر لنا اليوم من تقنية وبضائع في عصرنا الحاضر لوجدنا أنه سعيٌ حثيث لتحويل أمتنا إلى أكبر سوق استهلاكي للبضائع التي تنتجها ماكينة الصناعة الغربية، فالتقنية العالية محظورة، الصناعات المتقدمة محظورة، والنفط يفرض على البلدان المصدرة سعره وسياسات تسويقه، بل ونجد أن هناك سعياً حثيثاً لدى الدول الغربية في تسويق الأسلحة المتطورة للبلدان العربية والإسلامية بعد تجريدها من أية مميزات تقنية، لتضمن إبقاء الأمة في حالة ضعف استراتيجي دائم، أو كلما احتاجت تلك الشركات لتعديل ميزانياتها لزيادة الأرباح، فالنتيجة على الدوام كانت اختلال ميزان القوى لصالح الأطراف الأخرى. العلاقة في الماضي كانت عطاء كاملاً من جهة العرب للغرب، تطورت اليوم إلى استعباد الأمة والهيمنة عليها.

إنّ الغرب الذي مدّنه العرب وحضّروه ونقلوا إليه علومهم وثقافتهم، امتدت يده للعبث بتاريخهم، فأخذ يتعامل مع التاريخ العربي كتاريخ قبائل بدوية متفرقة حتى يومنا هذا، ثم زاد على ذلك ولم يكتفِ بالجحود، بل أتبعه بجريمته الكبرى عندما كانت الدولة العثمانية في آخر عهدها، والأمّة تئن تحت وطأة تراجع دورها الحضاري، فقام وبهدف تعطيل العقل العربي ومنعه من النهوض، بفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا، من خلال زرع ما عُرف حينها بالدولة الحاجزة، لتكون الحارس الدائم لمصالحه الاستعمارية، وهناك تم وضع حجر الأساس للمأساة التي تعيشها الأمّة العربية منذ انهيار الدولة العثمانية وحتى يومنا هذا.

يبيّن التاريخ أن هناك نسقاً واحداً يتكرر، وهو أنه كلما شعر الغرب بنهضة أو ببوادر نهضة لدى الأمة، أخذت ماكينته التعليمية ترسخ صورة مشوَهة لدى الغربيين عن العرب، لتبرير ردات فعله العدائية التي تتحرك لخنق هذه النهضة، ولكي تكون

هذه الأعمال مُسوغة مدعومة من الشعوب الغربية. إن الصورة التي كانت سائدة عن العرب أبّان الحروب الصليبية لا تزال تتحكم بالوعي الغربي حتى هذه اللحظة، تماماً كما الخطاب المسيحي المضاد للمسلمين الذي كان شائعاً بين القرنين السابع والثالث عشر الميلادي من أجل تبرير الحملات الصليبية على المشرق العربي، فالخطاب الاستشراقي الحديث لعب الدور نفسه في القرنين الماضيين من أجل الهيمنة على المنطقة واستعمارها. الفرق الوحيد بين المرحلتين هو أن الأوروبيين كانوا حينها أضعف من المسلمين عسكرياً وثقافياً وحضارياً في حين أنهم أصبحوا أقوى منهم بما لا يقاس في القرن التاسع عشر والعشرين. وينقل جون ف. تولان الصورة نفسها قائلاً " إن الصورة التي شكلها المسيحيون الأوروبيون عن المسلمين بين القرنين السابع والثالث عشر رسخت مجموعة كليشيات مشوهة لا تزال تتحكم بالوعي الغربي حتى هذه اللحظة، وهذه الصورة المشوهة تشمل العرب والمسلمين والأتراك والشرقيين بدون أي تمييز"[١].



الحروب الصليبيّة

---

[١] – جون ف. تولان، "الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون الوسطى"، العرب، **جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ٢٩ يوليو٢٠٠٢ –العدد ٢٢١ :
http://www.albayan.co.ae/albayan/book/2002/issue221/foriegnlib/1.htm

قد تختلف الصورة في عصرنا الحاضر عن عصر الحروب الصليبيّة من زاوية نظرة الغربي لموضعه، ففي حين كانت النظرة لديه قديما تأخذ بعداً دينياً، أصبحت في القرنين الأخيرين تتمحور في نظرة الاستعلاء و الفوقية. لكنها على اختلاف دوافعها اتفقت على تعريف واحد للعربي في الماضي والحاضر، حيث كنا ومازلنا نرى الكتب تتدفق من عواصم الغرب تتهم العرب بالإرهاب والهمجية، وصف لنا هذه المسألة جون ف. تولان بقوله "عندما نقرأ كتابات المسيحيين الأوروبيين عن الإسلام في القرن الثالث عشر، وعندما نقرأ ما يكتبه الكثير من الأوروبيين أنفسهم عن الإسلام في أواخر القرن العشرين أو بدايات القرن الحادي والعشرين نفاجأ أحيانا بتكرار نفس الكليشيات والأخطاء، إذ لا تزال الصورة سلبية عن الإسلام كما كان عليه الحال في القرون الوسطى، وأكبر دليل على ذلك بعض الكتب التي صدرت مؤخراً في روما أو غيرها من عواصم الغرب والتي تتهم المسلمين بالإرهاب والهمجية وعدم القدرة على التعايش مع الآخرين الذين يختلفون عنهم في العقيدة، وللأسف فإن وسائل الإعلام الضخمة تساهم في بثّ هذه الإشاعات والأحكام المسبقة. ولكن يبقى هناك فرق جوهري بين النظرتين على الرغم من كل شيء، فالأوروبي في القرون الوسطى كان يتصور الاختلاف على أساس ديني محض على خلفية اعتقاده بأن المسيحية تتفوق على الإسلام، وأما الأوروبي المعاصر فقد أصبح ينظر نظرة استعلاء تجاه العرب أو المسلمين لأنهم ليسوا مستنيرين بحسب زعمه ولم يتجاوزوا الكوابح القديمة في حين أنه هو تجاوزها"[1]. أما مقولة الجنس المتفوق أو العرق الراقي، فذلك أمر آخر تفتقت عنه قريحة علماء أوروبا عندما نهضت. فمن خلال متابعة تصريحات المسؤولين الغربيين المتسمة بالقوة والاستعلاء ، يقف المثقف العربي متأملاً ويقع في حيرة من أمره، فالعربي الذي يعرف تاريخه وثقافته وحضارته ودينه لا يستطيع هضم هذه التقسيمات وصكوك الغفران التي توزَع حسب المصالح السياسية للدول، فنرى آثار هذه النظريات الزائفة تتمثل في مظاهر متعددة، فمن جورج بوش

---

[1] – جون ف. تولان، "الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون الوسطى"، العرب، **جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ٢٩ يوليو٢٠٠٢ –العدد ٢٢١ :

.http://www.albayan.co.ae/albayan/book/2002/issue221/foriegnlib/1.htm

الجد[1] (١٧٩٦ - ١٨٥٩) – راع وواعظ لإحدى الكنائس (إنديانا بوليس) وأستاذ في اللغة العربية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك - والذي يصف في كتاب له العرب والمسلمين بأنهم أعراق منحطة وحشرات وجرذان وأفاع، إلى جورج بوش الابن الذي يقول "من لم يكن معنا فهو ضدنا"، ويقسّم العالم إلى محاور هذا محور خير وذاك محور شر، متجاهلاً تلك الشعوب وحقوقها في إبداء رأيها واتخاذ ما تراه مناسبا لحاضرها ومستقبلها، يتبادر إلى الأذهان سؤال عن ماهية هذه الثقافة التي تَغذى منها هو وأسلافه من الرؤساء الغربيين، والذين لم يكونوا أفضل حال منه، وللتوصل إلى إجابة عن هذا السؤال كان لا بدَّ من تقليب صفحات التاريخ القديم والحديث في محاولة لفهم هذه التركيبة المثيرة لنمط التفكير الغربي.

في أفغانستان عندما قتلت القوات الأمريكية - بطريق الخطأ - مجموعة من الأفغان الأبرياء الذين كانوا يحتفلون بعرس خلال الحملة الغربية على أفغانستان بحثا عن أسامة بن لادن، أعطوا كل ضحية مائتي دولار، بينما كانت التعويضات التي جاهدوا للحصول عليها من ليبيا عن ضحايا لوكربي بلغت عشرة ملايين لكل ضحية، ويطالبون الآن لضحايا الحادي عشر من سبتمبر بتعويضات قدرها عشرون ألف مليون دولار. لا نورد هذا المثال لكي نقول أن الإنسان الغربي لا يستحق تلك الملايين العشرة التي يطالبون بها، فهذا الإنسان (الأمريكي أو الأفغاني) الذي زُهقت روحه خلال تلك العمليات هو إنسان بريء قد دفع ثمن معارك الآخرين، ولا نرى أن هذه الملايين تُعد ثمنًا عادلاً نظراً لما سببته للضحايا وذويهم من ويلات، ولكن ما يستوقفنا هنا هو: لماذا يكون ثمن الأفغاني ٢٠٠ دولار والغربي ١٠ ملايين دولار؟. **والسؤال هو ما هي الأسس الثقافية للنظام الذي قدّر التعويض في الحالتين؟**

إنها نتيجة حتمية للبعد عن قيم السماء وتعاليمها والانسلاخ عن الفطرة الإنسانية التي فُطر الناس عليها، واللهث وراء المصالح المادية سعياً لتحقيق النظام الغربي لأغراضه السياسية، ونتيجة لذلك الكم الهائل من التزوير والتحريف الذي

---

[1] - منع كتابه الصادر عام ١٨٣٠ من قبل الأزهر لتضمنه الفحش والشتائم ضد العرب والمسلمين. محمد صلاح، **جريدة الحياة** (القاهرة)، ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٤.

طال التاريخ وموضَع الغربي كجنس متفوق في مقابل الشعوب الأخرى. إن الشعوب الغربية التي انجرفت لهذه الثقافة ما هي إلا ضحية، حالها كحال الشعوب الأخرى، فهذه الثقافة التي تُبث في الغرب للتلميذ الصغير في مدرسته وللكبير وفي جميع المحافل، قد أوجدت الضغائن والأحقاد بين الشعوب، كل ذلك لكي يحقق المستعمر أهدافه في حصد ثروات الأمم. الثقافة التي نتحدث عنها ليست وليدة العدم، فعمليات التزوير التي طالت تاريخ البشرية بشكل عام والتاريخ العربي بوجه خاص على أيدي كتبة التاريخ للقرنين الماضيين في الغرب تحقيقاً لهذه الأغراض السياسية، قد عملت ولا تزال على تعميق هذا الشعور، وبالتالي خلق الكراهية وزرع بذور الفتن بين شعوب الأرض.

وبعد حُقَب الجهل والتخلف وقرون الهمجية التي عاشتها أوروبا وبعد استيعاب العلوم العربيّة التي لم يكن من علوم وحضارة لدى البشرية غيرها، والتي حوّلتها إلى ثورة تقنيّة ونهضت بها، فجأةً أخذت تشعر بأنّها جنس متفوّق وأنّ العالم متخلّف ومتطفّل على الحضارة. أخذ الغرب يقسّم العالم إلى أعراق وسلالات، وظهرت النظريات الأوروبية التي تقسّم بموجبها الشعوب إلى ما دعوه هندوجرمانية أو هندوأوروبية أو آرية وسامية، كالتي طلع بها الباحثون الألمان انطلاقًا من نزعة عرقية استعمارية بحتة. كل هذه النظريات قامت على أساس مركزية أوروبا للعالم وأنها هي محور الحضارات وأصلها. مقولة الجنس المتفوق للشعوب الغربية وتقسيم العالم لأعراق وسلالات راقية ومتخلفة، كانت عملاً همجياً دفعته الأطماع الاستعمارية للدول الغربية، كان للباحثين الألمان والنظريات التي ابتدعوها دور الريادة فيه. إنّ إهمال هذا الخطأ وهذه التقسيمات العرقية الخاطئة والمزورّة، والخصوصية التي رأى الغرب فيها نفسه بعد أن نهض بالعلوم العربية، أوقع ومازال يوقع البشرية عموما والعرب بشكل خاص في الكثير من المظالم. العرب الذين نهلوا من مدرسة معلم البشرية النبي محمد (ص) وتعلموا منها أن " كلكم لآدم وآدم من تراب" و(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)(الحجرات:١٣)، أضحوا هم المستهدفين من هذه النظريات الزائفة.

خرج علماء الغرب بنظريات مثيرة، وكلما اصطدموا بحقيقة علمية قاموا بعملية التفاف عليها، حتى أن بعضهم نسب العرب في غفلة منه للجنس الأوروبي عندما واجهتهم إشكالية علمية، ألا وهي أن أوروبا كانت قابعة تحت الجليد ولم يسكنها بشر بعدُ في الوقت الذي كان للعرب حضارتهم في سوريا الكبرى ووادي النيل، كل ذلك كان لإظهار تميّز ما للعرق الأوروبي على باقي الشعوب. كانت هذه النظريات تقسّم الشعوب والأعراق حسب الحاجة الاستعمارية، لم تكن لها أية أسس علمية، فمرة هندوأوروبية ومرة هندوجرمانية، ووجود إيران على خط المد الاستعماري الألماني قد أكرمها بالجنس الآري!!. لم يكن هناك أدنى التزام بالحقائق العلمية، ولا لمنهج البحث العلمي الذي ما برحت أوروبا تسير عليه منذ أن تعلمته على يد المعلمين العرب الأوائل.

أما اليهود الذين كانوا يعيشون في عزلة تامة في ما عرف بالجيتو، والذين لم يجمعهم شيء غير الديانة اليهودية، ولم يكونوا في يوم من الأيام أمة ولا نسبًا ولا عرقًا إلا في الكتب المزورة، فقد وجدوا في هذه الصيحة الجديدة فرصة لأخذ موضع ما لحل إشكالية الدونية التي كانوا يعيشونها في أوروبا، فقفز اليهودي النمساوي المدعو "شلوتزر" ببدعة السامية، هذه البدعة التي تحولت في السنين الأخيرة إلى سلاح يُشهر في وجه كل من تسول له نفسه معارضة الدولة اليهودية التي تم غرسها في جنوب سوريا (فلسطين). نظريات قسمت الشعوب إلى أعراق وأجناس، لم يكن لها أساس غير الوهم والخيال والطمع في الهيمنة والاستكبار، كانت أحد أهم الأسباب التي أشعلت الحربين العالميتين والتي راح ضحيتها الملايين من البشر، والحرب الثالثة وشيكة ما لم تتحرك الشعوب وتتحاور بغية إزالة هذه الأوهام التي تؤسس للضغينة والبغضاء بين أمم الأرض.

نلاحظ أن الكثير من العرب في تعاملهم مع هذه الثقافة التي تُبث من الغرب، أنه كلما كتب كاتب في الغرب أو صرّح مسئول بأي تصريح يسئ للأمة ودينها، يسارعون بالمطالبة بالاعتذار وكفى، غير مدركين أنها ثقافة عامة ممنهجة، يراد للغربي والعربي أن يتشبع بها ويعيشها كمسلمات وليست أخطاء أفراد لا يمت الواحد منهم بصلة للآخر. فالاعتذار إلى العرب عن الإساءة لمشاعرهم لا يعني أبدًا إنكار الثقافة التي

يحملها القائل، فهو يعتذر عن الإساءة من دون أن ينكر تلك الأسس التي بنى عليها هذه الإساءة، فهي قد ترسخت في جذور هذه الثقافة واستقرت.

ذكرنا أن التاريخ يشهد بأن العرب لم ينكروا جميل صنع الغرب، إذ لم يكن للغرب حسن صنع معهم أبداً. نرى نموذجًا لم يغب عن وعي الأمة ولغاية اليوم، وهي الحروب الصليبية، الحقبة السوداء من تاريخ أوروبا، يلاحظ المراقب حجم الاشمئزاز الذي يبديه الغرب تجاه هذه الحقبة من تاريخه، بل ونرى أن الكنيسة قد قامت بإعلان البراءة من خطايا هذه الحروب ووجهت الاعتذار إلى اليهود عما لحقهم من جرائها، في حين تغاضت عن تقديم اعتذارها للعرب عن المجازر التي قام بها حملة الصلبان في مسيرتهم لاحتلال بيت المقدس، و التي ارتكبت فيها الكثير من الجرائم بالرغم من أنها كانت عدوانا لا مبرر له، مما مهد لاحقا للتقدم الذي عاشته أوروبا نتيجة للتماس الذي حصل في هذه المنطقة بين الصليبيين والمسلمين، يقول جورج هرنشو: "ولربّما كان التقدّم الملحوظ في تاريخ العهد الأخير من العصور الوسطى ناشئاً إلى حدّ بعيد من تأثير الحضارة العربية التي شملت العالم الإسلامي في ذلك الزمان، لقد تماسّت النصرانية والإسلام في الأرض المقدّسة ويتابع جورج: أما الصليبيون فقد خرجوا من ديارهم لقتال العرب المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يتعلّمون منهم أساليب العلم والمعرفة، لقد بُهت أشباه الهمج من المقاتلين الصليبيين عندما رأوا الكفّار لأنّهم يرفضون ما هم عليه (ويعنون بالكفار المسلمين) رأوا الكفّار ذوي حضارة ترجح على حضارتهم رجحاناً لا تصحّ معه المقارنة فيما عندهم.."[1].

لابأس من إيراد قصة لها دلالتها في هذا المحور الهام من تاريخ هذه الحروب وهي قصة ياقوت الحموي، فقد " ولد ياقوت الحموي سنة ١١٧٨م في اليونان من أب وأم إغريقيين.. وفي شبابه التحق كجندي في الأسطول البيزنطي في البحر الأبيض.. وفي إحدى المعارك البحرية بين المسلمين والرومان سقط أسيراً في قبضة المسلمين وكان أسرى الحرب أثناء الحروب الصليبية في العالم الإسلامي يؤخذون كعبيد ويباعون إلى الأسر المسلمة لترعاهم وتعلمهم. وكان ياقوت الحموي من نصيب أسرة

---

[1] – أحمد داوود، **تاريخ سوريا الحضاري القديم**.

مسلمة من الشام وكان من عادة المسلمين أن يطلقوا على العبيد أجمل الأسماء وأكرمها مثل ياقوت وزمردة ومصباح.. فأطلق عليه سيده اسم ياقوت ونسبه إلى أسرته الحموية.. فسمي ياقوت الحموي.. وابتدأت الأسرة تعلم ياقوت اللغة والدين.. وعندما لمحوا فيه ذكاء اعتمدوا عليه في شئون التجارة.. واعتنق ياقوت الإسلام طائعًا مختاراً.. فحرره سيده من العبودية وأشركه معه في التجارة وأصبح ياقوت وكيلاً وشريكاً يسافر إلى أنحاء العالم الإسلامي.. ومع كثرة الأسفار وحب الثقافة والاطلاع تحول ياقوت إلى الكتابة والتأليف بالعربية الفصحى حول مشاهداته في البلاد الإسلامية فكتب في الجغرافيا موسوعة ضخمة هي (معجم البلدان). بل تبحر في الأدب العربي فألفَّ كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) عن تاريخ الأدب والأدباء في العالم الإسلامي ويقول سارتون عن ياقوت الحموي إنه أصبح واحداً من أعظم الجغرافيين لا في العالم الإسلامي وحده بل في التاريخ الإنساني كله. فهذه القصة تدلنا على حقيقة هامة وخطيرة.. وهي أن الإسلام بتعاليمه ونظامه قد خلق من الجندي الإغريقي الجاهل واحداً من أعظم علماء التاريخ وأن الإسلام كدين وتعاليم كان دائماً صانع الحضارات.. ومنشئ العلم والعلماء.. ولو كان الأمر بالعكس وسقط ياقوت في أسر الرومان لجعلوه طعاماً للوحوش"[1].

لقد تبرأت أوروبا من هذه الحروب التي مضى عليها قرون عديدة، وهي تقرّ الآن عبر كتّابها ومفكريها أنها كانت حروبا غير مبررة وأنها كانت حروباً قد فرضتها عصور الظلام وسيطرة الكنيسة على أوروبا، والكنيسة في روما قد طلبت مؤخرا الصفح من المسيحيين وأتباع الديانات الأخرى عن هذه الحملات المرعبة التي لم تدع منكرا إلا وفعلته، وكل ذلك باسم الرب وتخليص مهد السيد المسيح عليه السلام. لقد شهدت الأمة أحداثا مرعبة حينها وعانت أيما معاناة، كل ذلك والجرائم تؤتى والحرمات تنتهك باسم الرب ولاسترجاع مهد المسيح في حرب سوقت بالقداسة المزعومة لم تندمل جراحاتها بعد. كانت الهجمات شرسة إلى حدّ لا يوصف، فقد كتب المؤرخ (راوول دين كاين): "عمل جماعتنا على سلق الوثنيين ـ يقصد المسلمين ـ البالغين في

---

[1] – أحمد شوقي الفنجري، **تاريخ العلوم الاسلامية من الصفر حتى قمة الحضارة**، ص ١٤– ١٦ .

الطناجر، وثبتوا الأطفال على الأسياخ والتهموها مشوية " ويكتب المؤرخ (البيرديكس): " لم تتورع جماعتنا عن أن تأكل الأتراك والمسلمين فحسب وإنما الكلاب أيضاً.. ويكتب (الأنويم): بعضهم الآخر قطع لحم الجثث قطعاً وطبخها كي يأكلها..وأخيراً في رسالة رسمية جداً كتبت للبابا (مجاعة رهيبة أوقعت الجيش في (المعرة) ووضعته في الضرورة الجائرة ليتغذى من جثث المسلمين). ويذكر المؤلف الفرنسي معقباً على تلك الشهادات: " في الإسلام برمته سيزرع هذا المشهد الخوف ويؤدي بعدد من المدن العربية إلى الاستسلام دون قتال مع وصول الفرنجة"[1].

كانت الحروب الصليبية صورة أخرى للحروب الهمجية، ولم يكن لها مبرر غير الغيرة الحضارية، الباحث عن الحقيقة يرى أن انتشار الإسلام وظهوره على الأديان حينئذ قد ترك أثرا سيئاً بالغاً في نفوس أرباب الكنيسة، ويقول المؤرخون في الغرب عن بعض الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه الحروب، أن أوروبا بدأت تشهد في القرن الحادي عشر الميلادي محاولات للتخلص من الشعور بالدونية تجاه المسلمين الأشد منهم بأسا والأرقى ثقافة، وبدأوا يحاولون بناء ذات جديدة ويشعرون بثقة جديدة. وهكذا كانت الحملات الصليبية جزءا أساسيا من هذه العملية، وعبرت تمامًا عن الروح الغربية الجديدة. وفي معرض دراستها لهذه الحالة تقول أرمسترونغ "إن اختلاق عدو إجراء بالغ الأهمية كوسيلة لتطوير هوية جديدة، وقد وفر المسلمون ذلك العدو الكامل، وإن كان من الواضح أن الفرنجة لم تكن لهم حتى ذلك الحين أية مآخذ على المسلمين، ولم يكونوا يعرفون شيئا عن الديانة الإسلامية سوى أن المسلمين غير مسيحيين وأنهم مقاتلون أشداء، ومن شأن التغلب عليهم أن يعلي كثيرا من شأن الفرنجة"[2].

لم تستطع الكنيسة أن ترقى على نزعة تسلطها ولم ترَ في الإسلام والمسلمين غير منافس ينبغي استئصاله وتصفيته كما لم ترَ في انتشار الإسلام المحمدي إكمالاً لدين

---

[1] – مجتبى العلوي، "صكوك الغفران"، **مجلة النبأ**، العدد ٤٥ :

http://www.annabaa.org/nba45/hroobsalebee.htm

[2] – كارين أرمسترونغ، **الحرب المقدسة ... الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم**، www.aljazeera.net .

الله الواحد، جاء رحمة للبشرية كلها، فقد كانت الكنيسة المتخلفة تعيش أجواء رعب لتلك السرعة المذهلة التي أخذت فيها الرسالة المحمدية بالانتشار، أضف إلى ذلك الوضع الاقتصادي المتردي التي كانت أوروبا تترنح فيه، فأخذت تبث الشائعات لزرع الفتنة بين بني الإنسان، تمهيدا لتلك الحملات البربرية. يقول جون تولان في هذا الصدد "إن المسيحيين قد صُدموا صدمة كبيرة بعد ظهور الإسلام وانتشاره ورأى فيه المسيحيون نكبة كبرى أو مصيبة لا يستحقونها واستغربوا كيف يمكن أن يحدث مثل هذا وهم الأقرب للإيمان الصحيح بحسب اعتقادهم فإذا كان دينهم هو الوحيد الصحيح فلماذا تغلب دين الإسلام عليهم في سوريا وفلسطين ومصر وبلاد فارس وفي حدود بيزنطة والروم؟"[1].

هناك أسباب أخرى قد ذكرها الكثير من الباحثين الغربيين كانت سببًا في إطلاق هذه الحملات، ومنها الأسباب الاقتصادية والسعي لامتلاك أراضٍ جديدة، والأسباب الاجتماعية وأهمها الخلافات بين النبلاء على المراكز في ممالكهم، فكانت تلك الحروب متنفسا للفرق المختلفة لتحقيق المآرب أو لتعويض بعضهم عن فوات حظ ، واستخدم الدين كأداة للوصول لتلك المآرب.

ما نريده هنا ليس تقليب صفحات التاريخ وإبراز الأفعال الهمجية أبّان الحروب الصليبية، فذاك تاريخ قد تخصص فيه علماء، ويمكن أن يراجع القارئ الكثير من الدراسات التي تخصصت في هذه الحروب، وإنما هو توضيح لمسألتين في غاية الأهمية، أولاهما : إن الغرب وعلى عكس ادعائه لم يكن له مع العرب حسن صنع أبداً، والثانية: إن الصورة المشوهة للعرب التي تشكلت في الغرب لتبرير الحشد البربري للحروب الصليبية (وهي الحروب التي تبرأ منها الغرب لاحقًا)، هذه الصورة لا تزال تتحكم بالثقافة الغربية لغاية هذه اللحظة.

---

[1] – جون ف. تولان، "الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون الوسطى"، العرب، **جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ٢٩ يوليو٢٠٠٢ –العدد ٢٢١ :
http://www.albayan.co.ae/albayan/book/2002/issue221/foriegnlib/1.htm.

إن جاز لنا أن نغضّ الطرف عن تلك الحقبة السوداء من تاريخ أوروبا والتي تمثلت في تلك الهجمات التي استمرت مائتي عام وعُرفت بالحروب الصليبية، على أنها كانت هجمات بربرية قامت في فترة عصور الظلام في أوروبا وسطوة الكنيسة، تم التأجيج لها من قبل القساوسة المستبدين، وتبرأت منها أوروبا لاحقاً، فإننا نقف طويلا أمام أحداث الأندلس ونهاياتها، لأنها جاءت بعد احتكاك دام قروناً، تذوقت من خلاله أسبانيا طعم الحرية والازدهار، فلقد تحولت خلال مائتي عام من بلد فقير مستعبد إلى بلد قوي مزدهر، ساهم دخول العرب إليها في تخليصها من ظلام أوروبا، وكانت معبراً حضاريا هاجرت من خلاله مختلف العلوم لأوروبا لتؤسس لاحقا لما عُرف بالنهضة الأوروبية.

التزوير كان عنوان العلاقة بيننا وبين الغرب منذ إخراج العرب من أسبانيا ولغاية نهضة أوروبا وثورتها الصناعية، مرورا بابتداع نظريات الأعراق والسلالات وحتى بداية مأساة فلسطين والتي تمثل فيها التزوير بأبشع صوره، وسنناقش في هذا الفصل هذا التاريخ إلى ما قبل مأساة فلسطين من عدة محاور.

أولاً- محور أوجه التزوير

تعددت أشكال التزوير والتشويه وطمس الحقائق، وكان الجامع المشترك بينها هو هضم حقوق هذه الأمة، واغتصاب تراثها تمهيداً للهيمنة على الوعي والثقافة في كل ما يخص أمتنا، ولإيجاد قاعدة منطقية تمرر من خلالها جميع القرارات الجائرة من قبل القوى الاستعمارية التي كانت ولا زالت سبباً رئيسياً للمآسي التي تعيشها الأمّة ولغاية اليوم.

١) تزوير حقوق الملكية للمكتشفات العربية

١- أثر العرب على الحضارة الغربية

الاستعمار مفهوم يتم تداوله عند الحديث عن الاحتلال، وقد ارتبط في أذهاننا بحقب الاستعمار الغربي للمنطقة، وهو وفق المفهوم المعاصر- يعني الدمار والخراب،

واستنزاف ثروات الشعوب.لم نسمع أن القوى الاستعمارية التي احتلت منطقتنا خلال العصر الحديث قد قامت بعمليات إعمار لهذه الدول، إذ لم يعمّروا إلا ثكناتهم ولم يستثمروا إلا في تلك الأدوات التي تزيد من تمكنهم من سلب ثروات شعوب المنطقة، وعلى عكس العرب الموحدين فعندما انتقلوا غرباً جعلوا من اليونان واسبانيا محطتين حضاريتين ومن ايطاليا حضارة، فكان ساحل المتوسط بشاطئيه الشمالي والجنوبي هو قلب الحضارة بالنسبة لأوروبا . صحيح ما يتردد من أن العرب هم أول من بدأ بالاستعمار ولكن لا بالمعنى الذي نعرفه اليوم وإنما بمعنى العمران والمعمّرين، لا المخرّبين الطامعين، فقد شاع اليوم استخدام كلمة "استعمار" في غير موردها فأصبحت لا تنطبق على حامليها لأنّها مهدّدة بالدمار والخراب. ولهذا قيل إنّ البلدان لم يعرفوا فاتحاً أرحم من العرب، فشهادة معظم المؤرخين المنصفين تفيد بأنّ المدينة العربية قد بقيت متقدّمة على كل مدن الغرب حتى القرن الثامن عشر.

وعندما دخل العرب أسبانيا، أدخلوا معهم بحرًا زاخرًا من علومهم وخيراتهم، وتركوا أهلها وفق تعاليم دين الإسلام يتعبدون وفق قناعتهم، بل إنهم لم يدّخروا جهدًا في تحويل هذا البلد إلى جنة أوروبا وارفة الظلال كثيرة الخيرات على أطراف صحارى جهل أوروبا، وتقول زيغريد هونكة في هذا الصدد " وليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسرّ كما يحلو لنا، والعرب قد احتلوا فعلا جزءًا من أوروبا هو الأندلس؟ فلم يقضوا على المسيحية التي يزعمون أن شارل مارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدنية الغربية التي لم يكن لها وجود!! لقد حوّلوا الأندلس في مائتي عام حكموها من بلد جدب فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف مهذب يقدّس العلم والفن والأدب، قدم لأوروبا سبل الحضارة وقادها في طريق النور"[١].

---

[١] – زيغريد هونكه ، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٥٤٠، ٥٤١.



الأندلس

يؤكد هذه الحقائق معظم المؤرخين، يؤكدون على الدور العربي في إخراج أسبانيا من جهل أوروبا التي كانت ترزح تحته لقرون، " كانت البلاد الأسبانية في الوقت الذي سيطر عليها المسلمون لا تختلف كثيرًا عن بقية بلدان غربي أوروبا من حيث انتشار الجهل والتقهقر العلمي والاجتماعي بسبب طول فترة النزاعات الداخلية والفتن بين المذاهب الدينية المسيحية. ومما يدل على هذه النزاعات أن بعض أمراء أسبانيا ورئيس أساقفة أشبيلية ساعدوا المسلمين على فتح أسبانيا، وما إن استقر المسلمون حتى بدأوا بتنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وأصبحت مدن الأندلس من أغنى وأهم المدن الأوربية لاسيما قرطبة"[١]. بل عُدَّ دخول العرب لأسبانيا حينها عملية إنقاذ كبرى قضت على قسم كبير من الآلام التي كانت تئن تحتها البلاد منذ عصور، ويذكر المؤرخ دوزي: " لقد كان الفتح العربي خيرا لأسبانيا إذ أحدث ثورة اجتماعية هامة فعمل على إزالة قسم كبير من الآلام التي كانت تئن تحتها البلاد منذ عصور"[٢].

---

[١] – سعيد عاشور، **المدنية الإسلامية واثر ها في الحضارة الأوربية**، ص٤٩.

[٢] – روجيه غارودي، **الإسلام في الغرب – قرطبة عاصمة العلوم والفكر**، ص١٦.

فهل كان الغرب مدركاً لأثر الإسلام والقرآن على الحضارة العربية، والتي استفاد منها الغرب لاحقًا ونهض؟ ذلك الأمر كان جلياً واضحاً، بل يمكن لأي باحث أن يتوصل لحقيقة أن الغرب وبالرغم من تجاهله الحالي المتعمد لدور القرآن، يعلم أن ما كان لنهضة أوروبا أن تكون من دون تلك العلوم الربانية التي أكرم الله بها البشرية من خلال الأمّة المعلمة. مكارم الأخلاق، كانت إحدى الدروس التي تعلمها الغرب من العرب، فما كان لَأوروبا أن تخرج من طور الهمجية إلا بفضل المعلمين العرب الأوائل الذين أعطوا العالم نموذجا في توافق حرية الفكر مع استقامة الدين، فهذا غوستاف لوبون يقول "إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوروبا مَدينة للعرب بحضارتها ... والحق إن أتباع محمد كانوا يذلّوننا بأفضلية حضارتهم السابقة، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس! وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين... فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ... ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة... "[1].

٢- التزوير الغربي للمكتشاف العربية

إن **منهج البحث العلمي** الذي أصبح اليوم علامة فارقة وميزة يتمتع بها الغرب، كان أحد هدايا العرب للغرب الأوروبي، ونرى الكتاب المنصفين في الغرب يمجّدون هذه الخدمات الجليلة التي أسداها العرب لأوروبا في الوقت الذي تنسب لأشخاص آخرين، تلك الخدمات التي أضحت أساسا للتقدم العلمي الذي وصلته أوروبا اليوم، فتقول زيغريد هونكه في " الواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشي ليسوا هم

(١) – سلمان بن فهد العودة " **الإسلام والعلم المادي**":

http://www.suhuf.net.sa/2004jaz/feb/15/ar2.htm.

الذين أسسوا البحث العلمي.. إنما السباقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجأوا – بعكس زملائهم المسيحيين – في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم، لقد قدّم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم "[1]. أما الجامعات فلم يكن حالها يختلف عن غيرها، فالمسلمون هم أول من أنشأ الجامعات العلمية " كانت أول جامعة هي (دار الحكمة) التي أنشئت في بغداد سنة ٨٣٠م وذلك قبل أوروبا بقرنين كاملين، تلاها جامعة القرويين سنة ٨٥٩م في فاس ثم جامعة الأزهر سنة ٩٧٠م في القاهرة ثم انتشرت الجامعات في كل مكان وأول جامعة في أوروبا أنشئت في سالرنو بصقلية سنة ١٠٩٠م على عهد ملك صقلية روجر الثاني ثم تلاها جامعة بادوا بايطاليا سنة ١٢٢٢م وكان يشرف على جامعة سالرنو عالم مسلم من الأندلس وآخر يهودي أندلسي تعلم في الجامعات العربية، وكانت الكتب مترجمة من العربية"[2]. وبقيت الكتب العربية هي المرجع الرئيسي في الجامعات الأوربية حتى القرن السابع عشر الميلادي، و"يؤكد كثير من المؤرخين أن عصر النهضة في أوروبا لم يبدأ إلا بفضل الترجمة عن العلوم العربية، ويقسّم المؤرخ سارتون الترجمة إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: بدأها قسطنطين الأفريقي في القرن ١١م. المرحلة الثانية: بدأها جون الأشبيلي في النصف الأول من القرن ١٢م، والمرحلة الثالثة: بدأها جيرار الكريموني في النصف الثاني من القرن ١٢م. ومنذ ذلك الوقت ظلت الكتب العربية المرجع الرئيسي في الجامعات الأوربية حتى القرن السابع عشر الميلادي ومن أهم الكتب التي ظلت المرجع الوحيد في مجالها لمدة ستة قرون:

كتاب الحاوي في الطب للرازي.

كتاب القانون في الطب لابن سينا .

---

[1] – هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب.**

[2] – أحمد شوقي الفنجري، **تاريخ العلوم الاسلامية من الصفر حتى قمة الحضارة**، ص ٣٧، ٣٨.

كتاب التصريف في الجراحة للزهراوي.

كتاب (الجامع الكبير) في طب الأعشاب لابن البيطار.

كتب الجغرافيا للإدريسي وابن حوقل.

كتاب الجبر للخوارزمي.

كتاب الحيل النافعة لأولاد موسى بن شاكر والحيل الهندسية للجزري.

كتاب البيروني في الفلك .

كتاب المناظر لابن الهيثم"[1].

أما اللغة العربية فكانت دليلاً هادياً لعلماء أوروبا للدخول إلى مختلف العلوم والتخصصات، وكان كبار علماء الغرب يعترف بهذه الحقيقة، وعلوم العرب التي انسابت من معابر صقلية والأندلس قد فتحت الأفاق أمام الغرب للخروج من عصر الظلمات ومحاكم التفتيش حيث كانت مدارس اللغة العربية تعجّ من التلامذة الأوروبيين الذين أخذوا يتوافدون عليها طمعاً ورغبة في هذا التخصص أو ذاك. ويذكر بريفولت في كتابه بناء الإنسانية "ولم يكن "بيكون" إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يَملّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. إن روجر بيكون درس اللغة العربية، والعلم العربي، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد، على خلفاء معلميه العرب في الأندلس، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي.... والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشاراً واسعاً، وانكب الناس، في لهف، على تحصيله في ربوع أوروبا"[2].

---

[1] – أحمد شوقي الفنجري، **تاريخ العلوم الإسلامية من الصفر حتى قمة الحضارة**، ص ٢٥، ٢٦ .

[2] – أنور الجندي، **مقدمات العلوم والمناهج**، ، مج٤، ص٧١٠:

http://www.ikhwan-info.net.

ولهذا السبب نجد أن كثيراً من الفلاسفة المتأخرين ينعى تلك الحقبة ويأسف على فواتها، فالمفكر الفرنسي الشهير أناتول فرانس يقول في كتابه (الحياة الجميلة): إن "أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي"[1] – وهي المعركة التي شكّلت هزيمة المسلمين فيها بداية التراجع في الأندلس – هذا الكلام قيل في القرن العشرين، وعلى لسان علماء كبار، وبعد أن شهدت أوروبا آثار تلك العلوم التي ينعم بها الغرب هذه الأيام. إن الباحث مجبر على التوقف طويلا عند مقولة هذا المفكر الفرنسي الشهير، والتي ينعى- محبة لبلاده- فيها أوروبا لانتصارها على العرب في معركة بلاط الشهداء، وبملاحظة أنه كان ينعى الغرب وليس العرب، ولقد ردّد في مقولات أخرى، أن هذه المعركة التي كانت بداية التراجع العربي الإسلامي في أوروبا والذي خُتم بخروجهم من الأندلس قد أخرت نهضة أوروبا قرون عديدة.

إن مثل هذا الرجل الذي درس تاريخ بلده وتاريخ العرب خلال تواجدهم في الأندلس يدرك تماما الفوائد العظيمة التي كانت أوروبا ستجنيها لو أن المد العربي الإسلامي قد تجاوز هذه المعركة، هو يعلم أن العرب كانوا فاتحين معلمين معمرين ينشرون علومهم أينما حلّوا، ولم يكونوا أبدا مستعمرين مخربين... هكذا كان تاريخهم منذ بدء كتابة التاريخ.

العرب المتوحشون ذوو الوجوه السوداء، لقد تشبع وعي الإنسان الغربي بهذه الصورة التي تتحدث عن دخول العرب أسبانيا، قد يعتقد القارئ أنهم يتحدثون عن تاريخ قد اندثر، والحقيقة أنها هي الصورة المهيمنة على وعي المواطن الغربي أو هكذا يراد لها، فهي التي تنطبع في ذهن تلاميذ المدارس. فالحقبة التي كان لها الفضل في كل رفاهية يعيشها الغرب اليوم، يتم إيصالها من خلال صورة مشوهة، وتقول "زيغريد هونكة" عن كيفية رواية التاريخ للأطفال في مدارس الغرب "وتدفقت جموع العرب

[1] – أناتول فرانس، **الحياة الجميلة**:

htm21249bafree.net/forum/archive/-

المتوحشين بوجوههم السوداء وخيلهم الكئيبة فوق أرض أسبانية التي تركها أهلها فزعا . وانثنت الأرض ألماً تحت وقع سنابك خيولهم التي خربت الحقول وهدمت المنازل ولم تترك نبتا ولا زرعا"[1].

مدح العرب حرام، حتى وإن كان نتاج بحث ودراسة في مجتمع يؤمن بأن لا سبيل للإثبات إلا بالبحث العلمي الرصين، تلك هي الحقيقة على مرارتها وغرابتها، فحتى لو انثنى مفكر منصف تجلّت له الحقيقة في يوم ما، وأراد أن يفصح عما اكتشفه، تجد تلك الصورة المستحكمة من خلال مختلف منافذ التعليم والثقافة الموغلة في الإجحاف تحاصره، وفي هذا يقول (بيير روسي): "إننا نعرف، عندما نتكلم عن الوطن العربي أننا في سبيلنا إلى معارضة نظرية مقدسة تجعل من العربي شخصية صحراوية انبثقت في التاريخ في عهد غير محدد أو معروف"[2]. نهضة أوروبا ودور العرب في هذه النهضة لم يبقَ له أثر يذكر في يومنا هذا، إذ تمت مصادرة الحق التاريخي لكثير من العلوم التي انسابت على أوروبا من تلك المعابر الحضارية على يد السّراق والمزورين، فأضحت العلوم المكتشفة على يد علماء الأمّة تنسب لآخرين بعد أن جحد الغرب جميل الصنع وتنكّر له، وعلى سبيل المثال أمسى وليم هارفي وليس ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية، بعد أن تقاذف اكتشافه السرّاق في أوروبا "اكتشف ابن النفيس الدمشقي المصري الدورة الدموية الصغرى، لكن تعاليمه قد أهملت بعده ثلاثة قرون من الزمان. ثم ظهر خلال واحد وستين عاما من ترجمة كتابه إلى اللاتينية (عام ١٥٤٧م) ثلاثة من علماء أوروبا يصفون دورة الدم في الرئة بنفس الألفاظ التي استخدمها ابن نفيس، هم ميشيل سرفيتوس الأسباني الذي نشر كتابه عام ١٥٥٣م ، وقد أعدم بسببه حرقا، وريالدو كلومبر أستاذ التشريح في جامعة بادوا الذي نشر عام ١٥٥٩م رأيه في كتابه، ثم وليم هارفي (١٦٥٨) الذي نشر عام ١٦٢٢ كتابه ونسبت إليه نظرية الدورة الدموية. وقد أثبت البحث العلمي أن هؤلاء الرواد من الغربيين لم يهتدوا إلى النظرية مستقلين عن ابن النفيس، ولا مستقلا

[1] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص ٥٣٩ .

[2] – بيير روسي، **مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب** ، ص ١٨ .

أحدهم عن الآخر. فإن كتاب ابن النفيس قد ترجمه إلى اللاتينية طبيب إيطالي هو الباجو ونشرت الترجمة لأول مرة في البندقية عام ١٥٤٧ وقد كان هذا على التحقيق مرجع هارفي الذي تعزى إليه اليوم هذه النظرية"[١]. وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه "إن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هو في حقيقة الأمر نُصب تذكارية للعبقرية العربية، وقد بقي الطب الغربي قروناً عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية، فإن كتب التراث العربي لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا"[٢].



ابن النفيس

---

[١] - توفيق الطويل، **في تراثنا العربي الإسلامي**:

www.alasfoor.dk/articles/derasah_01

[٢] - عبد المعطي الدالاتي، **حضارتنا في عيون الغربيين**:

http://www.aljannahway.com/www/news.php?action=view&id=2030&s=632c2175dffd97f44463967f2cdf3c52

هذا ليس سوى عينة من عينات التزوير واغتصاب الحق من أصحابه، وان شئت فلتراجع ولتبحث في طيات كتب التاريخ فهي مليئة بالسرقات التي لم يتورع علماء الغرب عن القيام بها، وهذا أقل ما يمكن للباحث المنصف فعله لكي يقف على حقيقة يطمئن لها.

٢) تزوير بدافع الإضرار بالأمة

لقد كان لعلماء الأمّة من قبيل ابن رشد وابن خلدون وغيرهم الفضل الكبير في نهضة الغرب الحضارية، وقد بقيت كتبهم مراجع أساسية لأوروبا ينهلون منها لمئات السنين جيلاً بعد جيل، والأمّة تغط في سباتها بعد أن أطبقت الخلافات بين الدويلات الإسلامية التي قامت في تلك الفترة على واقع الأمّة، وساهمت بشكل كبير في التردي الذي نعيشه اليوم. وقد كانت الكتب العربية تتداول في الأندلس بين التلاميذ وبغضّ النظر عن دياناتهم، إذ لم يفرض العرب في تاريخهم حصاراً علمياً على أحد، بل كانوا معلمّين وشغوفين بنقل تلك العلوم لغيرهم وإشراك البشرية قاطبة في ما توصلوا إليه من علوم ومكتشفات. بل حتى الورق الحديث نفسه قد دخل أوروبا من خلال معبر الأندلس بعد أن نقله العرب إليها. قد احتوى الورق والعلوم التي خُطت عليه على تلك العلوم التي دخلت أوروبا من خلال عمليات نسخ مسموحة لتترجم لاحقا للغات الأوروبية المختلفة، فالعلوم التي أشرنا لبعضها سابقا إنما كانت في الأصل مدونة على شكل مخطوطات تحفظ بعد إجراء النسخ منها. ولكن هل بقيت المخطوطات الأصلية سليمة؟ وهل تم الحفاظ على صحتها وسلامتها من العبث بعد أن نُسخت وتم نشرها لتلاميذ الغرب يستفيدون منها في تنمية مختلف المهارات واكتساب العلوم المختلفة؟

قد لا نستطيع اليوم مهما بذلنا من جهد من تتبع حقيقة التزوير وحجمه وذلك لأسباب موضوعية سنعرض عن التطرق لها ولكننا لا ريب نستطيع الوقوف على نماذج منها قادرة على جعلنا نستوعب عمق الجريمة ومداها وأثرها على الإنسانية جمعاء. فثمة ما هو أدهى وأَمَرُّ من تزوير حقيقة مفردة ينسبها عالم إلى نفسه مثل ما فعل باكتشاف الدورة الدموية، هذا الأدهى والأمر هو عملية العبث

بمصادر الحضارة العلمية للإنسان أياً كان انتماؤه وقوميته بغرض حرمان الأمة من تراثها وعلومها ومحوها من ذاكرة التاريخ. إن العربي ليحق له أن يتملكه شعور بالمرارة عندما يقلّب صفحات التاريخ، شعور يتقد ويزداد وهو يسمع شعارات كلها نبلٌ في ظاهرها، وباطنها سم مدقع، فهناك وبعد خروج العرب المسلمين من الأندلس تمت المأساة، عمليات تزوير ضخمة للمخطوطات الإسلامية جرت على قدم وساق، حتى إذا ما اكتملت النسخ المزورة من المصادر العربية دست في مكتباتنا العربية في ما كان يمثل جريمة بحق الإنسانية وليس في حق العرب وحدهم. لقد أُخضِعَت المخطوطات التي كانت محفوظة في مكتبات العرب في الأندلس إلى عملياتِ نسخ وتزوير مقصودة ولقد شاء الله أن يأتينا أثر من هذه الوثائق الدالة على هذه الجريمة، فكان أن أفلتت وثيقةٌ تحكي قصة هذا التزوير لتلك المخطوطات ألقى بها أحد النسّاخين الذين حُبِسوا في إحدى قلاع الأديرة، حيث كانوا مُكلّفين بالنسخ التزويري بخطوط عربية للمخطوطات والكتب والمؤلّفات العربية، ومن بعد انتهاء المهمة كانوا يصفّون جسديا بواسطة السم، تلك الوثيقة المهمة التي توثق التزوير وأبعاده وكيفيته، تمكن من الحصول عليها أحد المثقّفين السوريين في أسبانيا وهو الأستاذ وليد الحجّار وضمّنها روايته المعروفة (رحلة النيلوفر أو آخر الأمويين).

نص الرسالة:

"اعلم يا أخي أنّي عبدٌ مأمور لا حول له ولا قوة، وإنّي ما عدتُ إلى طليطلة من فاس إلا بأمر من الملك فيليب أحمل له كتباً من خزانة السلطان، إنّ القادر الذي لا يعجزه شيء، قد شاء أن ينكشف أمر صاحبي وخليلي فأذاقه فيليب من السمّ الفاتك، الذي أتينا به من فاس حسب طلبه، وإنّي لا محالة هالك بالسمّ نفسه إنْ عاجلا أو آجلاً، ولن أتركَ حرّاً طليقاً لأذيع خبر النسّاخ المائة والخمسين الذين أنا منهم، نعمل ليلاً نهاراً في إعادة كتابة ما لدينا من مخطوطات عربية، ولعلّ السلطان أدام الله عزّه هو الذي أمر بالقضاء علينا، بعد ما علمْنا ما أجراه النسّاخ من تعديل في مخطوطات كتاب العبر الذي حملناه معنا من خزائنه، والذي

لا يحمل ﻓﻲ الأصل كلمة بربر ﻓﻲ عنوانه،.. اعلم يا أخي أنّ هذه شهادتي قبل أن أموت وإنّي أقسم بالله العظيم، القوي، الكريم، أنّي رأيت النسّاخ الموريسكاس يعيدون كتابة "كتاب العِبَر" وغيره فيبدّلون كلّ ذكرٍ لكلمة "إعرابي" بكلمة "عربي" ﻓﻲ كتاب ابن خلدون، ويضيفون فصولاً بكاملها ﻓﻲ مدح البربر حسب مشيئة السلطان وبذمّ العرب حسب ما بنفوس أصحاب الدير، ويحذفون فصولاً بكاملها ﻓﻲ ذكر مآثر العرب مما كتبه ابن خلدون، اعلم يا أخي أنّ السمّ الذي أتينا به من فاس سيستر الحقيقة إلى الأبد عن أهل الدنيا قاطبة، واعلم أنّ هذه الورقة هي شهادتي أمام ربّي يوم الحشر، وأنّ هذا الفهرس الذي أدفن شهادتي فيه إنّما هو واحد من أربعة فهارس ضمّنتها أسماءَ ما جرى التعديل والتبديل عليه من كتب، وإنّ جميع ما يظنّ المسلمون أنّها أصولٌ محفوظة ﻓﻲ خزائنهم إنّما هي نسخٌ زوّرت بخطّ مماثل لخطّ وتواقيع أصحابها، وأنا ومن معي من الموريسكاس الأسبان، أنا الذي أكتم إسلامي وعروبتي قد ساعدتُ ﻓﻲ هذا العمل الكريه أسوةً بمن حولي من مسلمين غُلبوا على أمرهم نعمل سويّةً مع مولّدين يهود، وجميعنا ﻓﻲ خدمة الإسكوريال والملك فيليب الثالث المأفون الذي قرّر طردنا جميعاً من الأندلس، ربّي اجعل من لدنك قوة تخرج هذا الفهرس من هذا الدير، سأقذف به من الفتحة هذه على أن يبقى سليماً حتى أصل إليه أو ينقذه أحد من المؤمنين، ربّي هذه شهادتي يوم الدين، والآن أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ووليّه ورسوله".

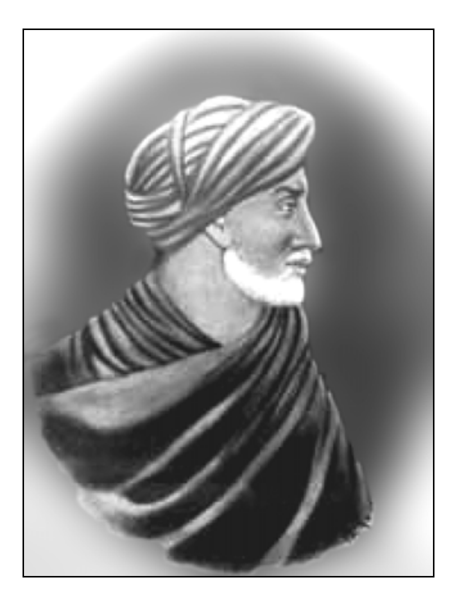
إعلم يا أخي اني عبد مأمور
لا حول له ولا قوة واني ما عدت
إلى طليطلة من فاس إلا بأمر من
الملك فيليب لأحمل له كتبا من
خزانة السلطان . إن القادر الذي
لا يعجزه شيء قد شاء أن
ينكشف أمر صاحبي وخليلي
فذاقه فيليب من السم القاتل
الذي أتيناه به من فاس حسب
طلبه واني لا محالة هالك
بنفس السم إن عاجلا أو آجلا
ولن أترك حرا طليقا لأني
خير النساخ الأئمة والمحسنين
الذين أنا منهم نعمل في السر
ليلا ونهارا . في إعادة كتابة
ما لدينا من مخطوطات عربية
ولعل السلطان أدام الله عزه
هو الذي أمر بالقضاء علينا بعد
أن وقعنا على مشيئته في تعديل
مخطوطات «كتاب العبر» الذي
حملناه معنا إلى هذا الدير من خزانته
والذي لا يحمل في الأصل كلمة
«بربر» في عنوانه . وإعلم يا أخي
أن هذه شهادتي قبل أن أموت
واني أقسم بالله العظيم والقرآن
الكريم أني رأيت النساخ الموريسكاس
يعيدون كتابة كتاب العبر وغيره
فيبدلون كل ذكر لكلمة
«أعرابي» في كتاب ابن خلدون
بكلمة «عربي» ويضيفون
فصولا بكاملها في مدح البربر
حسب مشيئة السلطان وذم
العرب حسب ما يتقول أصحاب
الدير ويحذفون فصولا بكاملها
في ذكر مآثر العرب مما كتبه
ابن خلدون . وأعلم يا أخي أن السم

الذي أتينا به من فاس سيستر هذه
الحقيقة إلى الأبد عن أهل الدنيا
قاطبة وأعلم أن هذه الورقة
هي شهادتي أمام ربي يوم الحشر
وإن هذا الفهرس الذي أدفن شهادتي
فيه إنما هو واحد من أربعة فهارس
ضمنتها أسماء ما جرى التعديل والتبديل
عليه من كتب . وإن جميع ما يظن
المسلمون أنها أصول مخطوطة في
خزائنهم إنما هي نسخ زورت بخط
يماثل خط وتواقيع أصحابها .
وأنا ومن معي من الموريسكاس الإسبان
أنا الذي أكتم إسلامي وعروبتي . قد
ساعدت في هذا العمل الكريه أسوة
بمن حولي من مسلمين . غلبوا على
أمرهم . نعمل سوية مع مولدين يهود
جمعنا في خدمة الإسكوريال
والملك فيليب الثالث الأفون الذي قرر
طردنا جميعا من الأندلس . ربي اجعل
من لدنك قوة تخرج هذا الفهرس من
هذا الدير . سأقذف به من الفتحة
هذه عله يبقى سليما . حتى أصل
إليه أو يتقده أحد من المؤمنين . ربي
هذه شهادتي يوم الدين . والآن أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ووليه ورسوله

صورة الرسالة

وفي معرض تعليق وليد الحجار على هذه الوثيقة يقول "هكذا تحوّل كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر بمسحة قلم، وهكذا أصبحت مقدّمة ابن خلدون التي تحتوي على صفحات في هجاء العرب، لقد زوّرت أربع نسخ من كتاب العبر! إحداها، عادت إلى مكتبة البلاط، في فاس.. والثانية وجّهت إلى جامع القيروان في تونس، أما النسختان الأخيرتان فلقد دُسّتا في دار الكتب في القاهرة! أفلا يتساءل المرء لماذا لم

تُنشر المقدمة في باريس إلا عام ١٨٤١م وفي بيروت ١٨٧٩م؟، وأخيرا في مصر عام ١٨٨٦م أي بعد أن أتيحت لمستشرقي نابليون خلال احتلاله لمصر فرصة دسّ نسختين مزوّرتين عنها في دار الكتب في القاهرة، هل هناك من يتساءل عن أصل النسخة التي في جامع القرويين؟! إذا فليعلم السائل أن واضع الفهرس في مكتبة ذلك الجامع ليس عربيا، بل هو (إلفريد بِل)، وإنّ من ساعده وأيّده في جرد محتويات تلك المكتبة لم يكن إلا رجلاً يُدعى (ليفي بروفونساك) وهو يهودي الأصل"[1] .



ابن خلدون

٣) تزوير الأعراق والسلالات

١- الأعراق والسلالات عند العرب

التراث العربي كله لم يحمل أية إشارة إلى نزعة عنصرية حملها العرب تجاه الأمم الأخرى، ولم يذكر المؤرخون أن هذه المنطقة شهدت بذرة شعور بالتفوق والتميز العرقي لشعب هذه المنطقة. كانت هناك حروب ونزاعات اتخذت طابعاً

---

[1] - وليد الحجار، **رحلة النيلوفر أو آخر الأمويين**، ص ٤٣٦ – ٤٣٩ .

عنصرياً كالحرب العراقية الإيرانية في العصر الحديث، إلا أن هناك إجماعاً لدى المراقبين أن هذه الحرب أشعلتها وغذّت استمراريتها المصالح السياسية لدى الأطراف المستفيدة من تفتيت الأمّة وإشغالها ببعضها البعض، وخلق الضغائن والحواجز النفسية بين أبناء الشعب الواحد، ونرجسية بعض الحكام والأحزاب وطموحاتهم المغرورة، فنرى وكنموذج كيف أنه وبمجرد انتهاء الحرب بين العراق وإيران، عاد الشعبان لسابق عهدهما، وتدفقت جموع الزائرين بين البلدين، وكأن شيئاً لم يكن، بالرغم من غزارة الدماء التي أريقت على أراضي البلدين إلا أن الشعبين يدركان بأن ليس ذلك إلا محض صراعات سياسية، لم يكن أساسها نزعة عرقية من شعب تجاه الآخر، ولم يكن ذلك نتيجةً لثقافة عنصرية متأصلة لدى شعوبنا. فتاريخ هذه المنطقة كان مسرحاً لوحدة سكانية وحضارية ولغوية واحدة منذ أقدم العصور وامتدت لآسيا الصغرى، ويقول بيير روسي في تعريفه للحضارة العربية "إن الحضارة العربية بطبيعة الأمر شاملة، فقد ولدت في حيز جغرافي مترامي الأطراف، من بلاد الرافدين إلى مصر وشمال إفريقيا، بل إلى آسيا الصغرى حتى أندونيسيا..."[١]، ويقول الدكتور أحمد داوود في تعريفه لامتدادها الجغرافي "يجمع علماء التاريخ والجغرافيا الأقدمون أن جزيرة العرب، أو بلاد العرب، كانت تشمل كل الرقعة الممتدة من البحر الأعلى (الأسود) شمالا إلى البحر الأدنى (بحر العرب) جنوباً، وقد تمتعت هذه المنطقة بوحدة سكانية ولغوية وحضارية منذ أقدم العصور"[٢].

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أن المشروع القومي الذي نهضت به بعض الأحزاب في الوطن العربي في العقود الأخيرة والذي لم يكتب له النجاح والاستمرار، إنما جاء في جزء منه نتيجةً لانطلاء التزوير الغربي واليهودي للتاريخ العربي على الكثير من المثقفين العرب، ونتيجة غفلة أصحاب هذا المشروع عن العمق الحضاري لأمتنا،

[١] - بيير روسي، **مقدمة دراسة التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**، لنزيه الشوفي: .www.awu-dam.org

[٢] - أحمد داوود، **العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، ص٢٢٣.

فتمت صياغة هذا المشروع القومي بشكل تم فيه تجاهل المكونات الحقيقية للعروبة، مما أعطى مؤشرات خاطئة حول التعارض والتضارب بين العروبة والإسلام، خسرت بسببه الأمة الكثير من الطاقات والموارد البشرية والمادية والتي كان من الأجدى أن تتوحد في حركة تاريخية تعيد للأمة هيبتها المسلوبة.

لا يمكن لنا أن نتجاهل حقيقة أن العرب كانوا يعتزون بنسبهم الذي يرجع لآدم الأول، وهو الشعب الوحيد الذي يحتفظ بذاكرة تمتد إلى بداية الخليقة، وكان العرب الأوائل يتفاخرون بنسبهم ونحن نرى أن هناك ولغاية اليوم أن الكثير من العرب ممن ينتمي إلى القبائل العربية العريقة يصّر على ذكر نسبه إلى هذه القبيلة أو تلك، بل بقيت المرأة العربية وفي حالةٍ شبه نادرة، الوحيدة من بين نساء العالم التي تحتفظ بنسبها بعد الزواج، إذ جرى العرف عند غالبية الشعوب أن يغير النساء أسماءهن بمجرد الارتباط بزوج ليأخذوا اسمه ونسبه. هذا الاعتزاز بالنسب عند العرب لم يكن نتيجة للشعور بعرق متميز، بل كان العرب يختارون من سلسلة أجدادهم المتميزين مناقبياً لينسبوا أنفسهم إليهم، فنلاحظ أنهم يتجاهلون سلسلة طويلة من الآباء ليستقر نسبهم إلى الأفضل مناقبياً، ويمكن للقارئ التأمل في أسماء العوائل العربية قديما وحديثا لإدراك مقصدنا، فمعيار النسب لدى العرب كان على الدوام، مناقب الأجداد وأخلاقهم. يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه تاريخ سوريا الحضاري القديم "نجد سلسلة من الآباء تمتدّ إلى خمسمائة أب، كما بين معد بن عدنان إلى هاشم، هناك مئات الأجداد، نراهم ينتسبون جميعاً إلى عدنان، اختاروا واحداً متميّزاً بمناقب وقالوا نحن عدنانيّون، وحين تميّز هاشم، صاروا يقولون نحن هاشميّون، ومحمد النبيّ العربيّ (ص) تفصله عدّة آباء عن هاشم، فكان ينتسب إلى هاشم، وهناك مثلاً أميّة أخو هاشم، وله فروع كان بنوه ينتسبون إليه دون غيره، فكلّما تميّز واحد من أولئك الآباء بمناقب معيّنة يختارونه لمنقبته مذكَّراً بها في الاسم، وتخلد عند الأجيال اللاحقة، فلم يكن النسب عشوائيا، بل كانت تدخل فيه القيم الروحية والأخلاقية المناقبيّة، التي لا بدّ منها من أجل الاعتزاز بها، وهذا ما حافظ عليه العرب".

"كلكم لآدم وآدم من تراب"، هكذا تحدث النبي محمد (ص) وهذا ما علّمه أمته، ألا وهي وحدة الأصل البشرية، وهي التي حملها التراث العربي كله، ولهذا لم نجد عند العرب في تراثهم منذ البداية وحتى الآن أيّ تميز عرقي بل لم يكن العربي يمايز بين أيّ عرق في علمه ومعرفته بين البشر، بل كانوا ينظرون إلى كل البشر على أنّهم أبناء أصل واحد، بل أبناؤهم، لأنّ الإنسان العاقل الأوّل قد خرج من جزيرة العرب، وهذا ما جعلهم ينظرون إلى مختلف الشعوب نظرةً واحدة دون تمييز، ونظروا إلى الديانات نظرة واحدة لأن انتشارها بدأ من سلسلة جبال السراة في شبه الجزيرة العربية، وتاريخ اليهود في المنطقة العربية (قبل مأساة فلسطين) خير شاهد على ما نقول، إذ كانت المنطقة العربية هي المنطقة الوحيدة التي لم تشهد اضطهاداً لليهود، بسبب ديانتهم، بل كانت الأمّة ملجأً لهم من البطش الأوروبي في حقب مختلفة، فالاضطهاد للشعوب والديانات لم يجد له موطئ قدم في تاريخنا القديم والحديث، وكل الأفكار والأيدلوجيات العنصرية التي جثمت على صدر المنطقة في العقود الماضية إنما كانت مبادئ مفروضة من الخارج ولهذا لم تستقم وبدأت في التحلل والتلاشي.

لقد أسسّ القرآن الكريم للوحدة الإنسانية في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)(الحجرات:١٣). والقرآن هو المنفذ التعليمي الرئيس الذي يغذي ثقافة العربي والمسلم، وهو الخطاب الذي أوصله لنا خير البرية وخاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد (ص)، لم يقرّ بأي تفوق لجنس على آخر، وقد أسهب الكثير من المفكرين المسلمين في التدبر في هذه الآية واستخراج العبر منها، فكانت هذه الآية وأمثالها هي الموجهة للمسلمين في مختلف العصور تحدد سلوكهم تجاه الآخر وبغض النظر عن دينه ونسبه وعرقه، وما كان عطاء الأمة من تلك المعابر الحضارية في الأندلس وصقلية والتي نهل منها الغرب وقامت عليه نهضته إلا بعض مصاديقها، فالتاريخ يشهد بأن العرب لم يدّخروا جهدا في نقل العلوم ونشرها في أوروبا المسيحية، بل ولليهود أيضًا، ولم يفرض العرب يومًا ما حصارًا علميًا على أي كائن نتيجة ديانة أو عرق أو نسب.

٢- ظهور نظريات التفوق العرقي في أوروبا

بدأت البرجوازيات الأوروبية تفتش عن أسواق جديدة بعد بدء مرحلة الاستعمار وبروز الحاجة إلى أسواق في الخارج ومصادر وموارد للطاقة، وبعد أن شيدت جيوشها القومية وزودتها بأحدث الأسلحة، اتجهت نحو الشرق الواسع بأسواقه، فخرجت من أوروبا وبالخصوص ألمانيا نظريات تقسم شعوب العالم حسب الحاجة التي يقتضيها الوضع الاستراتيجي للاستعمار، فتم تقسيم مختلف الشعوب إلى هندوجرمانية أو هندوأوروبية أو آرية، وهكذا. كانت التقسيمات لا تمت للعلم ولا للواقع بصلة، فمصطلح سامي على سبيل المثال جاء نسبة إلى سام، وهو سام بن نوح عليه السلام أخو حام ويافث، قاموا بفصل يافث عن أخويه وأبيه، واشتقوا سلالات مضحكة لكل ابن من أبناء نوح وكأن الإخوة أقوام مختلفة، وكأن كل واحد منهم يتكلم لغة لا علاقة لها بلغة الآخر[١]. لقد دفعت هذه النظريات التي لم تستند إلى أي أساس علمي، الكثير من القبائل الأوروبية المتخلفة، إلى الشعور بشئ من الرقي ورفعة الشأن على من سواهم، أخذت هذه العشائر تشعر أنها تنتمي إلى جنس راق واكتشفت بين ليلة وضحاها نسبها إليه، فصار الألمان يشعرون بالتميز بانتمائهم للجنس الآري أو الجرماني، بالرغم من أن ألمانيا لم تتحضر إلا في القرنين الأخيرين، بل ويذكر الباحثون الغربيون أن القبائل الجرمانية كانت حتى القرن الرابع الميلادي تتغذى على لحوم البشر، أي بعد زمان نوح (ع) بأكثر من ثلاثة آلاف من السنين!

لقد تنبه المؤرخون المنصفون في الغرب لهذه الحقائق و إلى أنها تستهدف الشرق، وتنبهوا إلى النتائج التي يمكن أن يؤول إليها هذا التزوير، وأطلقوا الصرخات، كحال بيير روسي في قوله " وإنها لمرفوضة نظرية عرقية اللغات هذه التي اخترعوها، مقسّمين العالم تعسفاً، إلى ساميين وآريين، أي إلى شعوب لم يستطع أي تحليل علمي أن يثبت وجودها. وإنه لمن الحمق كذلك، أن يعطي هؤلاء العلماء أنفسهم، انطلاقا من وثائق لا وجود لها، أو مشكوك فيها، أو لا معنى لها، من الحمق أن يعطوا الحق لأنفسهم في إعادة الحياة لعصور كاملة مفقودة في ليل الزمان. إنه ادعاء وابتذال أو

---

[١] - راجع بحث: **طوفان نوح - بين الحقيقة والأوهام**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

أحكام مسبقة من التشهير ضد الشرق، وإنها روح استعمار أبوي تحاول عرض نفسها. تلك هي الأفكار الرئيسة التي جعلت جياد الباحثين الأوروبيين تتجه، بحجة العلم، نحو كتابة التاريخ "[١]. بيير روسي يصف أعمال هؤلاء العلماء بالحمق، وإنه لعلى حق، فالروح الاستعمارية والجشع قد هيمن على علماء الغرب حتى أصبحوا ماكينة لإصدار نظريات لا أساس لها، ولا تمت للعلم الموضوعي بصلة.

٣- بداية سماع العالم لنعت السامية

كتب التاريخ القديم خالية من هذه المصطلحات، ولهذا فالبعض يتساءل عن أصل هذه المسميات التي تم اختلاقها خدمة لمصالح الغرب ورغبة في دفن تاريخ الأمة العربية في الرمال، فلم يكن هناك في يومٍ ما، تعبير أو وصف لما عُرف في القرنين الأخيرين بالآرية أو السامية، ويقول بيير روسي "والواقع أنه انطلاقاً من الوثائق والمصادر والمواد التي كانت تحت تصرف العالم، يبدو من المستحيل البرهان على وجود شعوب سامية وآرية، وبالأحرى إعطاء الحدود والفروق الخاصة بينها، كما أنه يبدو كذلك خاطئا في منطلقاته مثلما هو خاطيء في عرضه ووقائعه. إن تعبيري (سامي وآري) ليسا شيئا، ولا يدلان على شيء. ولكي يكتسبا حقيقة ما، أو لكي يصلحا نقطتي انطلاق تاريخيتين، ينبغي أن يكون هذان الشعبان قد امتلكا من قبل صفتي الآرية والسامية. وأنه ليس هناك إنسان ما، أو ثقافة ما، أو مجتمع ما، قد طالب بالارتباط بالمصير السامي أو الآري"[٢]. السامية أصبحت مصطلحاً رائجاً في عصرنا الحاضر، لم يسمع به العالم قبل القرن الثامن عشر، إلا حين ولدت هذه البدعة على يد اليهودي النمساوي "شلوتزر" عام ١٧٨١، ولأسباب لا تخفى على الباحثين، إذ يذكر الكثير من الباحثين أن هذا الكاتب اليهودي كان يعاني مما عانى منه اليهود على الدوام في أوروبا على يد المسيحيين الأوروبيين، من اضطهاد وتمييز لم يتوقف على مدى التاريخ، رسّخ الشعور بالدونية لدى اليهود. ونلاحظ أنه حتى إبراهيم (ع) في

---

[١] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص١٠.

[٢] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ١٩.

التوراة لم يقولوا عنه أنه ساميّ، والتوراة كلّها بغض النظر عن الزيادة المدسوسة لمدح سام شخصيًا على لسان نوح، لم تمتدح السامية، وإبراهيم كأب لإسرائيل، وكمتنازع على إرثه أطلقوا عليه اسم "الآرامي التائه" لا الساميّ!. ويدعو بيير روسي إلى الحذر عند التعامل مع هذه البدعة في قوله "إننا لن نجد هذا التعبير قبل نهاية القرن الثامن عشر. ذلك أن العالم الألماني شلوتزر هو الذي صاغ هذا النعت (السامي) في مؤلف نشره عام ١٧٨١ وأعطاه العنوان التالي: (فهرس الأدب التوراتي والشرقي) كأن الأدب التوراتي ليس شرقيا. إن هذا التقسيم الذي حدده لنا شلوتسر يدعونا إلى الحذر"[١]. الحذر الذي ينبّه له بيير روسي جدير بالاهتمام، حيث أن هذه التسمية تريد أن تدفعنا إلى الإقرار بأن اليهودية (الدين اليهودي) عرق أو سلالة، لأناس ينحدرون من جدّ واحد، وهو سام بن نوح، وذلك مما لا يقبله علم ولا عقل، حيث يؤكد جميع الباحثين والمؤرخين باستثناء المغرضين، والناقلين عن غيرهم بغير تمحيص من الكتّاب العرب الذين أساؤوا للأمّة أكثر من إساءة أعدائها لها، يؤكدون أن اليهودية دين وليست نسباً أو شعباً أو عرقاً أو أمّةً، صحيح أنّها ظهرت ونشأت في الأرض العربية حالها كحال الديانات الأخرى، إلا أنها تبقى دينا كباقي الأديان، انتشرت في الخارج على يد العرب كديانة يعتنقها أي إنسان، كالمسيحية والإسلام وغيرها من الديانات. قوي عودها (اليهودية) عندما اعتنقها "ملك الخزر"[٢]، وتبعه قومه في هذا، عندما دفعته الظروف السياسية لذلك، وانتشروا في أوروبا الشرقية وألمانيا ثم الغربية إلى العصر الحديث حيث بدأوا بالتدفق على الأرض الجديدة في أمريكا الشمالية. ليس فقط التحليل العلمي والبحث التاريخي هو الذي يدفعنا لرفض هذا النعت، فنحن نعيش عالماً أضحى منفتحاً، ولا يصعب على أي إنسان أن يدرك جنسية هذا اليهودي أو ذاك وبكل بساطة، حالهم كحال أصحاب الديانات الأخرى من مسلمين ومسيحيين وبوذيين وهندوس وغيرهم. فالدين لا علاقة له بعرق البتة.

---

[١] – بيير روسي، **مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ١٨ .

[٢] – راجع بحث: **اليهود وتوراة الكهنة**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

ولو أردنا أن نندفع قليلاً مع التقسيمات العرقية، فسيكون الأصح أن نقول أنهم عرقيا خزريون، لا يمتّون للعرب بصلة والإصرار على أن نسبهم يصل إلى سام بن نوح (ع) إنما يشكل استخفافا بالعقل الإنساني. وللأسف انتشرت هذه الخرافة في الغرب انتشارًا سريعًا، وأضحت محورًا للكثير من المقالات والكتب، بل أضحت بنداً دائما في قوانين وتشريعات الدول المتقدمة.

٤- دوافع هذا التزوير

إلغاء الآخر مرض يصيب الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، وهو نتيجة اعتقاد الفرد بمحوريته وأن كل ما يراه هو، عين الصواب، ورأي الآخر خطأ ينبغي تصويبه، ويلجأ الفرد المريض حينها لمحاولة تغيير الواقع بشتى الطرق، حتى لو اضطر لممارسة القوة القهرية إن فشلت محاولاته السلمية المختلفة إذا ما امتلك من أسباب القوة والأدوات اللازمة لفرض رأيه أو تحقيق مطلبه. استشراء هذا المرض في أي مجتمع من المجتمعات بين الأفراد يؤدي في الغالب إلى تحول هذا المرض إلى حالة مرضية جماعية يُبتلى به المجتمع برمّته.

نقل عن الامام الصادق (ع) قوله "ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه"[1]، فالإحساس بالذلة والشعور بالدونية يكون في العادة هو المحفّز لهذا الوباء، سواء كان هذا المرض قد أصاب فرداً أم جماعة، فنرى في أوروبا نماذج حية للحالة المرضية التي أشرنا لها تتجلى في حالتين:

أبّان الحروب الصليبية، فالحدود التي بلغتها الرسالة المحمدية في فترة وجيزة من خلال انتشارها في قارات بأكملها، أعطتها سلطة مهيبة تجاوزت فيها ما كان يُمكن تقبله من أرباب الكنيسة حينها، فلم يعد محتملاً لدى هذه الكنيسة رؤية دين جديد يمتلك من القوة المهيمنة على القلوب ويزيحها من موقع الصدارة والتحكم في مصير الشعوب. وتمثلت قوة أوروبا حينها في القدرة على حشد الجيوش الغازية من خلال

---

(١) - الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج٣، ص٢٦٥٦ .

تجييش العواطف الدينية، مستفيدة من الوضع الاقتصادي المتردي في أوروبا والذي كانت تعاني منه أشد المعاناة، قابلها ضعف ووهن العالم الإسلامي الذي مزّقته الخلافات السياسية الداخلية.

بعد أن نهضت أوروبا بالعلوم العربية وامتلكت أعنّة الصناعة وأصبحت قوة علمية وتقنية، حيث كان تاريخ المشرق العربي والحضارة التي تأسست في هذه المنطقة من العالم محفوراً في الذاكرة، أخذت عيونها تمتد للخارج رغبة في إخضاعه والهيمنة عليه، فكان اختلاق تميّز ما ضرورياً ليكون رافداً للقوة الاقتصادية والعسكرية، تم ذلك من خلال اختلاق الأعراق والسلالات. تمثلت قوة أوروبا حينها بامتلاكها لأعنّة الصناعة، فشيدت الجيوش وجهزتها وامتدت عيونها إلى ما وراء الحدود، قابله تداعي الدولة الإسلامية وضعفها بعد أن أوهن فساد العثمانيين جسدها وبعد سلسلة الفتن التي مابرحت أن تخرج من واحدة حتى تدخل في أخرى.

أما اليهود الذين كانوا يعانون من ذات المعضلة الدونية والإحساس الدائم بالانكسار تجاه الأوروبي، فقد وجدوا ضالتهم في هذا التوجه المسيحي الأوروبي، واشتركوا معهم في الدوافع التي تمثلت وكما أشرنا في اختلاق هوية جديدة تخرجهم من هذا الشعور المتأصل، فكان شلوتزر وبدعة السامية مخرجاً حيوياً حينها.

ثانياً- محور تداعيات التزوير

لقد كانت الثقافة الغربية عن أمتنا هي أول ضحايا هذا التلفيق والتزوير وقد أضحى كشفه واجباً على مثقفينا والباحثين المنصفين في الغرب، حيث ستشكل معالجة هذه الأمور مدخلاً شريفاً للتعامل مع كافة المشاكل التي تعتري العلاقة بين الأمة والغرب المسيحي في عصرنا الحاضر.

١) تداعيات التزوير على العقلية الغربية

لقد تمكن هذا التزوير من العقلية الغربية تمكناً تاماً، وأضحت تلك الصرخات التي تنطلق من مفكر هنا ومفكر هناك لتنبيه الغرب لهذا التلفيق والتضليل غير ذات

جدوى نتيجة لاستحكام هذا التزوير في ثقافة المواطن الغربي. وما حروب هتلر العنصرية وجنون العظمة الذي احتنكه إلا عينة من نتائج هذا التزوير الذي بدأه أسلافه وواصله هو نفسه وعلى الدرب ذاته.

لقد بحث بعض المؤرخين العرب تداعيات النظريات العرقية المبتدعة في أوروبا على مثقفي ومفكري الغرب، وكشفوا الاعوجاج ونمط التفكير الذي تولد هناك حتى لم يعد للعلم- والذي يعتبر الغرب سادته في عصرنا الحاضر- ولا للبحث العلمي المنهجي مكان عندما يتعلق الأمر بتفوق الجنس الأوروبي، فيستعرض الدكتور أحمد داوود في كتابه "تاريخ سوريا الحضاري القديم" كتاباً غربياً بعنوان "الأثنوس والتاريخ" لمؤلّفيه "بروملية" و"بودولني" الرّوسيّين، هذا الكتاب يُعد أنموذجا لكل ما يكتب أو كُتب في الغرب حتى الآن حول موضوع الأثنوس والتاريخ، تظهر فيه تلك النمطية التي ترسخت لدى المثقفين الذين ما برحوا يبثون هذه المغالطات للشعوب الغربية. يقول الدكتور أحمد داوود وبعد أن قام أولاً بتفكيك اسم الكتاب وعنوانه وأرجعه لأصله العربي، ثم بدأ بتفكيك المقولات والنتائج المثيرة والغريبة التي توصل إليها الكاتبان، يقول:" في كتابهما في الصفحة ٥١ يقولان (لا يقطن الجنس الأوربيّ في أوروبا وحدها، كما تفترض تسميته، إنّه يشغل أفريقيا الشمالية كلّها وآسيا الغربيّة بأسرها والعرب من الجنس الأوربي، وهو يشغل سيبيريا (الروس) وإيران وأفغانستان والهند)! كيف؟ ولماذا هذا التحليل المعّوج؟ ويقولان (أي الكاتبان) وإنّ الشمال كان مغطّى بجبال الجليد العملاقة، وحتّى أواسط أوروبا حتى ما قبل ٣٠٠٠ سنة، وكان انحساره مسافة ١٠٠ كيلومتر يستغرق مائة سنة كاملة، وإنّ تاريخ أوروبا قبل ثلاثة آلاف سنة غامض بالنسبة لنا! (رغم كلّ هذا ما هي النتيجة التي يتوصّلان إليها ؟؟).

لا أحد يعلم ثمّة أمٍّ أوربية كانت تقبع تحت الجليد في الألف الخامس قبل الميلاد (حيث الجليد لم ينحسر عن وسط أوروبا قبل ذلك التاريخ)، وتتنسل تحت الأرض العرب القدامى من سوريّين ومصريّين (عرب وادي النيل) الذين تعود مدنهم القديمة المكتشفة إلى الألف العاشر قبل الميلاد. ويضيف الدكتور أحمد داوود، يا لها من نتيجة، كلّ شيء جاء من الجنوب والشمال كان مغطّى بالجليد، لكن كان هناك جنس أوروبي!!. فكيف يوجد جنس أو عرق غير العربي وهو لا

يزال لم تكن له أرض؟ إنّ العرب ليسوا من الجنس الأوربي، والعكس هو الصحيح، لكنهم مع معرفتهم الحقيقة لا يعترفون بها، وأحياناً يدعون هذا العرق بالمتوسطي كأنّه نبع من تحت ماء البحر المتوسّط كلّه، بل العكس، إنّ الإنسان العاقل جاء من أرض هي شرق المتوسط تحديداً، فكيف إذن ينسل العرب من جنس أوربي لا تزال أرضه قابعةً تحت الجليد؟! والمنطقة العربيّة هي الوحيدة التي انحسر عنها الجليد قبل أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، وأوروبا ما انحسر عنها الجليد إلاّ قبل الألف الخامس من الميلاد! هذا تزوير فادح مفضوح. ويقول المؤلّفان أنّ الدين اضطلع ومازال يضطلع بدور هام في تاريخ البشرية، وإنّ الزراعة والحضارة إجمالاً قد ظهرتا في البلدان الجنوبية أولاً بالذات، ويعترفان بأنّ الزراعة والحضارة بدأت في البلدان الجنوبية، ولكنّ يقصدون بها الحوض المتوسّط، اليونان والرومان، ولكنّ اليونان والرومان لم يعرفوا الزراعة ولا الحضارة إلا عن طريق المعلّمين الذين قدموا من الخارج أي السواحل السورية، الذين جاءوا من شرق المتوسّط، فإذا كانت روما قد ولدت في القرن الثامن وليس أكثر من أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، أي ما بين ٨٠٠ و٩٠٠ ق.م ، فإنّ المدن الزراعية في المشرق العربي تعود إلى الألف العاشر والتاسع والثامن والسابع والسادس!! وباكتشاف خصائص الكربون المشع رقم (١٤) الذي به يحدّد عمر المادة، تُحدّد بعض المدن والتي تعود إلى الألف الثامن قبل الميلاد.

فأيّ جنوب يقصدون؟!. فإذا كانت كلمة أوروبا نفسها جاءت من اسم إحدى الأميرات العربيات، وفي حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد، وقبل ١٨٠٠ قبل الميلاد لم يكن شيء اسمه أوروبا، ثم إذا كان الجليد ـ كما يعترفان ـ يغطّي أواسط أوروبا وقسما من جنوبها حتى الألف الثالث قبل الميلاد أو الرابع قبل الميلاد، وإذا كانت المدن العربية تعود إلى عدّة آلاف قبل الميلاد، فأيّ جنس أوروبي هذا الذي صار العرب ينتمون إليه؟ لماذا عكسوا الآية؟ لماذا وضعوا الحصان خلف العربة؟

قلنا عندما ينحسر الجليد، فهذا الإنسان المتواجد في المركز هو الذي يتبع الأرض التي انحسر عنها الجليد، وليس هنالك أمٌ كانت تقبع تحت جبال الجليد لتنسل جنساً

اسمه أوربيّ ومعه العرب من هذا الجنس، فأيّة مغالطة وأيَ تناقض إن لم يكن المقصود التزوير والتحريف؟!"[١].

لعل الكتاب المشار إليه قد أوضح ما كنّا نرمي إليه من أثر التزوير الهائل على مسار التفكير العلمي كلما قرب علماء الغرب من مسألة الأجناس والأعراق، فقد تأصلت لدى معظم علماء ومفكري الغرب بنية معرفية تحتية، أضحى من الصعب إرجاعها لجادة الصواب نتيجة للهيمنة التامة للقوة المتسلطة على الجامعات ومراكز البحث العلمي ووسائل الإعلام الغربية.

لقد خلق التزوير حاجزاً نفسيا أمام الشعوب الغربية ووضعها في حالة عداء مصطنع مع الأمة، عمل هذا الحاجز النفسي مع عوامل أخرى على تعميق الهوة بين الشعوب الغربية والعربية الإسلامية، أسهم لاحقاً في تأجيج نوازع التطرف لدى بعض الحركات العربية والإسلامية أدت في بعضها للمآسي التي ذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء من كلا الطرفين.

٢) تداعيات التزوير على العقلية العربية

لعل النموذج الأول من التزوير الذي استعرضناه والذي تمثل في سرقة اكتشافات علماء الأمة ونسبتها إلى أبطال وهميين لا علاقة لهم بأصل هذه الاكتشافات، لم يعد له شأن عند الكثيرين من أبناء الأمة، حيث يُعد من قبلهم تاريخا قد مضى، ولكن النموذج الثاني الذي لم نستطع العثور على تفسير له غير استهداف تدمير البنية التحتية لمعارف الأمة، فنموذج تزوير مقدمة ابن خلدون إنما يشعل شرارة تهز ضمير ووجدان كل إنسان، ومن أي دين أو ملة كان وليس العرب وحدهم، فهذا التاريخ العريق للأمة تعرّض لتزوير ينبغي أن يفتح الباب على مصراعيه لكافة مثقفي الأمة بطرح التساؤلات التالية:

هل كانت مخطوطة مقدمة ابن خلدون هي المخطوطة الوحيدة التي زوّرت؟ وما هي تداعيات هذا النوع من التزوير؟ هل ينبغي للأمة أن تنتفض وتقوم بمراجعة ما

---

[١] - أحمد داوود، **تاريخ سوريا الحضاري القديم** - المركز، ص ٦٣١ - ٦٤٠.(بتصرف)

لديها من موروث قد تمكن أعداؤها منه يوما ما؟ فإن كل ما لدينا اليوم كان في يوم من الأيام مخطوطة من المخطوطات، ونحن لا نمتلك اليوم دليلاً واحدًا على عدم تمكّن العابثين من أي من هذه المخطوطات باستثناء كتاب الله المجيد الذي وعد الله بحفظه إلى يوم الدين (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(الحجر:٩).

أما تداعيات نظريات الأعراق والسلالات على الأمّة فلها شأن آخر، وحيث أن موضوعنا يتعلق باختلاق الأعراق والسلالات الذي استهدف الأمّة بغية تفتيتها والهيمنة على مقدراتها، فكان لا بدَّ من الإشارة إلى ثلاث حالات معاصرة، لأهمية ذلك في توضيح ما نرمي إليه. الفرس والأكراد حالتان كثر الحديث عنهما، الفرس أثناء الحرب العراقية الإيرانية، والأكراد وأزمتهم مستمرة منذ عقود مع الدول التي يقيمون فيها وبالتحديد العراق. كما جئنا بحالة أخرى وهي البلوش،لم تحدث معهم نزاعات تذكر، ولكن لا زال يُنظر إليهم كشعب وافد غريب على هذه المنطقة.

الفرس - في نسبهم، "إيران وفارس اسمان استعملا للدلالة على قطر واحد، ولكنهما ليسا مترادفين تماماً، فلما هاجرت الأقوام الآرية من موطنها الأصلي جنوبي بحر الآرال إلى الهضبة المرتفعة الواقعة أسفل بحر قزوين، سموا الموطن الجديد "إيران" ومعناها "موطن الآريين"[١]. بكل أسف الصورة مقلوبة في هذا التعريف، وهذا جلّ ما نحاول بيانه في هذا البحث، أن الغرب عمل على قلب الصورة وأعاد تصديرها لنا لنضعها في قواميسنا ومعاجمنا، ونعلّمها أبناءنا. يقول هذا التعريف أن معنى إيران هو (موطن الآريين)، وهذا بالضبط ما قاله الألمان في بدعتهم التي أخرجوها للعالم عندما وجدوا أن إيران واقعة على الخط الاستعماري، فدفعتهم هذه الحاجة الاستعمارية لاختلاق هذه المسميات التي لا تمت للعلم والواقع بصلة.

أما التاريخ الحقيقي للأمّة فيؤكد على أن الفرس جزء لا يتجزأ من أمّة العرب، ويقول ابن خلدون في تاريخه "الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم وكيف كان مصير أمرهم إلى تمامه وانقراضه. هذه الأمة من أقدم أمم العالم وأشدهم قوة وآثارًا في الأرض. وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من ولد سام بن نوح

---

[١] - موقع: **قناة الجزيرة** www.aljazeera.net .

وان جدهم الأعلى الذي ينتمون إليه هو فرس. والمشهور أنهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح وأرض إيران هي بلاد الفرس. ولما عُرِّبت قيل لها أعراق. هذا عند المحققين. وقيل: أنهم منسوبون إلى إيران بن إيران بن أشوذ. وقيل إلى غليم بن سام"[١]. فهم يرجعون نسباً إلى سام ابن النبي العربي السرياني نوح عليه السلام وعلى خلاف ما يريد المزورون دسه في مراجعنا.

أما كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، فيقول " قال ابن إسحاق من ولد فارس بن لاود بن سام وقال ابن الكلبي: من ولد فارس بن طيراش بن اشور بن سام وقيل من ولد طيراش بن همدان بن يافث وقيل من بني أميم بن لاود بن سام ووقع للطبري أنهم من ولد رعوئيل بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام قال في العبر: والالتفات إلى هذا القول لان ملك الفرس أقدم من ذلك"[٢]. وهنا يخلص هذا المرجع إلى ما خلص إليه ابن خلدون من أن نسبهم يرجع إلى سام بن نوح عليه السلام.

وكذلك نلاحظ في تاريخ أبي الفداء الذي يقول " وقد اختلف في نسب الفرس فقيل أنهم من ولد فارس بن ارم بن سام وقيل: أنهم من ولد يافث والفرس يقولون: إنهم من ولد كيومرت وكيومرت عندهم هو الذي ابتدأ منه النسل مثل آدم عندنا ويذكرون أن الملك لم يزل فيهم من كيومرت وهو ادم إلى غلبة الإسلام خلا تقطعا حصل في مدد يسيرة لا يعتد به مثل تغلب الضحاك وفراسياب التركي"[٣].

أما لغة أهل فارس فكانت العربية بلهجتها السريانية، والمراقب يدرك فور التحقيق في ما يعرف اليوم باللغة الفارسية أنها في معظمها لغة عربية قد تعرضت لتغيرات كثيرة نتيجة لظروف ليست من اختصاص هذا البحث، فقد أشبع الباحثون هذه المسألة بحثًا وتنقيحاً، ويمكن الرجوع إلى بحث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية حول اللغات للمزيد من التفاصيل.

---

(١) - ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ص٥٠ — ٢٥٨.

(٢) - القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، www.al-eman.com.

(٣) - أبي الفداء، **تاريخ ابي الفداء**، www.al-eman.com.

قبل بعثة النبي (ص) كان الفرس مثلهم مثل أيّ قبائل أخرى يأتون ويطوفون بالكعبة.. وكان آخر من حجّ منهم ساسان بن بابل وهو جدّ البشير بن بابل وهو أوّل ملوك الساسان، وفي ذلك قيل شعراً:

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الأقدم

وقد افتخر شعراء الفرس بعد غلبة المسلمين ودخولهم الإسلام..

وما زلنا نحجّ البيت قدماً ونلقي بالأباطح آمنينا

وساسان بن بابل سار حتى أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به وزمزم عند بئرٍ لإسماعيل تروي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً مع صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابل أهدى غزالين من ذهب وجوهراً وسيوفاً وحلياً كثيرة ألقاها في زمزم[1]. وكانت عاداتهم كعادات إخوانهم من قبائل الجزيرة العربية، وبعد الإسلام أصبحوا كأيّ عربي آخر ضمن العقيدة الواحدة والتراث الواحد، وبغضّ النظر عن الحروب التي جعلتهم في عداء واستعداء مع أطراف هنا وهناك، فقد كانوا يحرصون على إبقاء الصلة وثيقة بالقبائل العربية الأخرى، بل كانوا يبعثون للعرب أبناءهم في إشارة لإصرارهم على إبقاء الصلة مع أمتهم وعمق هذه العلاقة " وكان ليزدجر المذكور ولد اسمه بهرام جور وكان أبوه يزدجر قد أسلمه عند المنذر، ملك العرب ليربيه، بظهر الحيرة، فنشأ بهرام جور هناك وقدم على أبيه قبل هلاكه، وبهرام جور في غاية الأدب والفروسية" [2].

فالفرس سلاليًا عرب ينتهي نسبهم إلى نوح عليه السلام، وإيران حضاريًا هي جزء لا يتجزأ من الأمة الواحدة، وأنّ عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وكتابتهم بمجملها هي عربية. والتفريق الذي أراده أعداء الأمة جاء بسبب برامج الدول الاستعمارية ومخططاتها.

---

[1] - للمزيد من التفاصيل راجع: المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ص١٠٢- ١٠٤.

[2] - أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ص ٣٠.

أمـا الأكـراد . فهـم أيضًـا كـانوا ضـحية لهـذه الفـتن الـتي ابتغاهـا المسـتعمرون، وأضحت بسببها كردستان وبالخصوص في الجزء العراقي منها بؤرة من بؤر التوتر الدائم في منطقتنا، أدخل هذا الشعب في طاحونة معارك لم تنته واحدة حتى تعود أخرى، ساعدت على تأجيجها الأنظمة السياسية المتعاقبة ودولة الكيان الصهيوني.



يقول المسعودي في مروج الذهب " وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم؛ فمنهم من رأى أنهم من ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان، انفردوا في قديم الزمان، وانضافوا إلى الجبال والأودية، دعتهم إلى ذلك الأنفة، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم أعجمية، ولكلِ نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية، ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار، وأنهم من ولد كرد بن صعصعة بن هوازن، وأنهم انفردُوا في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان، ومنهم من رأى أنهم من ربيعه ومضر، وقد اعتصموا في الجبال طلباً للمياه والمراعي فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم" . ويضيف المسعودي "وما قلنا من الأكراد فالأشهر عند الناس؛ والأصح من أنسابهم؛

أنهم من ولد ربيعه بن نزار، فأما نوع من الأكراد- وهم الشوهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة، وهي أرض الدينور وهمذان- فلا تناكما بينهم أنهم من ولد ربيعه بن نزار بن معد، والماجردان- وهم من الكنكور ببلاد أذر والهلبانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الشادنجان والمادنجان والمزدنكان والبارسان والخالية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حلّ بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم- فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار، ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي"[1].

المصادر تؤكّد بأنّ الأكراد ترجع أصولهم إلى شبه الجزيرة العربية، وأنّهم عرب يقطنون شمال شرق الجزيرة العربية وهم من العرب الرعاة الذين كانوا يسكنون الجبال. كانت لغتهم هي العربية الشفوية أخذت تتحول مع اختلاطهم بقبائل مغولية وقوقازية وابتعادهم عن شبه الجزيرة العربية. وينقل لنا كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ما مفاده: "والكرد – بضم الكاف من بني إيران بن أشور بن سام وإلى إيران هذا تنسب مملكة إيران التي كان فيها ملوك الفرس"[2] .

ولعل ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره للآيات التالية يبين صلتهم بالمنطقة، **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)**(الأنبياء: ٦٩،٧٠). لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)** فجمعوا حطباً كثيراً جداً، قال السدي: حتى أن كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم، ثم جعلوه في جَوَبة حفرة من الأرض وأضرموها ناراً فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار قط مثلها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد، فلما ألقوه قال: حسبي

---

[1] - المسعودي، **مروج الذهب**، ص ٢١٨.

[2] - القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، www.al-eman.com.

اللّه ونعم الوكيل، روى البخاري عن ابن عباس أنه قال ﴿حسبي اللّه ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم حين ألقي في النار"[1].

إذن فهم عرب، وما أثير ويثار حول الأكراد إنما هو لأهداف سياسية ترمي للتفريق بين أبناء الأمة الواحدة.

البلوش ـ ينقل الكاتب عبد الحكيم البلوشي[2] عن ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان(عند بيان القفس) حيث قال: بأن البلوش، غالب عليهم النحافة والسمرة و تمام الخلق يزعمون أنهم عرب، فإنني لما نظرت في الكتب و بحثت عن أصل البلوش فوجدت بعض الدلائل في الكتب على أن البلوش من العرب وقد ذكر بعض استدلالاته:

الدليل الأول: كما صرح ياقوت الحموي في (معجم البلدان) وسلمة بن مسلم العوتبي في (موضح الأنساب) بأن البلوش من أبناء سليمة بن مالك بن فهم الأزدي. ومما لا شكَّ فيه أن سليمة بن مالك كان رجلاً عربيًا من بني قحطان خرج من جزيرة العرب إلى كرمان فأقام هناك على جبال القفس و انسلّ في تلك الديار و استعجم لسان أبنائه.

الدليل الثاني: عندما طالعت كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) للشيخ محمود شكري الآلوسي، ظننت لو سماه المصنف في معرفة أحوال البلوش بدلا من أحوال العرب لكان صحيحاً لموافقته بأحوال البلوش أكثر من تسعين في المائة فلهذا أحببت أن أقارن بعض عادات البلوش مع عادات العرب حتى لا يخفى على أحد أن عادات البلوش لا تختلف عن عادات العرب إلا قليلاً. من كتاب الجوهر المنقوش لتاريخ البلوش. وأورد جدولا مقارنا لبعض الكلمات المتداولة لدي البلوش لتبيان وجه القرابة والتشابه بينها وبين العربية:

---

[1] – ابن كثير، **التفسير**، سورة الأنبياء / آية ٦٨– ٧٠.

[2] ـ عبد الحكيم البلوشي، **الجوهر المنقوش لتاريخ البلوش**، http://www.albloushi.net

الكلمة بالعربية	الكلمة بالبلوشية	المعنى
الخور	كور	المنخفض من الأرض يجري فيه ماء المطر
العوض	اوز	الخلف و البدل
المسك	مسك	العطر الطيب
الزق	زك	جلد يستعمل لحمل السمن
السلاح	سلاه	أدوات الحرب والقتال
الموسم	موسم	وقت كل شيء
الشاهد	شاهد	الذي يخبر بما شهده
الحياة	هيات	
الموت	موت	
المعصوم	ماسوم	المحفوظ من الشر و المكروه
المرض	مرز	
الغرور	غرور	الكبرة و النخوة
الشاعر	شاير	
الشعر	شير	
الطاقة	تاكت	

وفى إشارة إلى أصل البلوش وهو مقتبس من كتاب معجم القبائل العربية:

"زغلي بن رزق: بطن من زغبة، من هلال بن عامر، من العدنانية وهم: بنو زغلي بن رزق بن سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدي بن يزيد بن عيسى بن زغبة الزغول: بطن يقيم بناحية جبل عجلون ويقال: إنهم أقدم سكان قرية عنجرة الزغيبات: بطن من ولد محمد، من بني سالم، من حرب الزغيبات: عشيرة بناحية بني عبيد بمنطقة عجلون. أصلها من بغداد، ولها أقارب في دير السعنة، يقال لهم: الزغيبات و الزغيفات: فرقة من العقيدات. تقطن في قرية زمار في أنحاء مطخ قنسرين زغيلات قسم يعرف بزغيلات سعيد، من القراللّه من البرارشة إحدى عشائر الكرك زفر: بطن من معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، من العدنانية زفران بطن من سعد العشيرة، من زيد بن كهلان، من القحطانية الزففة: من عشائر الحديد بمنطقة البلقاء، أصلها من بلى، من قضاعة، هاجر جدها من الحجاز، ونزل ماعين، ثم نزح إلى خريبة السوق، واليادودة. تتقسم إلى ست فرق: العميان، الهميسات، البصالصة، العويمر، البلوش، والطلافيح ومنازلهم بالقويسمة"[١]. إذن فهم عرب ومن أبناء هذه الأمة.

٣) اللاسامية أو معاداة السامية

لقد تم توظيف هذا النعت (السامية) توظيفاً سياسيا على يد "شلوتزر"، هذا النعت المثير للرعب عند البعض، والمثير للاشمئزاز عند آخرين، أخذ يتصدر الصحف والمجلات العالمية في عصرنا الحاضر وأصبح مصدر قلق لمن تسّول له نفسه انتقاد دولة (إسرائيل) على أي عمل تقوم به تجاه الشعب الفلسطيني المقهور، والشعوب الأخرى، لا بل والأفراد. لقد استطاعت الصهيونية العالمية أن توظّف هذا النعت الزائف والذي لا يمتلك أية شرعية وليس له أساس وحوّلته إلى أداة قضائية لجرّ الكتّاب والمفكرين إلى صالات المحاكم بدعوى معادة اليهود "المظلومين المضطهدين".

---

[١] – عمر كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة**، ص ١٣٦ ". موقع الورّاق:

http://www.alwaraq.com.

وأصبح مثيرا لاشمئزاز أي فرد يملك الشيء اليسير من المعلومات التاريخية، ففي حين أن بدعة السامية قد اختلقها المدعو شلوتسر في عام ١٧٨١، فإن كليشة اللاسامية أو معاداة السامية قد ولدت وترعرعت مع بداية المشروع الصهيوني لتجزئة الأمّة.

أخذ النظام الغربي يسّوق لهذا النعت المزيف، وأضحى بنداً مهماً في قوانين العقوبات الجنائية في الكثير من الدول الغربية، بشكل يثير الكثير من التساؤلات من قبل المفكرين الغربيين المنصفين والموضوعيين. فلغاية اليوم ما إن يقف أحد ما في الغرب ليكذّب مزاعم الصهيونية التاريخية، حتى يتصدّوا له بدعوى أنّه معادٍ للسامية، وما فعلوه بالمفكر الفرنسي روجيه جارودي وغيره من المفكرين الغربيين الذين تجرؤوا بتكذيب هذه المزاعم لا يزال ماثلا أمامنا. الحقيقة أنهم يهزؤون من العالم بهذه الأكذوبة، وقد خططوا لها بإتقان، إذ جعلوا من تأييد الصهيونية العالمية شرطاً لحيازة المفكرين على الأمان، ولا أمان لمن يقف ضد مصالحها، بعد هيمنتهم الكاملة على الغالبية العظمى من وسائل الإعلام الغربي للضغط والتأييد وغير ذلك.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية وفي ظل سبات عميق يغطّ فيه العرب ومنذ حقب من تحقيق أقصى استفادة من هذا التزوير واستكمال التوظيف الذي بدأه شلوتزر، كانت وسائل الإعلام التي باتت تحت سيطرتهم هي ساحة هذا التوظيف وساحة المعركة التي يمارس فيها الإرهاب الفكري على هذا المفكر أو ذاك، ويقول بول فندلي في كتابه "من يجرؤ على الكلام": يركز اللوبي (اليهودي) كثيراً على الصحافة لخنق الجدل العام حول الشرق الأوسط، ومنذ سنين وتأييد إسرائيل يعتبر شرطاً لا بدَّ منه للاحترام في الصحافة، فوسائل الإعلام ترسم صورة مشرقة "لإسرائيل" كدولة ديمقراطية وحيدة في محيط برابرة الشرق الأوسط. من جهة أخرى يقال عن الفلسطينيين "الإرهابيون العرب" ويُصّور العربي كحادي جمال أو سفاح. وتعتبر مهمته اللاسامية هي العصا التي يستخدمها الصهاينة لحمل غير اليهود على قبول وجهة النظر الصهيونية بشأن الأحداث العالمية أو التزام الصمت"[١].

---

[١] – روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢٨٣. **صحيفة تايم**،٢١يونيو/حزيران١٩٧٦.

أوجدت هذه المسميات الكاذبة بؤراً تتحرك منها الحركة الصهيونية، لتنفيذ استراتيجيات الهيمنة والضغط للسيطرة الاقتصادية. لقد استطاعت جماعات الضغط بالغة القوة أن تغرس في وعي الملايين من الناس- في الغرب تحديداً- هذه الخرافات التي لا يوجد لها أي أساس علمي أو تاريخي، بعد أن باتت السيطرة على وسائل الإعلام شبه محكمة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وأصبحت هذه الوسائل هي السلاح الذي يخشاه معظم المسؤولين الغربيين. فنجد في فرنسا على سبيل المثال لا يوجد من يمتلك الجرأة على توجيه النقد لإسرائيل والحركة الصهيونية، فجماعات الضغط الموالية لإسرائيل تمارس نفوذا هائلاً في وسائل الإعلام، إذ لم يتجرأ أحدٌ في فرنسا غير الجنرال ديجول على التصريح بحقيقة هيمنة هذه الجماعات الموالية للكيان الصهيوني، والتي تعمل من خلال سطوتها على طمس الحقائق وتزييف الوعي، فلم يقتصر الرعب على المفكرين والمثقفين في الغرب، إذ أضحى الرؤساء أنفسهم ضحية مسلسل الرعب التوراتي، "ومنذ ذلك الحين، ما من مرشح للرئاسة الفرنسية أيا كان الحزب الذي ينتمي إليه، من (ميشيل روكار) إلى (جاك شيراك) مروراً (بميتران)، إلا وذهب إلى إسرائيل متلمسا الدعم الإعلامي"[1].

يقول روجيه جارودي "وليس أدلّ على ذلك من انحياز وسائل الإعلام بشكل كامل، عندما يتعلق الأمر بالحاجة إلى قلب الحقائق لمصلحة إسرائيل، فعندئذ توصف أعمال العنف التي يرتكبها الضعفاء بأنها نوع من (الإرهاب)، أما عنف الأقوياء فهو (نضال ضد الحرب). وعندما يقوم أحد المنشقين على منظمة التحرير الفلسطينية بإلقاء يهودي من على ظهر سفينة (أكيلي لورو)، فلا بدَّ أن يوصف هذا العمل بأنه ضرب من الإرهاب، ولكن ماذا عن قيام إسرائيل بقصف مواقع في تونس على سبيل الانتقام، مما أسفر عن مصرع ٥٠ شخصًا، بينهم عدد كبير من الأطفال؟ هنا يوصف ذلك بأنه (نضال ضد الإرهاب ودفاع عن القانون والنظام). وتتردد نفس النغمة في جميع وسائل الأعلام، وكأنما يديرها في الخفاء قائد موسيقي ماهر، سواء أكان الأمر يتعلق بالهجوم على المعبد اليهودي في شارع (كوبرنيكس)، أم بنبش مقبرة (كاربنترا)،

---

[1] - روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٢٨٣. **صحيفة تايم**،٢١يونيو/حزيران١٩٧٦.

أم بغزو لبنان أو تدمير العراق"[1]. فإن صحّ لنا القول بأن وسائل الإعلام في الغرب هي السلاح المستخدم لفرض هيمنة الصهيونية العالمية على ثقافة الغرب، فنقول إن هذا النعت (السامية) المزّيف أصبح هو ذخيرة هذا السلاح والذي يتم حشوه بها كلما اقتضت الضرورة، فبهذا النعت تم تأصيل أكذوبة لم يكن لها وجود في يوم من الأيام، وبه تم تزييف البنية التحتية لثقافة الغرب عن الأمة، فأطبق مسلسل الرعب التوراتي على أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. فالسامية واللاسامية وقبلها الآرية وغيرها نعوت ومفاهيم لا تمت للعلم ولا للحقيقة بصلة، نشأت انطلاقًا من رغبة استعمارية في الهيمنة، تلقفها اليهود ليحولوها إلى سلاح مرعب، كانت أمتنا هي المستهدف والمتضرر منها جميعاً.

البداية..

تحدثنا عن محطتين تم الاحتكاك المباشر فيهما بين الأمّة والغرب. فترة الأندلس وما صاحبها من نشر العلوم في أوروبا على يد أبناء الأمة، الأمر الذي أسسَّ للنهضة الأوروبية لاحقاً والرفاهية التي يعيشها الغرب في عصرنا الحاضر. ثم استعرضنا محطة الحروب الصليبية، وفيها تلك الأحداث الجسام التي تعرضت لها الأمة من قِبل الغرب الأوروبي. والتي تم فيها استخدام الدين كأداة لتسويق تلك الحرب على الشعوب الأوروبية لدفعهم لحمل الصلبان دفاعاً عن مهد السيد المسيح (ع). كان هناك جميل للعرب على الغرب، قد غيّبه المؤرخون الغربيون، لا تكاد الذاكرة الغربية تتذكره هذه الأيام. وكانت هناك حملات متخلفة بشعة، استمرت مائتي عام، عانت منها الأمّة أشد المعاناة. تمَّ اختلاق نظريات عرقية لم تحظَ بأي اعتراف علمي محترم، ولم تجد لها طريقاً إلا لدى أصحاب المصالح السياسية. وبعد النهضة الأوروبية في القرنين الأخيرين، بدأت تتشكل استراتيجيات جديدة للمنطقة العربية من قِبل الدول الاستعمارية الغربية. وحيث أن الأسباب الاقتصادية والنظرة التوسعية

---

[1] - روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص٢٨٤. **صحيفة تايم**،٢١يونيو/حزيران١٩٧٦.

والغيرة الحضارية الدافع الحقيقي للحملات الصليبية. كانت تجربة النهضة التي أحدثها "محمد علي باشا" في مصر بمثابة جرس إنذار دفع هذه الدوائر للتفكير بجدية في كيفية التعامل مع مسألة المشرق العربي الإسلامي، فالدول الاستعمارية كانت ترى أن التقدم والنهضة يجب أن يكون محصوراً على الغرب وبالخصوص بعد نهوضها التقني والصناعي وابتداع النظريات العرقية، قد عاينت أيضًا من خلال هذه التجربة أن "محمد علي" بدأ ينظر بجدية لتوحيد العرب، فهو من منظورها الاستعماري قد تجاوز المحظور بدخوله عالم الصناعة الحديثة عن طريق حشده لعدد كبير من العلماء لتطوير اقتصاد بلاده، تلك التجربة التي كانت محط الكثير من الإعجاب لدولة كاليابان التي أرسلت الوفود تلو الوفود في محاولة لاستيضاح كيف استطاعت دولة من خارج القارة الأوروبية أن تنهض وتشيد المصانع الحربية.



محمدعلي يتلقى أحد التقارير العسكرية

كانت الهوّة العلمية ضيقة حينها بين الغرب والأمّة وليست كما هي عليه اليوم، وكان من الممكن تجاوزها لو تُركت لتجربة ناهضة كتجربة "محمد علي باشا" أن تستمر، لكن الغرب الذي امتلك أعنّة الصناعة والتقنية بدأ يرى نفسه كجنس متفوق، أضف إلى ذلك أن تاريخ الأمّة خلال العهود الأولى بعد البعثة المحمدية وبلوغ حدودها

في زمن قياسي مشارق الأرض ومغاربها، هذا التاريخ كان ماثلا أمامه، فلو تُرك للعرب التحكم بمصيرهم لعادوا قادة للعالم ونشروا ثقافة التوحيد التي ما برحوا دعاة لها منذ بدء الخليقة.

أيقن الاستعمار وتنبّه إلى ناحية المنطقة العربية وعلم أنه إذا ما توحّدت فسيعظم خطرها، فقررت الدول الاستعمارية مجتمعة ضرب تجربة "محمد علي باشا" وأغرقت أسطوله وتمّت ملاحقته، تلك التجربة الواعدة التي عملت الدوائر الاستعمارية على وأد محاولتها الوحدوية وبالخصوص حين أقدمت بريطانيا على عمل مشين من خلال تفكيكها للمصانع ونقلها من مصر إلى بريطانيا، ورمي ما لا فائدة منه من هذه المصانع في "سيشل" ليأكله الصدأ ولتُحرم الأمّة منها. هذه الحركة نبّهت الغرب إلى احتمال قيام دولة عربية قوية تمنعهم من استعمارها، وبقي هذا الهاجس مهيمناً على أوروبا حتى انعقاد مؤتمر لندن الاستعماري عام ١٩٠٥، حين سنحت لهم الفرصة بعد اكتمال شروطها، وكان القرار بأن لا بدّ لهم من تقسيم المنطقة العربية بينهم والحؤول بكل الوسائل دون توحّدها.

الوفود الاستطلاعية التي أرسلت للمنطقة لتقصي الحقائق وجمع المعلومات – عندما كان التنافس على أشدّه بين الدول الاستعمارية ألمانيا وإنجلترا – قد أكدت هذا الهاجس، وتحولت مسألة العقل العربي وتاريخ الأمة إلى قضية أو مسألة ينبغي معالجتها إذا ما أريد لهذه الدول الاستعمارية أن تستمر. فمنذ بداية القرن الماضي أُرسلت الوفود الاستعمارية والبعثات الاستكشافية على طول الخط الساحلي للوطن العربي، خرجت بتقرير مفاده " أنّ هذا الشعب الذي يتكلّم بلغة واحدة وله تاريخ عريق وثقافة عريقة، ويسكن أرضاً واحدة واسعة ويدين بدين واحد بمعظمه، وهو شعب كثير التناسل، حيويّ، وإذا ما قيّض له أن يمتلك أعنّة الثقافة الحديثة ويتوحّد، فإنّ الإمبراطوريات الاستعمارية ستسقط مرّة واحدة وإلى الأبد"[1].

في تلك المرحلة كان الاحتلال العثماني يحتضر، بعد أن دمرّ كل جذور الحضارة العربية، وأضحت الإمبراطورية العثمانية التي كان الغرب يهابها يوما، مدعاة للسخرية،

[1] – راجع مؤتمر لندن الاستعماري ١٩٠٥– ١٩٠٧ في الفصل الثاني (دولة إسرائيل).

حين كانت تئن تحت وطأة الديون الغربية، ساهم اليهود الذين لجأوا إليها يومًا هربًا من بطش الكنائس في أسبانيا حينما لم يجدوا ملجأ إلا هناك، ساهموا في إسقاطها وتقويض الخلافة الإسلامية، بعد أن رفض السلطان عبد الحميد بيعهم فلسطين. فالغرب، وممَثلاً ببريطانيا حينئذ، وعندما كان العرب في أحلك ساعاتهم، قد قرر العمل على إبقاء تجزئة الأمة، مستغلاً ضعف الدولة العثمانية، وحاجته في فتح أسواق جديدة، وقرر زرع دولة غريبة في وسط المنطقة العربية، تُنفّذ أوامره في إبقاء الأمة مجزأة مفتتة ما دام الزمان، ولعل تفكيك سكة حديد الحجاز لا زال ماثلاً للذاكرة العربية كأحد النماذج المؤلمة للأفعال التي قامت بها بريطانيا من أجل قتل أية بادرة وحدة عربية في مهدها . فالغرب الذي نهض بعلوم الأمة، عاد بعد قرون يعمل جاهدا للحيلولة دون نهضتها .

ختام الفصل

لعل القارئ قد لاحظ سمك جدار التزوير العازل بين الأمة والغرب والذي أضحى هدمه ضرورة إذا ما أريد لهذه العلاقة أن تتطور يوماً ما تطورا إيجابيا، فتاريخ الأمّة وتراثها قد تعرض للهتك وتم تهميش الشعب العربي وإخراجه من دائرة التاريخ بحيث أصبح من الصعب على الباحث المنصف أن يلج إلى عمق الثقافة التي تعرضت للهيمنة والاستغلال.

الفصل الثاني

تلفيق كيان قومي لليهود (دولة إسرائيل)

إنني أقدس الإله الذي تقدسونه، ونحن (كمسيحيين) ندرس التوراة التي تدرسونها. إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لا يدخل في نطاق السياسة. إنه واجب أخلاقي.

جيمي كارتر - الرئيس الامريكي الأسبق في معبد يهودي

ذكرنا أن هناك صورة قد تشكلت في الغرب عن أمتنا في ما يخص العلاقة مع الدولة الوظيفية في فلسطين، وأن هذه الصورة تقول أن العرب لا يريدون السلام مع هذه الدولة الديمقراطية (إسرائيل) وهي التي تؤمن بكتاب سماوي (التوراة)، شكل بعد ضمه إلى الإنجيل كتابا مقدساً، يدعو إلى المحبة والسلام، وأن هذا الشعب اليهودي المتجمع في هذه البقعة (فلسطين) إنما هو شعب الله المختار من سلالة سام بن نوح عليه السلام، وأن دعم هذه الدولة واجب أخلاقي ويدخل في إطار تحقيق المشيئة الإلهية باستقرارهم في أرض الميعاد. هذه الصورة هي المهيمنة على الغرب اليوم، من مظاهرها ما نقرأه للقس الأصولي المسيحي الصهيوني مايكل إيفانز في قوله "إن إسرائيل تلعب دوراً حاسماً في المصير الروحي السياسي لأمريكا". ولجيري فالويل زعيم إحدى أهم منظمات "المسيحية الصهيونية"، مؤسس جماعة العمل السياسي الأصولي (الأغلبية الأخلاقية) في قوله "إن اليهودي هو بؤبؤ عيني الله، ومن يؤذي اليهودي كأنه يضع إصبعه في عين الله، لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود، والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود. إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم"[1]. إذن هناك علاقة عقائدية وثيقة، وأن الواجب الإلهي والأخلاقي يفرض على الغرب المسيحي أن يقف مع هذه الدولة.

---

[1] - حسني إبراهيم الحايك، **الإرهاب الأمريكي البداية والنهاية:**

http://minshawi.com/other/usa-terrorist.htm .

تمَّ غرس هذا الكيان في خاصرة الأمة، ليُبقي المنطقة في حالة استنفارٍ دائم، يستنزف طاقاتها ويستفرد بدولها واحدة تلو الأخرى. المهم أن لا تكون هناك دولة عربية موحدة، تُعيد تفعيل العقل العربي المُعطّل، ويبقى العرب مفككين مشتتين في كيانات ضعيفة. أسسوا هذا الكيان على قاعدة من الأكاذيب والافتراءات بعد أن هيمنت الصهيونية العالمية على وسائل الاعلام في الغرب، فبعد تفكيك تاريخ الأمّة وتقطيع أوصاله نسبوا تلك الآثار العظيمة والتاريخ المجيد إلى أجداد اليهود، الذين لم يكن لهم وجود، حتى غدا تمثال أبي الهول في مصر وادي النيل "تراث الأجداد" حسب تعبير الصهيوني مناحيم بيجين.

استخدموا مدونات التوراة أبشع استخدام، تلك المدونات التي كُتبت على يد الكهنة بعد وفاة موسى عليه السلام بألف عام، فأصبحت أساطير الأمة المنهوبة، والتي رَوَت قصص الخلق والعرب الأوائل بشكل مُرمّز، آيات في هذه المدونات، فاختلط الحق الذي ترويه الأساطير[1]، بالمحسنات اللفظية التي تحتويه، بالأباطيل التي

---

[1]- والأسطورة بشكل إجمالي صياغة فكرية متكاملة موضوعة في قالب ذي إيقاع موسيقي شعري يتضمن عقائد ومفاهيم وبطولات مثيرة تعبّر عن معارف الإنسان الأول وأخلاقه وعلومه وتأملاته ونظراته. وقد استعمل الأوائل الأساطير لنقل الأفكار والأحداث بأمانة شفويّة عبر الأجيال، فحينما وعى الإنسان أهمية أن يسطّر ما فهمه وأدركه، من الحقائق والتجارب والعلوم والمبادئ والتعاليم وربَّما الطرائف وغيرها، حينها بدأ ينسج الأساطير ويرويها شفهياً ثم ُباشر بتدوينها بعد أن اهتدى إلى النقش والكتابة. وفي صياغته للأسطورة استخدم لغة بسيطة سهلة التداول وأسبغ عليها تعابير إيحائية لتكّون ميثولوجيا معبّرة بصدق عن واقع ذاك الإنسان وفكره. ويمكن من خلال دراسة الأساطير اكتشاف المستوى المعرفي والعلمي والأخلاقي والثقافي، والتعرّف على أطوار التاريخ الإنساني، إذ أنّ الأسطورة كانت انعكاساً لمعارف الإنسان الأوَّل وعلومه وحكمته، وهي تعبير عن منطقه وأسلوبه في المعرفة، وسبيله لتفسير الأشياء وتعليل أسباب حدوثها. وقد أُخرجت الأساطير في شكل قصصي، وصيغت في قالب شعري اعتمد المحسنات الأدبية، والتشبيهات والاستعارات والخيال، فساعد كثيراً على سرعة حفظها وتناقلها بين العامّة وترتيلها في المناسبات والطقوس، كما أنّه زوّدها بشحنة من العاطفة والمشاعر الجيّاشة مما جعلها قريبة من أذهان وقلوب النَّاس وأكسبها القدرة على السيطرة على النفوس. فالأسطورة إذن هي أداة تثقيف امتزجت فيه الفكرة بالعاطفة مما جعلها حيّة فاعلة في نفوس أتباعها .انظربحث: **الأسطورة – توثيق حضاري**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

أضافوها عليها، وأخرجوا كتابًا أسموه بالعهد القديم، غير مبالين من بشاعة الفعل الذي يتمثل في الافتراء على قداسة الكتب السماوية (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**)(البقرة:٧٩).

وعندما احتاجوا لاختلاق مسمى أمّة (الأمّة اليهودية)، كان عليهم اختلاق مكوناتها، فالأمّة بحاجة إلى تاريخ وجغرافيا ولغة، فبعد مصادرة التاريخ العربي، قاموا بأدلجة إسقاطات كل أسماء القبائل والعشائر اليهودية التي عاشت في جزيرة العرب على المناطق الواقعة جنوب سوريا (فلسطين)، ولكي تكتمل مكونات الأمّة أوعزوا إلى الأديب اليهودي الروسي (يهوذا بن اليعازر) بتأليف لغة من اللهجات العربية القديمة لتكون لهم "اللغة العبرية" . أي أنهم بلعوا أمّة العرب في وضح النهار إن صح التعبير، ولعل ذلك يُذكّرنا بقول نبي الله عيسى (ع) فيهم "**أيها القادة العميان الذين يعفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل، ويل لكم أيها الكتبة الحريفيون المراءون**" (إنجيل متى: ٢٣).

وبات شارون الأوروبي ورفاقه من اليهود الخزر والذين لا علاقة لهم بالعرب ولا نسب ورثةً شرعيين لتراث العرب المعلمين الأوائل، فلم يتركوا للأمة تاريخاً غير رعاية الإبل في صحراء الجزيرة العربية والخيام التي كانوا يقطنونها.

هذا التزوير قد تم التمهيد والتسويق له من قبل المحور الثلاثي (الغرب- الصهيونية- اليهود) الذي التئم واتفق على القيام بأكبر عملية سطو في التاريخ، استخدم هذا المحور الأسفار المزورة للعهد القديم، بأدلجتها لتسويق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، من خلال تجييش عواطف اليهود المنتشرين في بقاع المعمورة بأن الوقت قد حان للهجرة إلى أرض الميعاد.

لقد حقق الغرب من خلال هذه العملية ما كان يأمله على الدوام، وهو التخلص من اليهود الذين باتوا يشكلون فائضاً وظيفياً، بعد أن انتهى دورهم في أوروبا بعد التغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها في القرنين الماضيين، عاشوا على الدوام في أوروبا حالة من الحصار والانعزالية بسبب طبيعة الأعمال التي كانوا يزاولونها من جانب، وتحميل الكنيسة لهم مسؤولية صلب المسيح من جانب آخر، مما أوجد شعوراً مسيحياً عاما بالكراهية تجاههم، وما مقولة (شعب بلا أرض....) إلا مظهرا من مظاهر هذه الكراهية، فاليهود في أوروبا كانوا أوروبيين، بمعنى أن اليهودي في

بريطانيا كان بريطانياً واليهودي في ألمانيا كان ألماني الجنسية والعرق والنسب وأرضه هي موطنه، فكيف تم اعتبارهم شعباً بلا أرض؟

أولاً- البدايات

إن معرفة البيئة السائدة في بداية القرن العشرين يعد أمرًا ضروريًا لفهم الأسس التي قامت عليها دولة اسرائيل، ومنه يمكننا التحرك باتجاه فهم بعض الأسباب التي دفعت بالغرب للمشاركة في أدلجة الصراع.

١) حالة اليهود في أوروبا قبل فلسطين

عاش اليهود وكما كانوا على الدوام في ما يعرف بـ "الغيتو" في أوروبا طوال قرون، ففي حين كان اليهود العرب يعيشون مطمئنين متساوين في بلدانهم العربية، كان اليهود في أوروبا يعانون من الاضطهاد الطائفي مسجونين في هذا الغيتو، فقد كان هناك وجدانٌ غربيٌ مسيحيٌ كاره ومعادٍ لليهود، ومارس الاضطهاد بحقهم طويلاً، وكما أشرنا سابقا فإن العديد من الدراسات والبحوث قد أجريت في الغرب لعرض هذه الحالة الوجدانية للغرب المسيحي اتجاه اليهود، اتفقت جميعها على عدة عوامل ساهمت في خلق هذه الحالة أهمها الميل اليهودي للانعزال في المجتمعات المختلفة والذي منعهم من التأقلم والتكيف مع اتباع أي من الديانات الأخرى، الأمر الذي كان على الدوام يثير أزمة هوية وانتماء في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود، كانت مدونات التوراة والتي تصفهم بشعب الله المختار وقوداً دائمًا لهذه الحالة الانعزالية، وكذلك المد القومي في أوروبا، وحركة التحديث والتطوير التي شهدتها أوروبا (العلمنة) بخاصة الثورة الفرنسية التي دعت وبشدة إلى مبادئ الإخاء والحرية والمساواة لكل مواطني الدولة وإن اختلفت دياناتهم، وحيث أن ذلك يتعارض مع عقلية الجيتو الانعزالية، نتج عن ذلك عدم تقبل اليهود للدولة القومية الحديثة في أوروبا.

الدور الوظيفي الذي كان اليهود يمارسونه على الدوام، وطبيعة هذه الوظائف من تجارة ربوية أو أية خدمات تؤدي إلى السيطرة والهيمنة، كانت أيضا تضيف من

شحنات الكراهية تجاههم، في حين لم يجد اليهود في ذلك عيباً، فقد كانت الأعمال الربوية التي يزاولونها بمثابة عمل مقدس، إذ يقول "كارل ماركس" اليهودي عنهم في كتابه "المسألة اليهودية" : إن إله اليهودي الحقيقي هو المال، وهو لم يكن يدينهم بل كان يؤكد الواقع ووظيفتهم في المجتمع المسيحي، ولهذا نلاحظ صعودهم السريع وتقربهم من الأنظمة الحاكمة وسيطرتهم الاقتصادية على الكثير من الشركات والمؤسسات الاقتصادية في ذلك الوقت.

الأعمال الربوية التي كان يمارسها اليهود لم تكن وظيفتهم خلال القرن الماضي في أوروبا فقط، فالطابع التجاري كان السمة المرافقة للديانة اليهودية، واليهود أينما تجمعوا فذلك يعني أنهم تجمّعوا حول مركز تجاري ومالي، ففي أوروبا كان الربا مقدماً على التجارة والأعمال لكسب الربح السريع وقد استغله اليهود. ويعود عملهم بالربا إلى أن الكنيسة الكاثوليكية حرمت الربا على النصارى، فبقي فراغاً شغله اليهود، ووظفوه توظيفا تاماً للهيمنة والسيطرة، مما أعطى سببا إضافيا لمقتهم في مختلف المجتمعات التي كانت تحاول أن تتكيف معهم.

٢) اليهود في نظر الغرب المسيحي (المسألة اليهودية)

"المسألة اليهودية"، عنوان عُرف في الغرب خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ولكي نكون أكثر دقَة في تعريف هذه التسمية، فقد كانت تُعبّر عن كراهية يعيشها المسيحيون في الغرب تجاه اليهود الأوروبيين، تتمحور في الأسباب التي أشرنا إليها سابقا، وليس هنا مجال البحث في جذور هذه الكراهية التي أشبعها الكتاب الغربيون (المسيحيون واليهود)[١] بحثا على مدى قرون، بل ما نريد إيضاحه هنا أن هذه المسألة كانت تُعدُ مشكلة بحاجة إلى حل. مشكلة فائض سكاني منبوذ يجب توطينه في أرض استيطانية تُفرَّغ له، عندما استعصى على اليهود الاندماج في

---

(١) – انظر : كارين أرمسترونغ، **الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم:** www.aljazeera.net ، وغيرها.

المجتمعات المسيحية، واستعصى على المسيحيين تقبلهم، فكان لا بد من إيجاد حل يكون منسجما مع الوضع الدولي حينئذ.

ومن المعروف أن مقولة (شعب بلا أرض) وما تحويه من مضامين قد تبلورت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وعلى يد اللورد المسيحي الصهيوني الإنجليزي "شافتسبيري" في مقال كتبه عام ١٨٣٩[١]، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن تلك الفترة لم تكن مبدأ هذه الكراهية تجاه اليهود في الغرب، فالمسألة لها عمقها التاريخي، تداخلت فيها المصالح بالعقائد، فالحروب الصليبية التي انطلقت على أساس معاداة شعوب المنطقة لأسباب عديدة تمت مناقشتها في الفصل الأول، قد بدأت بمهاجمة اليهود والسعي للقضاء عليهم في أوروبا لتخليصها من اليهود قتلة المسيح بعد أن كانوا يخيرون بين التنصر والموت، بل واستمرت هذه الكراهية إلى العصر الحديث. وحملات هتلر اللإنسانية على اليهود لهي خير شاهد على هذه النزعة العنصرية، و تقول كارين أرمسترونغ في هذا الصدد " وعندما نهض هتلر مرة أخرى كان يقتل أيضا حتى الذين اعتنقوا المسيحية من اليهود قبل مئات السنين هربًا من المذابح التي ارتكبها قادة الحروب الصليبية. وتضيف... ولولا اللاسامية الغربية لما قامت دولة يهودية في الشرق الأوسط"[٢]. إذًا فكراهية اليهود في أوروبا كان لها عمقها التاريخي ولم تبدأ قبل قرن، ولكن يمكن القول أن الفرصة للتخلص منهم عبر صفقة تحقق مصالح أخرى للغرب (كالمسألة الشرقية) قد توفرت في تلك اللحظة التاريخية.

٣) الأمّة في نظر الغرب (المسألة الشرقية)

في الوقت الذي كانت أوروبا تعيش مخاض التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعد بزوغ عصر جديد في القرن التاسع عشر، كانت هناك الدولة العثمانية أو كما أطلق عليها في أواخر عهدها "رجل أوروبا المريض"، ساهم دخولها

---

[١] - **المسيحية المتهودة**: www.falastiny.net.

[٢] - كارين أرمسترونغ، **الحرب المقدسة. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم**، www.aljazeera.net .

الحرب العالمية الأولى في التعجيل بنهايتها وبإعادة رسم خارطة المنطقة، وكانت هناك الولايات العربية التابعة لها، وأخذت تبرز مؤشرات تدل على رغبة العرب في التوحد في كيان يُرجع هيبة الأمّة، وكان الغرب ينظر إلى هذه المؤشرات بقلق، عُرِفّت حينها بـ"المسألة الشرقية". أخذت الأطراف المعنية (بريطانيا وفرنسا بالتحديد) في التداول بمستقبل الولايات العربية التابعة لهذه الامبراطورية الآخذة في التفكك لاقتسام تركَتِها، وكانت هناك تقارير المستشرقين الذين كانوا يمثلون طلائع التجسس الممهدة للقوات الاستعمارية قد أوضحت لهذه الدول الأهمية القصوى لتفكيك المنطقة وهدم أركان حضارتها بعد أن طافوا بها وأيقنوا بأن هذه الأمّة التي لها تاريخ عريق ولغة واحدة وتراث واحد إن توحدت ونهضت فستقضي على هذه الدول الاستعمارية مرة واحدة وإلى الأبد. وكانت تجربة "محمد على باشا" في مصر ماثلة أمام القوى الاستعمارية، هذا الرجل الذي حاول النهوض وتأسيس الدولة العربية الحديثة وتحركت إليه الأساطيل وتم القضاء على تجربته، إلا أن هذه المحاولة كانت محفورة في ذاكرة الدوائر الاستعمارية، وكان هناك سجّل تاريخي من الصراع باقياً في الذاكرة الغربية يحدثهم عن قرون من الصراع مع المشرق العربي، كانت للمسلمين فيه اليد الطولى، أضف إلى ذلك كونها سوقا ضخمة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تدوير آلة الصناعة في الغرب فيما لو تمكنوا من السيطرة عليها، فكانت المحادثات بين "الشريف حسين" والمندوب السامي البريطاني في مصر "السير هنري مكماهون" ووعود بريطانيا للعرب والمليئة بالمكر والخداع، ومعاهدة سايكس-بيكو البريطانية–الفرنسية عام ١٩١٦ والتي تمَّ الاتفاق فيها على تقسيم الولايات العربية إلى دويلات صغيرة تستطيع من خلالها الدول الاستعمارية التحكم والسيطرة عليها، وكذلك المحادثات بين بريطانيا وأمريكا والمنظمة الصهيونية (١٩١٥ - ١٩١٧) والتي أفضت إلى وعد بلفور... في تلك الأيام بالتحديد تم وضع حجر الأساس لكل المآسي التي حلّت بأمتنا لغاية اليوم.

٤) مؤتمر لندن الاستعماري والدولة الحاجزة

ونحن نكتب هذه الصفحات، يكون قد مرّ على مؤتمر لندن الاستعماري مائة عام. في هذا المؤتمر الذي دعت إليه بريطانيا العظمى (حينئذ)، وانعقد من عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩٠٧، تمَّ الاتفاق على مجموعة من القرارات، تسببت في ما آل إليه حال الأمّة، وإلى يومنا هذا، ضمَّ هذا المؤتمر نخبة من أساتذة الجامعات في شتى العلوم والمجالات كالاقتصاد والتجارة والبترول والزراعة والتاريخ والاجتماع، "واشتركت فيه لجنة تمثل كل الإمبراطوريات الاستعمارية القائمة آنذاك. ومن أعضائها: البروفيسور جيمس مؤلف كتاب (زوال الإمبراطورية الرومانية) ولوي مادلين مؤلف كتاب "نشوء وزوال إمبراطورية نابليون والبروفسور ليستر ولسنج، وسميت ودترتنج وزهروف"[1]. "ورفع المؤتمر في ١٩٠٧م توصية عاجلة في ختام أعماله إلى رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت "كامبل بنرمان" نصت على "أن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها؛ هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة"[2].

يقول التقرير الذي وضعته اللجنة التي شكلها كامبل بنرمان عام ١٩٠٥-١٩٠٧، من أجل الحصول على جواب للمسألة التي تقض مضجع بريطانيا الاستعمارية، وهو كيف يمكن الحؤول دون سقوط الإمبراطوريات الاستعمارية "إن الخطر المهدد يكمن في البحر المتوسط، صلة الوصل ما بين الشرق والغرب وفي حوضه مهد الديانات والحضارات، وفي شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه أخصّ، فعلى طول ساحله الجنوبي من الرباط إلى غزة، وعلى الساحل الشرقي من غزة حتى مرسين وأضنة،

---

[1] - حامد سلطان، **المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين**، عن وثائق صادرة في الفترة بين ١٨٩٥-١٩١٦ ، موقع السلطة الوطنية الفلسطينية nakba.sis.gov.ps .

[2] - انظر: **وثائق فلسطينية**، الجزء الأول ، الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، آب / أغسطس ١٩٦٩ . كما تجد تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع في موسوعة مقاتل من الصحراء: http://www.moqatel.com.

وعلى الجسر البحري الضيق الذي يصل آسيا بأفريقيا، وتمر فيه قناة السويس شريان حياة أوروبا، وعلى جانب البحر الأحمر، وعلى طول ساحلي الهندي وبحر العرب وحتى خليج البصرة، حيث الطريق إلى الهند والإمبراطوريات الاستعمارية في الشرق. وفي هذه البقعة الشاسعة الحساسة يعيش شعب واحد، تتوفر له من وحدة تاريخه ودينه ووحدة لسانه وأصالته كل مقومات المجتمع والترابط والاتحاد، وتتوفر في نزعاته التحررية وفي ثرواته الطبيعية، ومن كثرة تناسله، كل أسباب القوة والتحرر والنهوض. ويضيف، كيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت فعلاً آمال شعبها وأهدافه، وإذا اتجهت هذه القوة كلها في اتجاه واحد؟ ماذا لو دخلت الوسائل الفنية الحديثة، ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية إلى هذه المنطقة؟ ماذا يمكن لو انتشر التعليم وعممت الثقافة في أوساط هذا الشعب، وماذا سيكون إذا تحركت هذه المنطقة واستغلت ثرواتها الطبيعية من قبل أهلها ... عند ذلك ستحل الضربة القاضية بالإمبراطورية الاستعمارية، وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود، تتقطع أوصاله، ثم يضمحل وينهار، كما انهارت إمبراطوريات الرومان والإغريق.

إن الخطر على كيان الإمبراطوريات الاستعمارية كامن في الدرجة الأولى في هذه المنطقة في تجمعها واتحادها حول عقيدة واحدة، وهدف واحد، فعلى كل الدول ذات المصلحة المشتركة أن تعمل على استمرار وضع المنطقة المجزأ المتأخر، وعلى إبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل وتأخر وتناحر، وكوسيلة أساسية مستعجلة لدرء الخطر يجب العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي، وذلك بإقامة حاجز قوي، غريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، ويربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة"[١].

لقد كانت أوروبا بحاجة لحلول تتعامل مع مختلف القضايا التي أثارها التقرير وهي متشعبة، حضارية واقتصادية واستراتيجية:

---

[١] - أحمد داوود، **تاريخ سوريا القديم** – تصحيح وتحرير، ص ١٧– ١٩.

ففي المنطقة قناة السويس وهي شريان حياة أوروبا = فلا بدَّ من السيطرة على هذا الشريان.

فيها شعب واحد تهاب أوروبا من توحده = فلا بدَّ من تقسيمه وترسيخ التجزئة.

له وحدة تاريخ عريق = فلا بدَّ من تزويره.

لها وحدة لسان = فلا بدَّ من التعامل مع هذا المكون الحضاري.

كان الخوف من دخول الوسائل الفنية الحديثة = فلا بدَّ من حصارها تقنياً.

وفيها الثروات الطبيعية = فلا بدَّ من السيطرة عليها.

كان الخوف من التعليم والثقافة = فكان لا بدَّ من التعامل معه.

كان مشروع "الدولة الحاجزة" لخلق حاجز بشري قوي وغريب شرقي البحر المتوسط، يكون قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية تعتمد عليها في الملمات، وقد هدف هذا المشروع الغربي من إنشاء فكرة الدولة الحاجزة إلى غرس كيان غريب في قلب العالم العربي الإسلامي، يفصل جناحه الآسيوي عن جناحه الإفريقي، يمنع وحدته ويضمن ضعفه وتفككه، وسيسعى هذا الكيان بالتالي لضرب أي نمو حضاري قوي في المنطقة، وسيشغل العالم الإسلامي بمشكلة طويلة معقدة تستنزف طاقته وجهوده، وتبقيه إلى أبعد مدى ممكن في فلك التبعية والضعف والحاجة للعالم الغربي وقواه الكبرى. في الوقت الذي تستمر أوروبا في بناء قوتها الصناعية والتقنية. وكما أن هذا الكيان سيكون بحاجة إلى دعم الغرب لضمان استمراره، فإن الغرب كذلك سيكون بحاجة إليه لضمان ضعف العالم الإسلامي وتفككه وتبعيته، فكانت الاستراتيجية الرئيسية للغرب في المنطقة إبقاء الأمة مفككة مشتتة.

٥) حل المسألة اليهودية بالمسألة الشرقية

لقد كانت هناك حاجة غربية تتمثل في هدفين، أولهما التخلص من الفائض البشري اليهودي غير المرغوب فيه عبر تصديره للخارج كما كان يفعل بالمجرمين والمنبوذين في أوروبا، وثانيهما خلق هذا الكيان (الدولة الحاجزة) لتحقيق الأهداف

الاستعمارية، والكيد للحضارة العربية الإسلامية، وتمزيق وحدة المنطقة، ومنع نهوضها أو تطورها، واستمرار نهبها، أي حل المسألة اليهودية بالمسألة الشرقية. وبعد تحليل مختلف القضايا ذات العلاقة، توصلت مختلف الأطراف المعنية إلى أن هناك:

- رغبة غربية في التخلص من الفائض اليهودي المنبوذ، مقابل رغبة غربية في تقسيم العالم العربي ومنع توحّده.

- رغبة اليهود في التخلص من الاضطهاد الأوروبي، مقابل رغبة اليهود في جني ثمرة ما في أوج التنافس الاستعماري على النفوذ والأرض والثروات وتصاعد المد القومي في أوروبا.

- رغبة غربية في زرع جيب استيطاني يخدم مصالحها في المشرق العربي يستنزف طاقات الأمة ويمنع توحدها، مقابل رغبة اليهود في الحصول على وظيفة بعد المتغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها أوروبا في القرن التاسع عشر والتي سببت لهم ضياع الكثير من الفرص الوظيفية.

فالتقت الإمبريالية الغربية مع اليهود لقاءً تاريخيًا بعد تبلور معالم صفقة كبرى، تتمثل بغرس دولة لليهود تكون قاعدة دائمة وحليفاً استرتيجياً لخدمة مصالح الغرب، مقابل ضمان هذا الغرب دعم وبقاء هذا الكيان واستمراره، فتم حل المسألة الشرقية بالمسألة اليهودية في صفقة واحدة. تم الإعداد لهذه الصفقة وترتيبها على يد الحركة الصهيونية، وذلك ما سنناقشه على الصفحات القادمة.

ثانياً- الصهيونية

قبل الخوض في تفاصيل هذه الصفقة، لا بد من إعطاء خلفية سريعة عن الصهيونية والفكر الصهيوني:

١) الصهيونية السياسية الغربية

انتشرت فكرة عودة المسيح في أنحاء أوروبا المسيحية وارتبطت بضرورة إعادة اليهود أولاً إلى أرضهم فلسطين (حسب ما نصت عليه مدونات التوراة وفق التفسير

الصهيوني)!!! إذ دعا نابليون بونابرت اليهود للعودة إلى فلسطين وإقامة دولتهم التي منحهم الله إياها، ويعتبر نابليون هو المسيحي الصهيوني الأول الذي أراد استثمار فكرة إعادة اليهود إلى وطنهم ليستفيد من أموالهم، ومن جعل فلسطين دولة يهودية ترعى وتحمي مصالح فرنسا، وتلقفت بريطانيا أطروحة نابليون، فعملت هي الأخرى على كسب اليهود إلى جانبها وتبني مشروع عودة اليهود إلى فلسطين وقبل أن يفكر اليهود أنفسهم بهذه القضية، وبدأ رجال الاقتصاد والسياسة والفكر واللاهوت الأوروبيون ينظرون إلى الأهمية القصوى لزرع اليهود في فلسطين. وبدأ التضليل على مسيحيي أوروبا يتكون من خلال إطلاق معلومات لم يثبتها التاريخ، من قبيل أن هجرة اليهود إلى فلسطين ستعجل بهدايتهم وأن هذه الهجرة تُعد شرطا أساسيا لعودة المسيح ليحكم الأرض بعد غيابه ألفي عام. نتفق مع الدكتور عبدالوهاب المسيري في وصفه لهذه الحركة، بأن الصهيونية " لا تعبر عن تطلع اليهود الأزلي إلى العودة إلى أرض الميعاد، وليست نتيجة عداء الأغيار الأزلي لليهود (كما يدَّعي الصهاينة والمعادون لليهود واليهودية) وإنما هي استجابة غربية معينة لواقع اقتصادي واجتماعي معين، عُرف في التاريخ الأوروبي باسم المسألة اليهودية الناجمة عن وضع الجماعات اليهودية داخل الحضارة الغربية كجماعات وظيفية فقدت وظائفها الأساسية (أعمال الوساطة المالية وغيرها من الوظائف) بسبب الثورتين التجارية والصناعية وظهور الدولة القومية المركزية. ولحل المسألة اليهودية، تم ربطها بالمسألة الشرقية (أي تقسيم الدولة العثمانية)، فأعاد الغرب والصهاينة إنتاج مفهوم الجماعة الوظيفية على هيئة الدولة الوظيفية. وجوهر الحل هو إيجاد وظيفة جديدة للجماعة الوظيفية التي فقدت وظيفتها، فيتم نقل وتصدير هذا الفائض اليهودي البشري من أوروبا- حيث فقد وظيفته- إلى فلسطين، حيث تُوكل له وظيفة حماية المصالح الغربية (بما في ذلك تقسيم الوطن العربي) مقابل قيام الغرب بضمان بقاء واستمرار ودعم الدولة الوظيفية الصهيونية"[١].

---

[١] - عبدالوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مقابلة في قناة الجزيرة:
www.aljazeera.net.

٢) الصهيونية اليهودية الدينية

وحيث إننا بصدد التحدث عن الصهيونية نرى أنه من الضروري إيضاح هذه التسمية، وتبيان الفارق بينها وبين ما عُرف بالصهيونية الدينية، فالصهيونية السياسية عبارة عن مشروع استعماري غربي نشأ ابتداءً من الغرب المسيحي للأسباب التي قدمنا لها في الفقرات السابقة، بينما الصهيونية الدينية انطلقت من عقائد يهودية تتعلق بأمل اليهود الأكبر بمجئ مسيح آخر الزمان حينما تدعى "جميع شعوب الأرض"(التكوين: ٣/١٢)، إلا أنها لم تمتلك مشروعاً استعمارياً لاحتلال فلسطين بل أوجدت تقليدا يقضي بالحج إلى (الأرض المقدسة)[١]، فكان هدفهم استحداث مركز روحي وليس أكثر، كحال المسلمين مع الحج لبيت الله الحرام في مكة المكرمة، ويقول روجيه جارودي في معرض وصفه لهذه الفئة القليلة من اليهود والتي لم تعادي العرب ولم يعادوها (والملفت للنظر هو أن هذه الصهيونية الدينية "والتي لم تنتشر إلا بين مجموعات يهودية محددة" لم تصطدم بمعارضة المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم منحدرين من ذرية إبراهيم، وينتمون لعقيدته. ثم إن هذه الصهيونية الروحانية، البعيدة كل البعد عن أي برنامج سياسي يهدف الى تكوين دولة، وعن فرض اي سيطرة على فلسطين، لم تثر مطلقاً مجابهات أو منازعات بين الطوائف اليهودية وبين السكان العرب.. المسلمين والمسيحيين).

٣) الصهيونية السياسية اليهودية

كما أشرنا إلى أن الصهيونية السياسية عبارة عن مشروع استعماري غربي نشأ ابتداءً من الغرب المسيحي، التقط هذا المشروع مثقفون يهود علمانيون ورجال أعمال، وقاموا مجتمعين بأدلجة الروايات التاريخية ومدونات التوراة لخدمة هذا المشروع بخداع يهود العالم بخرافات من بينها أن هجرتهم ستعجل بقدوم المسيح المنتظر، وقد كان في مقدمة ركب الحركة الصهيونية المحامي اليهودي العلماني " ثيودر هرتزل"[٢].

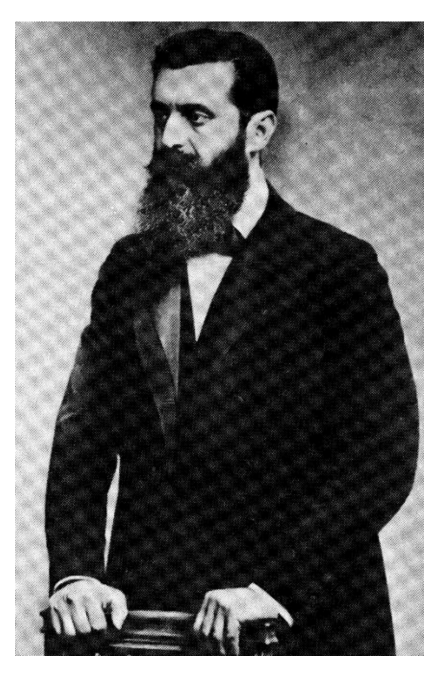
---

[١] – ويعنى بها بيت المقدس، وفيها كنيسة القيامة إلى غيره.

[٢] – في كازينو بلدية بازل في سويسرا في ٢٩ آب (أغسطس) عام ١٨٩٧ افتتح المؤتمر الصهيوني الأول بدعوة من الصحافي اليهودي الهنغاري ثيودور هرتزل ووضع الحجر الأساس للمنظمة

وبالرغم من أن الفكر الصهيوني ينسب في بداياته إلى (لورد شافتري) و(لورنس ألفونس) الصحفي الإنجليزي، إلا أن الذي التقط الفكرة وعمل لها وأحسن الاستفادة منها ووظّف كل العناصر المتوفرة أمامه أفضل توظيف هو المحامي اليهودي "ثيودر هرتزل"، فبدأ بعملية تسويق ضخمة على الطرفين (النظام الغربي – اليهود المنتشرين في أوروبا)، فهو من جهة يحل مشكلة اليهود أو الجماعات الوظيفية اليهودية والذين أصبحوا من دون وظيفة، من خلال إيجاد وظيفة استيطانية عبر تأسيس دولة لهم في فلسطين يجمع فيها اليهود من كل أنحاء العالم، لتقوم هذه الدولة بالمقابل بالدفاع عن المصالح الغربية نظير أن يقوم الغرب بالدفاع عن أمنها، ويؤكد (روجيه جارودي) على هذه الحقيقة أيضاً بقوله: (إن الأب الروحي للصهيونية ثيودور هرتزل أشعل الرغبة الاستعمارية في خلق (إسرائيل) وقدم لها مسوِّغات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الاستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية فسوف تتمتع بميزة على خصومها؛ لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مزروعة في المنطقة من أجل التغلغل الاستعماري). وعلى ذلك الأساس فقد كانت الصفقة التي يروّج لها الصهيوني هرتزل تتلخص في إبرام عقد تحالف وشراكة وظيفية مابين اليهود من جهة والاستعمار الغربي من جهة أخرى ضد وحدة العرب والمسلمين ونهضتهم، وإبقاء وطن العروبة مفككا كشرط من شروط تحقيق مقاصد هذه الشراكة.

الصهيونية التي انبثقت عنها "اسرائيل" بعد نصف قرن وهي المنظمة التي ما زالت تمد الدولة اليهودية منذ لحظة ولادتها الى يومنا هذا بكل أصناف المؤازرة والدعم. بافتتاح المؤتمر الصهيوني الأول وبتأسيس المنظمة الصهيونية زرعت بذور ما سمي بالقضية الفلسطينية والأدق أن يسمى بالصراع الصهيوني – العربي.



ثيودر هرتزل

كتب ثيودور هرتزل سنة ١٨٩٥م في كتابه (الدولة اليهودية) قائلاً: (ستكون هذه الدولة بالنسبة إلى أوروبا متراساً ضد آسيا، وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البربرية " أي العرب ") كان هذا الصهيوني النمساوي يعرض بيع اليهود في العالم لتأدية خدمة لهذه الدولة الاستعمارية أو تلك، وقد نجح في ذلك بعد توظيف كل العناصر التي أتيحت له، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هرتزل لم يكن متمسكا بفلسطين كموقع لهذه الدولة في بداية الأمر، فلقد ذكر في كتابه بل تساءل "هل يكون البلد فلسطين أم الأرجنتين؟ سنأخذ ما يعرض علينا وما يختاره الرأي العام اليهودي"، فالأمر في النهاية كان راجعا للمصالح الغربية الاستعمارية، مع جاهزيته للتنفيذ، المهم أنه كان يعرض الخدمة في مقابل مردود مادي.

وحصل ما كان يسّوق له، حيث اختيرت أرض جنوب سوريا (فلسطين)، نظراً للموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة بالنسبة للغرب من جهة، ونظراً لتعلق اليهود الروحي بها من جهة أخرى، حيث كانا أهم عاملين ساهما في اتخاذ قرار اغتصاب

فلسطين، وأصبحت اسرائيل الأداة الرئيسية للغرب في استنزاف الأمّة. وفي محاضرة لروجيه جارودي في ١٣/١٠/١٩٩٦م في فندق الماريوت بالقاهرة يقول "إن إسرائيل ستلعب دوراً هاماً في المواجهة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي نظراً لموقعها الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي"[١].

عمل ثيودور هرتزل بكل إخلاص وتفان للوصول إلى هدفه، ففي عام ١٨٩٦ قابل الصدر الأعظم ليعرض عليه مختلف الإغراءات المادية، وعرض عليه وفاء ديون السلطنة العثمانية لقاء السماح بالهجرة اليهودية وإنشاء دولة مستقلة لهم في فلسطين، الأمر الذي رفضه السلطان عبدالحميد، حيث إنه كان مدركا للهدف البعيد الذي يرمي إليه هرتزل ومن ورائه الغرب الاستعماري. وقد أدى ذلك إلى غضب اليهود عليه، الأمر الذي ساهم في القضاء على الدولة العثمانية وعليه شخصيا على يد جمعية "تركيا الفتاة" والتي عُرف عن هيمنة "يهود الدونمة"[٢] عليها.

من أهم الأفكار التي كان يروج لها هرتزل، أن اليهود في كل العالم يشكلون أمّة واحدة، وأن كل شعوب العالم هي لا سامية علناً أو سراً، واليهود هم دائماً هدف للاضطهاد بين كل الشعوب. وقال "إذا مكثنا مدة طويلة بأمان واحترام في أي مجتمع نتعرض للانصهار، وهذا ليس لصالحنا وليس لصالح اليهودية"، وقال "إن حل مسألة اليهود في فلسطين يحل مسألة الشرق الأوسط (ويعني هنا المسألة الشرقية)، ويكون لهذا الحل تأثير على العالم المتحضر بكامله، وإذا أقمنا دولتنا في فلسطين نقيم حصناً للحضارة الأوروبية في مواجهة الهمجية". لقد كان هرتزل بمشروعه السيء الصيت يضع اللمسات الأخيرة على هذا المشروع الاستعماري المسمى "إسرائيل" والذي دفعت أمتنا من أجله ولا زالت الكثير من حاضرها ومستقبلها.

---

[١] – محمد مورو، **إسرائيل طليعة استعمارية أم طبيعة دينية؟:**

http://www.albayan-magazine.com/intifadah/intifadah-30/int-02-30.htm

[٢] – اليهود الذين هاجروا من أوروبا وبالتحديد من أسبانيا هربا من بطش الأوروبيين لاجئين في الدولة الإسلامية.

ثالثاً- اختلاق مكونات الأمّة اليهودية

فعندما التقت العناصر المكونة لهذه الصفقة، احتاجت الأطراف المتفقة عليها لمبررات أيديولوجية تُسوّغ لهم احتلال فلسطين، وحيث أن الصفقة تقول حسب هرتزل بأنه كانت هناك أمة يطلق عليها (الأمة اليهودية)، برزت الحاجة حينها لاختلاق مكوناتها، فالأمة بحاجة إلى لغة وبحاجة إلى تاريخ وبحاجة إلى موقع جغرافي، فبدأت أكبر عملية تزوير عرفها التاريخ الإنساني، باختلاق مكونات "أمة يهودية" لم يكن لها وجود في يوم من الأيام، وتم التعامل مع هذه المكونات من خلال:

أولاً: اختطاف التاريخ العربي.

ثانياً: اختلاق لغة عبرية.

ثالثاً: الإسقاطات الجغرافية.

١) اختطاف التاريخ العربي

لقد تم تزوير تاريخ الأمّة في حقب مختلفة، لم تكن أحداث القرنين الأخيرين أولها، بل مرت فترات في التاريخ القديم قد شهد فيه التاريخ العربي عمليات تزوير مختلفة، لعل فترة كتابة "التوراة السبعينية" على يد الكهنة السبعين كان أهمها قديماً، أما كيف تم ذلك؟ فنناقشه عبر المحاور التالية:

١- تاريخ ما قبل البعثة المحمدية

من يريد أن يكتب تاريخ الأمة عليه أن يبدأ من آدم العاقل الأول، ولو طلبنا من الإنسان العربي - بعد أن نفكت قيود التزوير التي أطبقت عليه - أن يكتب تاريخه فسوف يجد نفسه مضطرا للسفر عبر التاريخ حتى آدم الأول، يمر من خلالها على تلك الدول العظمى التي قامت في هذه المنطقة. إلا أن الأمر المؤسف، أنه لو أراد أحد الكتاب في الغرب أن يكون محايدا في كتابة التاريخ العربي، فسيبدأ من عرب الجاهلية المعاصر للبعثة المحمدية، أما قبل هذا التاريخ، فلم يكن هناك شيء، وتاريخ هذه

المنطقة كان حروباً وصراعات همجية، وما تلك الدول العظمى التي قامت في سوريا الكبرى ووادي النيل إلا حضارات لا تمت إلى العرب بصلة، أي يقولون ضمنا أن شعوب هذه الدول قد جاءت من اللامكان.

إننا عند قراءة تاريخ علاقتنا بالغرب نرى صورا عديدة تتكرر، صورة الهمجي اللاهث وراء غرائزه البهيمية في مواجهة أمة مُعلمة موحدة، لم تحتكر علماً، بل كانت سبّاقة في نقل العلوم إلى الآخرين، على عكس ماَ يُفعل بهم اليوم من قِبل الغرب، بل إن التراث العربي كله والقرآن الكريم كانا يحثان دائما على التعليم، وهو ما ميّز أمة التوحيد عن باقي الأمم، القرآن الكريم (المصدر التعليمي الرئيس للأمة)، قد نبه وحثّ في مواضع عديدة على هذا الأمر، ونرى شواهد عديدة على أن العرب كانوا بالفعل نقلة للعلوم ولم يحتكروها وما تاريخ المعابر الحضارية في صقلية والأندلس والتي أشرنا لها سابقا إلا خير شاهد على ما نقول. تزوير التاريخ العربي في الأندلس وتشويه صور العرب المسلمين لتبرير الهجمات الهمجية في ما عرف بالحروب الصليبية، إلى عصرنا الحاضر خلال العقود الأخيرة، والغرب يوشك أن يطبق على أمتنا ويوجه لها الضربة القاضية، الصورة هي هي تتكرر.

من خلال تقليب صفحات التاريخ ندرك بأن القادة العرب الأوائل كانوا مدركين للكثير من الحقائق التي نشير إليها، وما هتاف المأمون عندما جاء بمترجمين سريان لترجمة كتب الإغريق والرومان قائلا (هذه بضاعتنا ردّت إلينا) إلا نموذج على إدراك القادة العرب الأوائل للتزوير والسرقات التي طالت التراث العربي السابق للبعثة المحمدية. فلماذا جاء بمترجمين سريان أولاً؟ وأية بضاعة هذه التي ردت إليهم؟ فإن كان ما قام بترجمته هي كتب وعلوم الإغريق والرومان، فما كان عليه أن يعدها بضاعته، لقد كان واضحا للمأمون أن ما قام بترجمته إنما هو تراث الأمة الذي انتقل عبر مراحل متعددة إلى هذه المناطق، لتؤسس فيما بعد ما عُرف بحضارة الإغريق والرومان. حصل بعدها ما كان يحصل على الدوام، عادت هذه العلوم المترجمة (والعربية الأصل)، عادت إلى أوروبا عبر معابر الأندلس وصقلية لتبدأ بعدها نهاية العصور المظلمة الوسطى وبزوغ فجر النهضة الأوروبية، كما يؤكد الكثير من المؤرخين الموضوعيين في الغرب.

يقول وول ديورانت في معرض حديثه عن الدول العظمى التي أقامت حكومة بالمفهوم القانوني في التاريخ، ويشير إلى أن الدولة العربية (من دون تسميتها بالعربية) هي أول دولة عرفها التاريخ الإنساني "أنها أقامت في غرب آسيا حكمًا كفل لهذا الإقليم قسطاً من النظام والرخاء أكبر مما استمتع به هذا الجزء من الأرض في ما نعلم قبل ذلك العهد. ذلك أن حكومة أشور بنيبال التي كانت تضم تحت جناحيها بلاد أشور، وبابل، وأرمينية، وميديا، وفلسطين، وسوريا، وفينيقية، وسومر، وعيلام، ومصر كانت بلا جدال أوسع نظام إداري شهده عالم البحر الأبيض المتوسط أو عالم الشرق الأدنى حتى ذلك العهد؛ ولم يدان آشور بنيبال فيه إلا حمورابي أو تحتمس الثالث"[1]. وول ديورانت لم يسمها بالدولة العربية – حاله كحال علماء الغرب الذين يخشون التلفظ بكلمة عربي – ولكن لنا أن نتساءل أين هو الموقع الجغرافي لهذه الدولة التي يقول عنها إنها مثلت أوسع نظام إداري شهده عالم الشرق الأدنى حتى ذلك العهد، أين كانت دولة أشور؟

تم وصم التاريخ العربي بالوثنية، وأعطيت المناطق مسميات كانت دائما تستبعد هويتها الحقيقية، وكلما صدمتهم الاكتشافات الأثرية في المنطقة للحضارات العربية الأولى أخذوا بإطلاق مسميات مختلفة، فهذا عصر نحاسي وذاك عصر حجري وهكذا، في حين أن القرآن الكريم قد أوضح في مواضع مختلفة حقيقة التاريخ العربي الذي سبق النبي محمد (ص)، فبعد أنْ ساق القرآن واستعرض نهضات الأنبياء والمعلّمين طوال التاريخ الإنساني عقّب قائلاً (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**)(الأنبياء:٩٢). وقد تنبّه بيير روسي إلى هذه الحقيقة عندما قال "ليس هناك فيلسوف إغريقي لم يكن يحدث عن الشرق، ويقول إنه تلميذه، ليس هناك واحد منهم لم يولد في الشرق أو يسافر إليه طلبا لاكتشاف الماضي"[2].

إن الأمر المؤسف هو ما فعله الكتّاب العرب، الذين أخذوا يرددون ما يكتب في الغرب، حتى أصبحت الأكاذيب مسلّمات لدى العرب أنفسهم، بل أخذ بعض العرب

---

[1] – وول ديورانت، **قصة الحضارة**، ص ٤٧٦ .

[2] – بيير روسي، **مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ١١٩ .

والمسلمين كلما اختلفوا مع مصر هذه الأيام حول قضية معينة، أخذوا بشتمهم وبتذكيرهم بتاريخهم الوثني (أي تاريخ فراعنة مصر!!!) باعتبار أنه شعب كان يعبد "روث الخنفساء"[1]. روث الخنفساء الذي كان رمزًا شاهدًا على العلوم الربانية التي كانت تظلل عرب وادي النيل، أصبح يُستخدم أداة لشتم شعب مصر. للأسف فإن هؤلاء المسلمين قد وقعوا ضحية لهذا التزوير الفادح بوصمهم عرب وادي النيل بالوثنية، بل أخذ بعض الأخوة المصريين يتباهى بتراث (فراعنة مصر) ليميّز نفسه عن باقي العرب مستندا على ما بثّه الغرب من تزوير في فصله عرب وادي النيل عن جسمها العربي الواحد.

إن تزوير التاريخ العربي لم يغّير حقيقة هذه المنطقة، فالجغرافيا كانت على الدوام هي الشاهد، وعلم الآثار أتاح الفرصة لفضح هذا التزوير، فما حضارة إيبيلا ماري وما حضارة أوگريت وما حضارة عمريت في سوريا والمسمون ظلماً بالفراعنة في مصر وادي النيل، إلا تلك الحضارة العربية الأولى التي علمت البشرية وخرّجت المفكرين والعلماء.

٢- القرن الحادي عشر (مقارنة)

لقد كانت الهوة واسعة بين الحضارة العربية ومعرفة أوروبا السطحية في القرون الأولى من الألفية الميلادية الثانية، بل أنهم كانوا أهل جاهلية بمفهوم العرب التقليدي لمعنى الجاهلية، إذ تقول زيغريد هونكة في هذا الصدد "اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية في أوروبا التي كانت ترى أن من الكفر والضلال القول بأن الأرض كروية، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكراً: أيعقل أن يُجنّ الناس إلى هذا الحد ، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟!!"[2]

---

[1] - انظربحث: **الأسطورة – توثيق حضاري**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[2] - زيغريد هونكه ، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص٣٧٠.

ولو أردنا إجراء مقارنة بحال العرب والغرب في تلك الحقب، فإن من المؤكد أن يصطدم القارئ ببعض الحقائق التاريخية، حيث أن من المعروف أن القرن الحادي عشر الميلادي كان قرنا ذهبياً للعرب والمسلمين في مناطق شتى من العالم الإسلامي، إلا أن الصادم هو حال أجزاء من أوروبا في ذلك الوقت، يقول وول ديورانت في قصة الحضارة " ذلك أن أكل اللحوم البشرية كان يومها شائعاً بين الناس جميعاً، فقد وجدناه في كل القبائل البدائية تقريباً، كما وجدناه بين الشعوب المتأخرة تاريخاً مثل سكان أيرلندة وإيبريا وجماعة البكت، بل بين أهل الدانمرك في القرن الحادي عشر كان اللحم البشري من لوازم العيش بين قبائل كثيرة ولم يكن الناس يعرفون الجنائز؛ وأما في جزيرة بريطانيا الجديدة فقد كان اللحم البشري يباع في الدكاكين كما يبيع القصابون اللحم الحيواني اليوم"[(١)]. كان ذلك في القرن الحادي عشر.

٣- موضع الأمّة المعلمة

كان التوحيد هو السمة الغالبة على الأمّة منذ آدم الإنسان الأول. لقد أوضح القرآن الكريم ومن دون لبس أو اشتباه موضعها في مواقع عديدة من كتاب الله، فيقول في آل عمران (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكَر وَتُؤْمنُونَ بِاللَّه وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكتَاب لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ منْهُمُ الْمُؤْمنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسقُونَ**)(آل عمران: ١١٠). نتفق مع من يقول أن النبي محمداً (ص) في بعثته قد عاصر غالبية تعبد الأصنام، ويتفق معنا القارئ أيضا أن هؤلاء من عرب قريش وغيرها من القبائل، لم تكن هي المقصودة بأنها كانت "خير أمة أخرجت للناس" وهي أمة تعبد الأصنام، غير أن القرآن هنا في الوقت نفسه، يخاطب قوم محمد (ص)!!!، فالحديث كان عن تاريخ هذه الأمة وماضيها المجيد، قبل الانحراف عن التوحيد، وما قوله عزّ وجل (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) إلا تذكير لهم بالتكليف الإلهي الذي لم يتوقف بتعليم الناس، فالتعليم والإيمان بالله كان علّة خيرية هذه الأمة... هكذا خاطب القرآن الأمة العربية... وهذه الحالة كانت تتكرر في التاريخ العربي...

(١) - وول ديورانت، **قصة الحضارة**، ص ٤٧٦.

فكلما انحرفت الأمة المُعلمة بعث الله لها نبياً يصحح الانحراف الذي دخلت فيه، ويرجعها إلى الطريق الذي كانت عليه.

وبينما كانت الرسالة المحمدية موجَهة للناس كافة (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**)(الأعراف : ١٥٨)، (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**)(سبأ : ٢٨.)، كانت مهمة حمّل هذه الرسالة موكلة للنبي محمد (ص) وقومه، وهم من سيتعرض للمساءلة لو أخفقوا في حملها... (**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**)(الزخرف:٤٤). فهناك أمر قد اختص الله به النبي محمداً (ص) وقومه، ليس من باب أفضلية قوم على قوم، تعالى الله عن ذلك، ولكنها مهمة هذه الأمة الحاضنة للرسالات السماوية كافة، وتكليفها، وموضعها.

٤- السراة مهبط الوحي

لم يدّون التاريخ رسالة سماوية جاءت من خارج المنطقة العربية، بل بقيّ المركز في جبال السراة في جزيرة العرب، هو الذي يبث الإشعاع إلى دفتيه (عرب آسيا وعرب أفريقيا)، ومن ثم يخرج إلى باقي أرجاء المعمورة. وقد جاء في حديث منسوب إلى النبي (ص)، موجهاً للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، أنه قال "يا أبا ذر من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ ...... الخ"[1]. وقال القران الكريم (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(آل عمران: ٣٣، ٣٤)" . فالنبي محمد (ص) يقول أن نوحاً (ع) سرياني، والقرآن الكريم يصرح بأنها ذرية بعضها من بعض، ومنهم نوح (ع)، أي أن حفيد إبراهيم الخليل (ع) النبي العربي محمد (ص) هو من ذرية النبي السرياني نوح (ع)، فالسلسة واحدة وما السريانية والعربية الفصحى إلا لهجات حقب زمنية مختلفة ولم تكن لأمم مختلفة، بل هي هي هذه المنطقة التي كانت مهد جميع الأنبياء عليهم السلام، ولكن إرادة المزورين شاءت إلا أن تفصل نوحاً (ع) عن إبراهيم (ع)، وتفصلهم جميعاً عن النبي محمد (ص).

---

[1] - ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ص ١٩.

لقد تم تشويش تاريخ الأنبياء وسلالاتهم، ومناطق دعواتهم، لإكمال مسلسل تزوير التاريخ، لطمس هوية الأمة وسلب مكامن عزتها. فالأمة هي التي احتضنت الأنبياء جميعاً، هذا ما يؤكده التراث العربي كله والقرآن الكريم. كان العرب موحدين منذ آدم الأول، هذا ما يشهد به تاريخهم الحقيقي، لا المزور، وكلما انحرفت الأمة عن العقيدة لتحل محلها الخرافات والأوهام، بعث الله نبياً مذكراً. يقول الله تعالى للنبي محمد (ص) في محكم كتابه (**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**)(الغاشية:٢١)، فهو إنما يذكرهم بتاريخهم وبالبعثات السماوية وتعاليمها التي سبقته، ونرى كل نبي مرسل إنما كان يحدث قومه بحال الرسالة التي قبله وبحال المعاصرين مع ذلك النبي وما آل إليه حالهم، ولم يكن ذلك حديثاً عن قصص لا يعرفونها، بل كانت أحداثا عاشها أجدادهم، وتناقلوها حتى وصلت إليهم، وإن كانت مشوهة محرفة لتمادي الزمان، فالقصص القرآني بالنسبة لهم لم يكن ألغازاً ينبغي تفكيكها.

فنقلوا إبراهيم (ع) من الجزيرة العربية إلى العراق وفلسطين ومصر بغنماته، ونقلوا نبي الله موسى (ع) من قرية مصر في الجزيرة العربية إلى "مصر" وادي النيل، كل ذلك لكي يكتمل تحريفهم للتاريخ، كانت المصالح السياسية على الدوام هي الموجه والمحرك لدفة التزوير، فـ" بعد أن شوش لنا فريق "السبعونية" نقطة البداية وذلك بنقل موقع ولادة إبراهيم من الجزيرة العربية إلى العراق؛ وتحديدا من وادي حوران النجدية إلى مدينة أور العراقية؛ تم ترحيل اسم نبي الله إبراهيم في أذهان وثقافة العالم إلى محطته التالية وهي سورية. فنقرأ المقطع التالي من سفر التكوين: "**وَاخَذَ تَارَحُ ابْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطا بْنَ هَارَان ابْنَ ابْنِه وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَاةَ ابْرَامَ ابْنِه فَخَرَجُوا مَعا مِنْ أورِ الْكِلْدَانيِّينَ لِيَذْهَبُوا إلى ارْضِ كَنْعَان فَاتُوا إلى حَارَان وَاقَامُوا هُنَاكَ**"(التكوين ١١ : ٣١). وهنا نرى مدى التشابه اللفظي بين حوران النجدية وحاران المفترضة في سورية. فهذا التشابه لم يأتِ من عدم فلقد اسقط هذا على ذاك"[١].

لقد دوّن التاريخ، إن من الأقوام الذين عاصروا النبي محمداً (ص) كانوا من النصارى ومن اليهود ومن الأحناف الذين بقوا على ملة إبراهيم عليه السلام،

---

[١] – راجع بحث: **نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

فالأحداث كلها جرت في تلك المنطقة الواقعة في جبال السراة بجوار المركز في جزيرة العرب الذي ظل يضخ العلوم لكافة الحقب الزمانية حتى مجيء النبي الخاتم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

٥- اللغة العربية

لقد خسرت أوروبا نفسها جرّاء تهميش دور اللغة العربية بل والتآمر عليها، فالنهضة الأوروبية ما كان لها أن تقوم من دون تلك العلوم التي تناغمت مع هذه اللغة الفطرية، المتولدة عن أقدم لغة في التاريخ، لغة أبينا آدم الأول، فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن هو ينبوع المعرفة الحقة التي تكلم عنها "بيكون"، والتي قال: إنه لم يكن هناك طريق للمعرفة الحقة غير اللغة العربية والعلوم العربية. ويمكن للقارئ أن يتخيل مستوى المعرفة التي كان يمكن لأوروبا أن تبلغه لو لم يتم تهميش هذه اللغة لاحقاً من قبل الدول الاستعمارية، ولعل رجلاً مفكراً كأناتول فرانس كان مدركاً وعالما بهذه الحقائق عندما هاجم شارل مارتل الذي قاد حرباً على القائد العربي المسلم عبد الرحمن الغافقي وهزمه في بلاط الشهداء، واصفاً تلك الأيام بأنها أسوأ أيام التاريخ بالنسبة لأوروبا، ونقده اللاذع لأوروبا في تعطيل العقل العربي بقوله: إنّ أكبر جريمة أو أفدح جريمة - صنعها الغرب - ارتكبت في حقّ البشرية هي تعطيله للعقلية العربية.



اناتول فرانس

من المعروف لدى العديد من الباحثين في علوم اللغة العربية أنها قد بقيت شفوية على مدى آلاف السنين، قبل أن تصوّر هذه الأصوات إلى حروف، وأن اللغة العربية الفصحى التي نعرفها اليوم لم تكن إلا امتداداً لإحدى اللهجات العربية التاريخية الثلاث (العربية العرباء والسريانية والفينيقية)، ومجيء القرآن بها (الفصحى) قد عَمِل على تثبيتها إلى يوم الدين، فحفَظَها القرآن من التغيّر والتأثر بأية عوامل أخرى كالذي جرى على أخواتها السريانية والفينيقية. ساعدت عوامل عديدة على خلق هذه اللهجات الثلاث خلال الآلاف من السنين، ليس هنا مقام بحثها. " فهي اللغة الوحيدة التي اقترنت رقمياً، وهي اللغة التي تمتاز بأنها تحليلية متصرفة، فمثلاً باللغة الإنجليزية نكتب: الكتاب book، والمكتب desk، وكتب write، أما باللغة العربية فنلحظ أنها : كتب، مكتب، كتاب، من أسرة واحدة "[١].

لو راجعنا تسميات المخترعات التي اكتشفت في القرنين الأخيرين، والتي جرت العادة في الغرب أن يرجعوا فيها إلى اللآتينية، على اعتبار أنها تحتوي على الكلمات الأصلية لجميع اللغات الأوروبية، وحللناها لأدركنا أصلها العربي، وقد قام الدكتور أحمد داوود بجهد كبير في هذا المضمار. لقد حصل الكثير من الإرباك للوعي العربي، فكلما سافر أحدنا إلى إحدى الدول الأوروبية يمر بمواقف كثيرة يقرأ أو يستمع كلمات كثيرة، يلاحظ التشابه الكبير في اللفظ بين تلك الكلمات وبين اللغة العربية، غير أن التفسير الذي هيمن على وعينا نتيجة للتزوير الذي تعرض له التاريخ يجعلنا فورا نفسّر ذلك بأنها كلمات لاتينية استعارها العرب لعدم وجود مرادف لها في اللغة العربية.

والحقيقة أن هذه الكلمات قد تحولت من أصولها العربية إلى تلك اللغات المستحدثة في أوروبا اليوم، وقد قامت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها المعروف[٢]، بإرجاع بعض الكلمات الألمانية إلى أصولها العربية، أنقل منها بعض الكلمات العربية المتداولة والمرادف الألماني على سبيل المثال:

---

[١] – انظر بحث: **معجزة اللغة العربية**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[٢] – تجد أمثلة كثيرة أخرى في خاتمة كتاب زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**.

الجبر	Algebra	عسكري	Askari
الحنظل	Alhandal	البرقوق	Arpikose
العنبر	Amber	البن (القهوة)	Bohna
عرق التمر (المسكر)	Arrak	رياح الخمسين	Chamsin
لعبة الداما	Dame	الأكسير	Elixier
المعين (شكل هندسي)	Elmuahin	غزال	Gazelle
المنحرف (شكل هندسي)	Elmuharifa´	زرافة	Giraffe
فقير	Fakir	قيثار	Gittarre
فندق	Fondako	الحنّاء	Henna
شعر الغزل	Gasel	ياسمين	Jasmin
كباب	Kabab	قصيدة	Kassida
حبل	Kabal	القطن	Koton
كافر	Kaffer	مجلة	Magazin
جمل	Kamel	الصك	Scheck
قيراط	Karat	تعرفة أو تعريفة	Tarif

تلك لم تكن إلا نماذج من الكلمات التي استشهدت بها المستشرقة الألمانية "هونكه" عن العربية الفصحى، وهناك الكثير يمكن للقارئ أن يرجع إليها في كتابها المعروف (شمس العرب تسطع على الغرب). وسيكتشف أي باحث حقيقة ما أشرنا إليه لو حاول تفكيك اللغات الأوروبية وإرجاعها إلى أصولها العربية بلهجاتها الثلاث.

إن مـرور الزمـان واخـتلاف صـور الحـروف بـين اللـهجات الـثلاث (الفصـحى– السريانية– الفينيقية) قد ساعد كثيرا على حصول التشويش والإرباك في فهم الأصل الواحد لهذه اللغة، وهذا ما استغّله المحرفون وساعدهم على ذلك النقلة من الكتاب العرب الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب في تاريخنا، بل أخذوا ينقلون ما يكتب في الغرب عن تاريخنا المزور.

إن طمـس حقيقـة لغـة الأمـة وأصـلها، يُعـد فصـلاً آخـر مـن فصـول التحريـف والتزوير. التشويش الثقافي الذي أصاب البنية التحتية لثقافة الأمة، قد أربك معرفتنا لأقدم لغـة في التـاريخ، بـل وأصـل اللغـات جميعـاً، ولـولا حفـظ الله لهـا، بجعلـها لغـة القرآن، لآل مصيرها إلى الاندثار، حالها كحال التاريخ العربي.

"جدلية أصل اللغة، وضعيّة من وضع الإنسان نفسه أم توقيفيّة، أي وحي وإلهام مـن الله وليسـت مـن البشـر كانـت ولا تـزال قائمـة بـين اللغـويين، وإن كـان قـد حسـمها القرآن بآية تعليم آدم الأسماء. ولكن الـذي لا يمكـن أنْ يُجادلَ فيـه أنّ آدم كـان لـه لغـة واحدة معيّنة، استطاع من خلالها أن يتأنسن مع زوجه وأولاده ويكوّن مجتمعاً يمارس فيه كل طقوس الحياة ومتطلباتها، ليؤدّي الأمانة التي اصطفي لأجلها (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**)(الأحزاب:٧٢). وأنّ أولاد آدم تعلّموا لغـة أبيهم، وأنّ كل لغات العالم إنّما هـي في نشأتها الأولى لهجات تفرعت عن اللغـة الأم. فتطوّرت هـذه اللـهجات المتفرعـة عـبر آلاف السـنين مـع تطـوّر الإنسـان وازديـاد حاجاتـه وتكوّنـه في جماعات لتتقولب في قالب خاص له خصائص ومميـزات لتنتقل مـن طـور اللهجـة إلى طور اللغة"[١].

امتدت الأيدي الآثمة في محاولة العبث باللغة العربية مـن خـلال التركيـز وتكـريس اللهجات المحلية، مع تأكيدنا بأننا لسنا ضد تعزيز اللهجات وتوثيقها وإحيائها كتراث عربي أصيل قديم ينبغي الحفاظ عليه، لأنه التركة الشرعية للهجات العرب، والحدود

---

[١] – راجـع بحـث: **اللِّسـانُ العربـيُّ- بُعـدٌ فطـريٌّ وارتبـاطٌ كـونيٌّ**، جمعيـة التجديـد الثقافيـة الاجتماعية.

الفسيحة للتنوع ضمن الوحدة اللغوية، لكنا ضد نبذ مركزية الفصحى لهذه التنوعات الثريّة، فقد كان المستشرقون أول من دعوا إلى الكتابة بالعامية، وهؤلاء جاءوا لدراسة المنطقة ولوضع ركائز للاستعمار وضرب أهم المكونات الحضارية لمنطقتنا، ألا وهي اللغة العربية حافظة الدين والتراث والقيم والعادات. إلا أن القرآن ولغته العربية كانت دائما لهم بالمرصاد، فعربية القرآن، كانت ولا زالت حافظة لهذا المكّون الحضاري. وللأسف فقد وجدت دعوة اعتماد العامية أرضية لدي بعض المثقفين العرب "وتستهدف هذه الدعوة التشكيك في اللغة العربية والتقليل من قدرتها على تلبية حاجات العصر. وأصحاب هذه الدعوة هم أحد فريقين: إما شعوبيون مسيرّون بالرغبة الآثمة في القضاء على أهم دعامات الوحدة العربية والثقافة العربية، وإما غافلون عن الأضرار الخطيرة التي تنجم عن تحقيق ما يظنون. وقد استمات أصحاب هذه الدعوة من المستشرقين وتلاميذهم من أمثال سلامة موسى في المطالبة بإحلال اللغة العاميّة محل اللغة العربية حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات. ونظراً لخطورة هذه الدعوة فقد أولتها الحكومات الاستعمارية كل اهتمام ودعم ولاسيما الحكومة البريطانية حين استعمرت مصر، وقد ظهرت هذه الدعوة صريحة في الكتاب الذي وضعه القاضي الإنجليزي (ولمور) سنة ١٩٠٢ وسماه لغة القاهرة، وما قام به المهندس الإنجليزي (وليم ولكوكس) سنة ١٩٢٦م حين ترجم الإنجيل إلى ما أسماه اللغة المصرية"[١].

٦- نسبة التراث والتاريخ العربي لليهود

نلاحظ ورغم وفرة الوثائق الأثرية التاريخية المصرية، فليست هناك وثيقة واحدة تتضمن أدنى إشارة إلى وجود بني "إسرائيل" في مصر أو طردهم منها، فقد سعت أجيال من الباحثين وعلماء الآثار إلى الربط بين جبل سيناء وبين أمكنة تيه اليهود في الصحراء، غير أن أحداً منهم لم يعثر على أي مكان يتطابق مع الأمكنة

---

[١] - إدارة المناهج، مملكة البحرين، **دراسات في الثقافة الاسلامية للمرحلة الثانوية** (مقرر دين: ٣٢٣).

المذكورة في الأحداث التوراتية، والحقيقة أن شيئًا من ذلك لم يحصل في مصر وادي النيل، بل هي مصر أو مصرين جزيرة العرب منطقة السراة، مهد الإنسان الأول ومهد الأنبياء عليهم السلام[١].

السطو على تاريخ الأمة لم يكن أمرًا جديدًا منذ أن بدأ المشروع الصهيوني، بل استفاد هذا المشروع من أفعال اليهود التاريخية في سطوهم على تراث الأمة لاستكمال خلق مكونات أمتهم المزيفة، وفي هذا الصدد يقول جودت السعد في دراسته " بدأ السطو على تراث المنطقة من قبل اليهود - بعد تأسيس اليهودية وكتابة التوراة - في القرن السادس ق.م وما بعده، فكانت الأسفار الأولى سرقات للثقافة العربية القديمة وأساطيرها، أو تشويه لفلسفة الحياة التي كان يؤمن بها إنسان ذلك العصر"[٢]. بل كانوا يتخيرون كل ما كان جديرًا لكي ينسبوه لأنفسهم، ويقول أدوارد كيير في كتابه "هنا كتبوا على الطين" بهذا الصدد "إن شرائع وقصص وأساطير التوراة ترجع إلى أصل قديم، وليس لليهود فيه دور، بل إنها سومرية وأكادية وبابلية وكلدانية وآشورية ومصرية وكنعانية.. وليس لليهود أي أدب مبتكر - إبداعي - أو ثقافة خاصة. وإن كل ما لديهم هو مقتبس - من قبل كهنتهم - من المدونات العربية القديمة حيث أخذوا كل ما ارتأوه جديراً بأن يحتويه تأريخ يؤسس للجنس اليهودي.. وحذفوا بلا هوادة كل ما لم يلق استحسانهم"[٣].

وحتى قصص الأنبياء قاموا بالعبث في تفاصيلها، فلم يكشف علماء الآثار أي أثر أو معلم يُثبت صحة ادعاء اليهود بما يقولون أو يصرحون به لغاية اليوم، على أن إبراهيم وذريته كانوا في فلسطين. كما لا يوجد أي دليل أثري على مجيء موسى إلى فلسطين، ويقول بيير روسي" إن علينا أن نعرف، قبل كل شيء، أن التاريخ المصنوع للعبرانيين خارج النصوص التوراتية وهو الصمت الكلي المطبق. فلا العمارة ولا

---

[١] - راجع بحث: **نِداءُ السُّراةِ - اختطافُ جغرافيا الأنبياء**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[٢] - جودت السعد، **الصهيونية وتشويه التراث العربي**:

http://www.aqsa-mubarak.org/?cat_id=74&page_id=287

[٣] - نزيه الشوفي، **التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**: www.awu-dam.org.

الكتابات المنقوشة على الآثار، ولا القوانين والدساتير تكشف أثرا قليلا للعبرانيين، فبالرغم من آلاف النصوص المسمارية أو المصرية التي تؤلف المكتبة المصرية، أو مكتبة رأس شمرا أو نينوى، و حتى في الروايات الآرامية، في ذلك كله لا تذكر كلمة (عبرية). وليس هناك أبداً ذكر للملحمة وللوقائع الحربية المعزوة لعبور العبرانيين. إن التاريخ ليس لغزاً يختفي أو يعمد إلى إخفائه لمصالح تكمن خلف إخفاء الحقيقة، مما يضطر إلى مراعاتها، كلا فالحقائق التاريخية جلية وطريقها واضح.. وأن الكشف الجاد يقود إلى الحقيقة، واستبعاد الأكاذيب الخطيرة، ويقدم للمجتمعات الإنسانية، بالتالي، الحقائق الوثوقية الثابتة التي تلزم المجتمعات قاطبة"[1]. كل ذلك يبين أن علماء الغرب قد كتبوا تاريخنا مقلوبا، ونحن بحاجة إلى إعادة كتابة هذا التاريخ الذي أُعيد تدويره وتدريسه لأبنائنا.

لقد بدأت هذه الحقائق الجلية التي تكلم عنها بيير روسي تتكشف حتى للباحثين اليهود المعاصرين، والذين توارثوا تفسيرات وإسقاطات ظناً منهم بصدقها، حيث أن حقول التنقيب الأثرية الأولى في فلسطين بدأ العمل فيها للبحث عن المدن القديمة المذكورة في التوراة، فقام الباحثون اليهود المعاصرون، ورغبة منهم باستخدام علم الآثار لإثبات حقهم التوراتي في الأرض العربية، فإذا بالزيف ينكشف ويظهر بطلان كل الدعاوي السياسية والتاريخية المستندة على الأباطيل الواردة في مدونات التوراة. هذا ويشير "هرتسوغ" إلى أن الغالبية العظمى من الباحثين في المسائل التوراتية وفي أركيولوجيا وتاريخ الشعب اليهودي، يعترفون الآن صراحة بأن الأحداث التاريخية المرتبطة بمسار اليهود مختلفة جذريا وفي العمق عن تلك الواردة في النصوص، ويقول : "هناك شرخ كبير في رواية التوراة للتاريخ القديم، كشفته الحفريات والأبحاث الأثرية. والعلم الحديث كما تعلمون لا يعتمد الروايات المكتوبة بل الآثار في الأساس. وعلم الآثار بات علماً مستقلاً تماماً. وما يحدث لنا في "إسرائيل" هو أننا لا نريده علماً مستقلاً. نريد للآثار أن تثبت الرواية التاريخية، وهذا معاكس ليس فقط للعلم بل للحقيقة التاريخية أيضًا. وإذا كنا نريد أن يكون لنا مكان محترم في الأكاديميا

---

[1] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٢٥.

الدولية، فعلينا أن نلتزم بأحكام العلم، لا بأحكام السياسة والأيدولوجيا. ويضيف:" يبدو وكأن كاتب التوراة وزملاؤه الذين قاموا بمراجعة ما كتب، لم يكونوا على معرفة بتلك الحقائق التاريخية التي لا تحتاج إلى دلائل"[1]. دخل هرتسوغ ومن على شاكلته من الباحثين الجدد في صدام مع المخطط الصهيوني الذي لا يستسيغ هذه الأطروحات ويعمل على وأدها.

قد يعتقد القارئ العربي، أن ما نورده هنا عن التزوير والتحريف للتاريخ العربي قد اقتصر على الحوامل الرئيسية فقط، غير أن الشواهد تقول غير ذلك، فلم ينج أي مكّون ثقافي من عمليات التحريف، فقد "أصبحت الدبكة الفلسطينية رقصة شعبية يهودية، وأضحى تمثال أبي الهول في مصر من صنع الأجداد، أما الفنون التي يمارسها بدو سيناء فهي فنون يهودية في الأساس. وأطلقت مسميات يهودية على الأعشاب الطبية التي تزرع في هذه المناطق. كما قام الصهاينة بجمع العملات الفضية التي تزين الثوب النسائي السينوي في جنوب سيناء واستبدلوها بوحدات رسمت عليها نجمة داوود السداسية، وتم جمع الأثواب التي تصنعها نساء واحة سيوة نظرا لتميزها في الشكل الفولكلوري، مع العلم أن الكيان الصهيوني ليس لديه موسيقاه المميزة أو رسمه المتميز، ولا فولكلور شعبي خاص به. وإن كل ما قام به من سلب ونهب في هذا الإطار، نسبه إليه وجيره لمصلحته وحسابه. أما في لبنان، فلم تنج آثارنا وتراثنا الحضاري من السطو. ففي الوقت الذي اجتاحت فيه القوات الإسرائيلية مدينة بيروت عام ١٩٨٢، كانت الخطوة الأولى التي أقدمت عليها هي مداهمة "مركز الأبحاث الفلسطيني" في منطقة الحمراء، والذي كان يضم أكبر وأهم كنز من الوثائق والمخطوطات المتعلقة بفلسطين والعرب، إضافة إلى آلاف الوثائق المصورة على ميكروفيلم، وقامت بسرقتها ونقلها إلى فلسطين المحتلة. ولم تفرج عن قسم منها إلا بعد حملة دولية واسعة تنديدا بهذا العمل. كما أقدمت أيضًا على مصادرة الكثير من المكتبات الخاصة في الجنوب اللبناني وبيروت، وكان من بينها مكتبات على جانب كبير من الأهمية خاصة بأعيان المسلمين الشيعة في الجنوب، وبشخصيات لها مكانتها على الصعيد الوطني

---

[1] - بشار خليف، **المؤرخون الجدد في إسرائيل:**

http://www.souriana.com/modules/news/article.php?storyid=2646

والسياسي والثقافي، فضلا عن المكتبات الكبرى التابعة لمؤسسات ومعاهد متفرقة. كما شهدت آثار مدينة صور نفسها ـ بالإضافة إلى آثار قرى القضاء ـ سرقة منظمة ومبرمجة من قبل خبراء الآثار الصهاينة، ونقل معظمها إلى فلسطين المحتلة، مما دفع بـ "لجنة حماية آثار صور" إلى الاحتجاج والتنديد بهذا العمل، وقامت بحملة دولية مكثفة بهذا الخصوص، لكن "اللص" كان قد نجا بغنيمته، رغم معرفته وعدم تجاهل شخصيته واسمه من قبل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والرأي العام العالمي برمته."[١].

والأكثر من ذلك كله، بل والمضحك أيضًا أنهم سرقوا حتى زيارات أئمة المذهب الجعفري الإمامي في العراق، "فأصبحت زيارة الإمام الحسين (ع) زيارة حزقيال، وزيارة العباس (ع) نسبت إلى نبي آخر"[٢]، وهكذا يستمرون ليس في بلع الجمل فحسب، بل وبلع العالم بأكمله، ليوجدوا تاريخاً وتراثاًلم يكن له وجود في يومٍ من الأيام.

٧- هل التوراة هي المصدر الرئيسي لتاريخ المنطقة؟

اتخذت مدونات التوراة كمصدر أساسي لكتابة تاريخ المنطقة في الغرب، وحيث أن هذه المدونات أو ما سمي بالعهد القديم قد أرّخَ باعتبار أن الطوفان قد غطى الأرض كلها[٣]. فقد اختفى التاريخ العربي الذي سبق الطوفان من كتب المؤرخين الغربيين، وتم السطو على تاريخ ما بعد الطوفان، لينسبه اليهود لأنفسهم.

---

[١] – صالح زهر الدين، "الدين والتاريخ والمياه والثقافة وغيرها: مخاطر المشروع الصهيوني على العرب والمسلمين.. احتلال العقل اسوأ الاحتلالات"، دورية "**باحث**"، بيروت، العدد صفر، ٢٠٠٢.

[٢] – وليد الخالدي، **من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي**، أستاذ سابق في جامعات أكسفورد (بريطانيا) والأمريكية (بيروت) وهارفرد (الولايات المتحدة)، عضو أكاديمية العلوم والآداب الأمريكية، وأمين سر مؤسسة الدراسات الفلسطينية. (الحياة ١٩٩٧/٨/٢٩): www.daralhayat.com.

[٣] – إن حادثة الطوفان العظيم الذي حدث في حوالي ٣٠٠٠ ق.م. في غرب الجزيرة العربية حيث موقع سكن نوح (ع) أُسبغ عليها من التحريف والتزوير ما صيّرها خرافة يتنّدر بها من لا يعرف كنه

لقد هيمنت قصص وأكاذيب مدونات التوراة على ذهن الغرب بحيث لم يعد يجدي نفعًا تلك الصرخات المنصفة التي تنطلق بين حين وآخر في الغرب لتصحيح هذا الانحراف، وبالرغم من خروج بعض الحالات التي تسحب البساط من تحت هذه الأسفار، لا نجد أن هناك قناعة تتبدل لدي الغالبية الساحقة من الناس في الغرب. نجد مثالاً على وضع هذه الأسفار لدي المسيحيين واليهود، فهم ولقرون عديدة كانوا يعتقدون أن موسى (ع) هو نفسه كاتب هذه الأسفار، ويقول موريس بوكاي: "إن اليهودية والمسيحية ظلتا خلال قرون طويلة تقولان بأن مؤلف التوراة هو موسى نفسه، وربما كان ذلك بسبب ما ورد في سفر الخروج (١ : ١٤) والعدد (٢ :٢٣) والتثنية (٩ :٣١) من أن الله أمر موسى بأن يكتب. ومنذ القرن الأول قبل الميلاد، كان هناك دفاع عن النظرية القائلة بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة للتوراة، ولكن هذه النظرية سقطت اليوم ولم تعد قائمة، رغم أن "العهد القديم" ينسب إلى موسى "أبوة" هذه الأسفار"[1].

عظمة هذا الحدث وذلك بسبب ما اختُلق بشأنه أنه غطّى الكرة الأرضية كلها، وأباد الناس من على وجه الخليقة. رغم هول هذه الكارثة إلاّ أنها لا يمكن أن تكون استوعبت العالم كلّه وأفنت البشرية جمعاء، فأوّلاً لا يمكن – منطقياً وعلمياً– أن تُغطى كلّ الكرة الأرضية بالماء، وثانياً الآثار تثبت وجود حضارات قبل الطوفان وبقيت بعده مثل الحضارة السومرية، وحضارة وادي النيل، كما وتثبت وجود مدن تعود إلى ما قبل عشرة آلاف سنة لم يؤثر فيها الطوفان لأنه لم يصلها مثل مدينة أريحا في فلسطين. كما وتذكر كتب التاريخ أن أهل فارس لم يسمعوا بالطوفان رغم قربه من منطقة الحدث، ولكن شاء مدوّنو التوراة أن يزّوروا الحقائق ليُثبتوا أن الطوفان أهلك كل سكان الأرض ولم يبق سوى أبناء نوح الثلاثة (حام، يافث، سام) الذين بدأت منهم السلالات، ثم نسبوا أنفسهم إلى سام ليثبتوا لأنفسهم أصلاً يتسامون به على الآخرين. الأساطير، والحقائق العلمية والتاريخية، وقبل هذا وذاك القرآن الكريم تثبت أن الطوفان كان محدوداً في منطقة الجزيرة العربية. انظر بحث: **طوفانُ نُوحٍ – بين الحقيقةِ والأوهامِ**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

[1] – ياسين سويد، **تزوير التوراة:**

http://aloma.2islam.com/lies.htm
http://www.aqsa-mubarak.org/?cat_id=74&page_id=288

لقد عمل المستشرقون على ترسيخ التلفيق الذي تم على يد الكهنة السبعين فلم يدّخروا وسيلة إلا وأتبعوها لمسخ تاريخ الأمة الموحدة بحيث أصبح التاريخ المزور من المسلّمات البديهية، التي لا تحتاج إلى تأويل، تجردوا من كل قيمة أخلاقية، ذلك فقط لإثبات أن هذا الكتاب المدعو بالعهد القديم هو كتاب رباني، وكل ما يحتويه هو حقيقة لا يعتريها الشك، فالمهم هو إيجاد تاريخ للكيان الصهيوني، فتم حشر كلمة "حضارة إسرائيل" ضمن حضارات بابل وأوقريت ومصر، وجعلوا أرض فلسطين أرض الوعد لإبراهيم والأنبياء وبالتالي اليهود، أرجعوا السلالات حسب الضحالة التوراتية في قصة الطوفان، ويقول بيير روسي "إنه هوسنا المحب للخصام الذي أخذ يمزق الشعب إلى شعوب أقرباء كالمؤابين والعمونيين والعموريين والكنعايين والآراميين والسوريين... الخ.... ولماذا؟ لأننا معنيون بأن نميز فيهم خصوصيات عرقية أو طائفية تجبرنا على أن نضع بينها العبرانيين، وذلك لكي نقدم الدليل بكل ثمن على صحة العهد القديم... إننا نلمس هنا سجلاً يحمل أفدح أنواع التزوير والتخريب، وليس هناك أصعب من تصحيح مقولات أضحت مسلمات في مسيرتنا العقلية حصينة منيعة ضد الحقائق"[١]. وهناك الكثير من المفكرين الغربيين ممن ردد نفس المقولات، بل وأشبع الكثيرون منهم موضوع تحريف التوراة بحثاً، والنتيجة واحدة، إنها لم تحدث أي تأثير ولم يلحظ المراقب أي تغيير على الاتجاه العام في الغرب فيما يتعلق بهذه الأسفار، فالهيمنة الصهيونية على المنافذ التعليمية في الغرب هي التي تحدد المسار العقائدي للشعوب الغربية، وهي التي مكنّت من الهيمنة على الثقافة التي أشرنا إليها في مقدمة هذا الكتاب.

٨- طلائع المستشرقين

كان معظم المستشرقين يمثلون طلائع استكشافية تسبق قوات الدول الاستعمارية الغازية، ولجهلهم بتاريخ المنطقة، ولعدم وجود مصدر تاريخي غير مدونات التوراة لديهم، اعتمدوا هذه الأسفار المزورة وأسقطوا جهلهم في معرفة التاريخ على المنطقة

---

[١] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٦٥، ٦٦.

العربيـة. كمـا أسـقطوا فيمـا بعـد كـل التسـميات التوراتيـة لتلـك العشـائر البدويـة علـى المنطقة من الفرات إلى النيل، الأمر الذي استفادت منه الحركة الصهيونية.

أخذ المستشـرقون، أو كمـا يطلـق عليهـم الـبعض بطلائـع التجسـس الاستكشـافية لجيوش الدول الاستعمارية (حيث أخذت كل دولة ترسل الجواسيس تارة تحـت عنـوان التبشير وتارة للتنقيب عن الآثار)، أخذ أكثرهم يتعامـل مـع الآثـار المكتشـفة بصـورة لا تمت إلى العلم بصلة، بل يكتبون ما يحلو لهم مستندين على المصدر الوحيد وهو العهد القديم، فقطّعوا التاريخ وقسّموه إلى حضارات ودول. كانوا يحـرصون خـلال ذلـك علـى استبعاد أي ربط لهذا التاريخ بالعروبة، فعملوا على خلط الأوراق من أجل تغييب هوية الأمة، فكل أثـر يكتشـفونه يرجعونـه إلى الرومـان والإغريـق، وعنـدما اكتشـفوا الكربـون المشع ١٤ والذي استطاعوا من خلاله تحديد عمـر المادة، استعصـى علـيهم نسـب تلـك الحضارات إلى الرومان والإغريق والـذين لم يكونـوا موجـودين أصـلا في تلـك الأزمنـة، بـل كانـت أوروبـا قابعـة تحـت الجليـد، فقـاموا بتقسـيمها إلى عصـر حجـري وعصـر نحاسـي وعصر برونزي، المهم أن لا يكون هناك حضارة عربية.

انتقل التزوير بعدها إلى الجغرافيا ... فقاموا بإسقاط جغرافيا المدونات التوراتية على المنطقة، فقسّموا جغرافيا المنطقة العربية حسب ما اقتضـت المصـالح السياسـية، فأصبح التل حضـارة والعشـيرة أو القبيلـة أمـة... كـان المهم لـديهم، أن يوجـدوا تاريخـاً لليهـود في المنطقـة، يُظهرَهم كأمـة، حتـى لـو كـان مسـخ التـاريخ العربـي الإنسـاني هـو السبيل لذلك.

أما التسميات الجديدة كالشرق الأوسط والشرق الأدنى وغيرها من التقسيمات، فلم تكن إلا بدعة إنجليزية استعمارية حديثة، قد قسـمت فيهـا منـاطق العـالم حسـب بعـدها عن الجزر البريطانية، وكأن بريطانيا هي سرة الأرض أو مركز العالم!!. جميعها تسـميات لا تمت إلى الواقـع والحقيقـة بصـلة ولم يكـن الـدافع والموجـه لهـا غـير الهيمنـة والطمـع في ثـروات الآخـرين. وينبغـي الإشـارة هنـا إلى أن التسـميات الـتي ألفناهـا كالدولـة البابليـة والدولة الآشورية وغيرها، لم تكن إلا تعريفا لمراحل... كما نطلق الآن على الدولـة العربيـة الإسلامية زمن الرشيد والمأمون بالدولة العباسية أو الأموية أو الفاطمية وهكذا.

٩- فصل مصر عن جسد العروبة

لم يشارك العرب أحدٌ في بناء حضارتهم، فقد كانت هذه الحضارة من نتاج العرب وحدهم، عرب آسيا وعرب أفريقيا، قامت هذه الحضارة على تلك العلوم التي تُبث من المركز، من جبال السراة في جزيرة العرب، فكانت منذ القدم وحتى الآن من إنجاز العرب وحدهم، هذا ما يشهد به المؤرخون المنصفون. آثار عرب وادي النيل (القبط)، أو ما أطلق عليه مصر بعد دخول عمرو بن العاص، وليست قرية مصر التوراتية والتي نص عليها القرآن الكريم والواقعة في جزيرة العرب، هي آثار العرب الأوائل، لم تأتِ من الفضاء ولا من اللامكان، وعندما قدم المستشرقون للمنطقة، حيّرتهم تلك الصروح الشامخة، وتلك الحضارة التي تتحدث عن ماضٍ مجيد زاخر مكتظ بالعلوم التي عجزوا عن فك الكثير من رموزها ولغاية اليوم، صَعُبَ عليهم تقبّل عروبتها، لتعارض ذلك مع مشاريعهم الاستعمارية، كانوا في نفس الفترة يبحثون عن تاريخ مجيد "لشعب الله المختار" الذي كانوا يودون التخلص منه، فابتدعوا ما يسمى بحضارة الفراعنة وكأنه لا علاقة لها بالعرب. ويقول المؤرخ الليبي علي فهمي خشيم "علماء أوروبا قدموا تاريخنا مقلوبًا ومكذوبًا ويجب علينا إعادة قراءته من جديد لكي نكتبه نحن من جديد . هم جعلوا من تداخل الهجرات بين شعوب المنطقة وتفاعلها مع بعضها البعض غزوات واستعمارًا، ومن توحد أقطاره في القديم والحديث احتلالاً واغتصابًا، وكتبوا تواريخ قطرية منفردة بعضها عن بعض وهي في الحقيقة تاريخ واحد، بلغة واحدة وإن تعددت لهجاتها، ديانة واحدة، ويضيف قائلا: وقد جاءت الدعوة الفرعونية من الجهل بالتاريخ لوادي النيل وقبله الحضارات السورية المتعاقبة، ومن التجهيل المتعمد الذي نراه، فقد قدم تاريخ الوادي باعتباره تاريخًا منفصلاً عما حوله من شعوب المنطقة، وصورت الحضارة المصرية القديمة على أساس أنها نبت خاص، وبلغ الأمر لدى كاتب شهير حد القول أن "الفراعنة" هبطوا من السماء! ونفخ في صورة هذه الحضارة بشكل جعلها تتميز عما حولها وضخمت رموزها وأعلامها من دون النظر إلى صلاتها أو نشأتها وتطورها"[١].

---

[١] - علي فهمي خشيم "الفرعونية " أكذوبة كبرى والحضارة المصرية القديمة تكونت من مهاجرين عرب وليبيين" **الشرق الأوسط**:

http://www.al-sham.net/home/modules.php?name=News&file=print&sid=248

واقع تاريخ وادي النيل يبين أن كتابته انطلقت من أمرين، إما تراكم أخطاء قد تم استغلالها، أو من تخطيط تم الإعداد له، وهو ما يدركه من يقرأ أدبيات تاريخ مصر، والغاية من ذلك كله فصل مصر عن جسد الأمة التي أثرت وتأثرت بها، والإيهام بأن لا صلة لها بجيرانها، وهذا كله عمل مقصود، قد دُبّر في ليل... فالحضارة المصرية القديمة ليست إلا أحد أجمل وأعرق الحضارات العربية الكبرى، مثلها مثل السومرية والبابلية.

عملوا على تفتيت الأمة، قطعوها حضارات وكأنه لا علاقة بين بعضها البعض، وما العرب في المناهج التعليمية في الغرب، إلا هؤلاء البدو الخارجين من شبه جزيرة العرب، وفي كتب الصهاينة، إلا محتلون غزاة للمنطقة، ويؤكد الكاتب الصهيوني "دايفيد كاما" هذا التوجه في كتابه (الصراع لماذا؟ وإلى متى؟) فيقول "إن هنالك وطناً واحداً للعرب عائداً لهم، وليسوا غرباء فيه، ألا وهو الجزيرة العربية. أما بقية البلاد التي يقيمون الآن عليها فليسوا سوى محتلين لها مسيطرين عليها ويقيمون إمبراطورية مغتصبة، ويستنكرون بكل وقاحة الحقوق الطبيعية للشعوب التي لها الحق الشرعي في هذه المنطقة قبل "الاحتلال العربي"[١].

١٠- اغتيال الذاكرة وتدمير الآثار

من أبرز مظاهر التزوير هو ما حل بالآثار المكتشفة في المنطقة العربية والتي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من ميراث الأمة المُعلمة، فلم يدّخر أعداء الأمة جهداً إلا وبذلوه لتصفية ما تبقى من تاريخها، ومن شواهد ذلك الصرخة الشهيرة التي أطلقها المفكر الفرنسي بيير روسي قبل أيام من بدء قصف بغداد بالقنابل والصواريخ خلال الهجوم الامريكي على العراق قائلاً: "انتبهوا إلى ما تلحقه الحرب من أذى في آثار بابل والرافدين احرصوا على متحف بغداد ومكتبتها كيلا تعاد صورة هولاكو إلى قرننا، بهذه الكلمات هتف الباحث الفرنسي بيير روسي قبل رحيله قبيل بدء الهجوم

---

[١] - محمد رفيق القوصي، **الوحدة العربية هاجس يؤرق ما يسمى (إسرائيل)**:

www.falastiny.net/policy/soundpal/108.htm .

الأمريكي – البريطاني على بغداد عام ٢٠٠٣"[١]، هذه الصرخة المدوية لهذا الباحث الفرنسي لم يسمع بها الكثير في العالم العربي. فما الذي دفع هذا العالم الفرنسي لتوجيه هذا النداء؟ ولماذا هذا الخوف على آثار العراق؟ وممن يخاف عليها؟

ارتبط هذا المفكر الفرنسي بالعالم العربي ارتباطا وثيقاً، بدأ هذا الارتباط منذ قرر الإعداد لرسالة الدكتوراة في حضارة الإغريق. ولكونه عالما غربيا فلم تكن الأبواب موصدة أمامه. فتكشفت له أمور لم تكن في حسبانه، اكتشف ماهية حضارة الإغريق وماهية حضارة الرومان، والتي تدق لها الطبول في الغرب، أخذ بعدها يوجه النداء تلو النداء للغرب وللعالم العربي منادياً نحن أبناء العروبة. أفيقوا فإن العروبة تسري في دمائنا، وليس من حضارة وجدت في التاريخ إلا وهي تلميذة الحضارة الأولى. الحضارة العربية المُعلمة للبشرية قاطبة. اكتشف بيير روسي خلال سنوات من البحث الصادق والجاد حجم التزوير، الذي صدمه من حيث الكم والنوع، كان واعياً بأن هناك مخططا قد تم تنفيذ الكثير من حلقاته، ولم يتبقَ إلا القليل، لم يكن بيير روسي عربيا، بل كان ينظر إلى التراث العربي على أنه تراث الإنسانية جمعاء، وأثار تزويره قد طالت كافة المجتمعات الإنسانية ولم تقتصر على العرب فقط.

للأسف لم تصل صرخته الأخيرة عن أثار العراق إلى من يهمه الأمر، فعاثت الصهيونية فساداً في متاحف العراق، وتعرضت الآثار العراقية إلى الدمار والضياع والسلب والنهب في البصرة والنجف وكربلاء وبغداد وسامراء، وحصل على مرأى ومسمع من القوات الأمريكية. يقول مدير متحف بغداد عن ذلك السلب والنهب المنظم الذي جرى في معرض وصفه لإحدى هذه العمليات " (لكن هناك مجموعة ثانية دخلت إلى قاعات المتحف العراقي، ومجموعة ثالثة دخلت إلى مخازن المتحف العراقي. هاتان المجموعتان، بعد التدقيقات التي أجريناها، ثبت لنا أن لديهم معلومات دقيقة عن الأماكن التي دخلوها، وهم على دراية جيدة بالآثار أيضا . وهم مهيؤون للدخول إلى هذا المكان، فالجماعة الذين دخلوا إلى قاعات المتحف كسروا

---

[١] – حسين حموي، "هل الذاكرة العربية مهددة؟!" **جريدة الأسبوع الأدبي**، العدد ٨٦١ ، ٢٠٠٣/٦/٧.

شباكا نحن أغلقناه منذ سنين. وفي مكان لا يشاهد من الشارع العام. أعني شباكا مبنيا بالطابوق الزجاجي، بنيناه منذ سنين.. كسروه.. ودخلوا إلى القاعات وكان معهم قاطعات الزجاج لقطع خزانات المتحف الزجاجي، لتصورهم أن الآثار ما زالت في الخزانات الزجاجية. دخلوا وعندهم دراية جيدة بالآثار الموجودة في المتحف العراقي، لأنهم مروا مرور الكرام على نسخ جبسية موجودة لدينا في المتحف.. لم يلمسوها أبدا. إذن عندهم دراية كبيرة بالآثار، ويعرفون جيدا أن القطع الأصلية موجودة في الداخل، وأن النسخ في الخارج)"[1].

لقد أخذ التنقيب عن الآثار يأخذ مسارًا سياسيًا لإثبات حقيقة ما، فتم التركيز على القيام بحفريات أثرية كان الهدف منها ولا زال هو إثبات حق لليهود في فلسطين، وما الحفريات الجارية على قدم وساق أسفل بيت المقدس إلا نموذج لهذا المسار، إلا أن الحقيقة أن كل هذه التنقيبات لم تجد نفعاً، فلم يتم ولغاية اليوم عرض أي دليل علمي على وجود أي أثر يثبت حقاً لليهود في فلسطين، بل على العكس كانت عمليات بيع الآثار لمافيا الآثار الدولية، دليلا على رغبة القيادة الصهيونية في التخلص منها خشية أن تكون دليلا معاكساً يؤدي إلى نتائج تكون وبالا على الكيان الصهيوني، فقد أشارت الأنباء خلال السنوات الماضية إلى عمليات بيع واسعة قامت بها مافيا الآثار الدولية للكثير من القطع الأثرية التي كان مصدرها فلسطين المحتلة، وقد افتضحت هذه العمليات خلال التحقيق حول السرقات واستغلال القادة الصهاينة لمناصبهم لتحقيق إيرادات مالية، إذ وردت أسماء العديد من قادة الكيان الصهيوني كمصدّرين لهذه الآثار. ففي بحث للأكاديمي اللبناني الدكتور صالح زهر الدين، يشير إلى تقرير رفعه رئيس الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن بتاريخ ١٤ آذار ١٩٨٣ (أي بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان) وتحت عنوان "تجاوزات الجنرالات (الصهاينة) وكسبهم غير المشروع، ذكر التقرير أن من أشهر الأسماء اللامعة في مجال التجاوزات والكسب غير المشروع الجنرال الراحل موشي دايان الذي استغل منصبه كوزير دفاع والسمعة التي اكتسبها في حرب حزيران ١٩٦٧

[1] - موقع **قناة الجزيرة**، www.aljazeera.net.

وبعدها، وقام باستخدام عمال وخبراء الدولة لمساعدته في التنقيب عن الآثار واستخراجها لا ليقدمها هدية للدولة أو للمتاحف، بل إنه باعها بأسعار خيالية إلى تجار ومهربي الآثار، والواقع أن تهريب هذه الآثار وبيعها إلى خارج فلسطين والمنطقة العربية، يعطي ضمانة بالغة الأهمية للسلطات الصهيونية (ولو كان وجهها تجاريًا) باعتبار أن معظم هذه الآثار المكتشفة ينسف المقولات التوراتية من أساسها، وهذا خطر كبير فيما لو بقيت هذه الآثار في الداخل، حتى لا تشكل كارثة على سلطات الاحتلال فيما لو وقعت بأيدي من لا تثق بهم، وتقع الفضيحة. لذلك يأتي "تضيييعها" في أوروبا وأميركا أو "إتلافها" عبر عملائها وسماسرتها الدوليين، ضمانة أكيدة في ظل حرمان أصحابها الأصليين منها"[١].

لقد شكلّ العلم والمكتشفات الأثرية ورطة لمزوري التاريخ، فقد وفرت هذه المكتشفات من الأدوات ما يكفي لفضح هذه الخرافات والأوهام التي شغلوا بها العالم، فليس هناك في علم الآثار كله ما يعترف بوجود مملكة إسرائيل، وليس هناك من شيء يقر بوجود شيء يطلق عليه (إسرائيلي) في التاريخ كله عدا حامل الجنسية الإسرائيلية في عصرنا الحاضر، والذي اسُتخدم ووظف لتمرير هذه الفبركة الصهيونية. أُجريت ثلاث ندوات إعلامية دولية حوّلَ التوراة والإنجيل والآثار، وكانت النتيجة أنّه ليست هناك أيّة إشارة آثارية على وجود شيء اسمه عبراني أو إسرائيلي أو يهوديّ، آثارياً لا شيء، وكلّ ما لدى العالم عن إسرائيل هو من مدوّنات التوراة التي تُدّعَى بالعهد القديم، ففي كلّ هذه المدونات من أوّلها إلى آخرها هذه العشيرة هي عشيرة بدويّة رعويّة متخلّفة تسكن الخيام في البرّية والمغاور في الجبال، لم تبنِ مدينةً ولم تُقِم دولة.

هل وُجدت في المنطقة ثقافة غير العروبة؟ ذلك ما لم يدونه التاريخ، ولا الآثار، ولا أي دليل علمي يمكن الركون إليه، ويقول بيير روسي " فإذا ما أبعدنا عنا الهوى وعرينا المفهوم الشعبي واللغة الساميين، من قيمتها العلمية، وإذا ما أمعنا الفكر من

---

[١] – صالح زهر الدين، "الدين والتاريخ والمياه والثقافة وغيرها: مخاطر المشروع الصهيوني على العرب والمسلمين.. احتلال العقل اسوأ الاحتلالات"، دورية "**باحث**"، بيروت، العدد صفر، ٢٠٠٢.

أجل أن نرى بوضوح، و ليس من أجل أن نكتفي بالأفكار المتوارثة، و إذا كنا عازمين على ألا نستعير شيئًا من أحلامنا، وجب علينا عندئذ أن نعرف العروبة كثقافة الشرق الوحيدة، وأن نشرع في إبراز أنوار هذه الثقافة بإعادة النظر فيما كانوا قد علمونا إياه تحت عنوان الشرق واليونان"[١].

القنبلة... بهذا اللقب يتم تعريف المؤرخ وعالم الآثار "الإسرائيلي" المعروف البرفسور "زئيف هرتسوغ" الذي نشر مقالة مدوية حول هذه المسالة في صحيفة "هآرتس" يقول بان " الكثير الكثير من اليهود سوف يصابون بالصدمة والذهول عندما يعلمون بان اله "إسرائيل" المزعوم (يهوه) لم يكن إلهًا بل رجلاً عاديًا متزوجًا وعنده أولاد.. وبأن الديانة "الإسرائيلية" القديمة لم تتحول إلى ديانة توحيدية سوى عند نهاية مملكة "إسرائيل" وليس في زمن ما حدث على جبل سيناء. وقال إن الغالبية العظمى من الباحثين العلميين في المسائل التوراتية وفي أركيولوجيا وتاريخ الشعب اليهودي، يعترفون الآن صراحة بأن الأحداث التاريخية المرتبطة بمسار اليهود مختلفة جذريا وفي العمق عن تلك الواردة في النصوص. ويضيف "هرتسوغ" تبالغ التوراة كثيرا في تصوير قوة تحصينات المدن الكنعانية التي يقال بأن بني "إسرائيل" قد غزوها: " **مدن كبيرة ومحصنة ومرتفعة حتى السماء** "(السفر ٩: ١). في حين أظهرت جميع المكتشفات الأثرية أن مدن تلك المرحلة لم تكن تحتمي بأية تحصينات عدا قصر الحاكم والأمير. إلى ذلك فإن الثقافة المعمارية التي كانت سائدة في فلسطين عند نهاية العصر البرونزي لم تكن تضع احتمالات الغزو العسكري في حساباتها.. كما يؤكد "هرتسوغ" بأن الوصف التوراتي لا يتطابق إطلاقًا مع الواقع الجيوسياسي للمنطقة. ذلك أن فلسطين كانت في الواقع تحت السيطرة المصرية وقد ظلت كذلك حتى منتصف القرن الثاني عشر بعد الميلاد. إضافة إلى أن المراكز الإدارية المصرية كانت واقعة في غزة ويافا وبيت شيئان، ومن المستغرب أن التوراة لم تذكر إطلاقًا ذلك الوجود المصري في نصوصها المزعومة.

---

(١) - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص٤٠.

ويقول "هرتسوغ" : يبدو وكأن كاتب التوراة، وزملاءه الذين قاموا بمراجعة ما كتب، لم يكونوا على معرفة بتلك الحقائق التاريخية التي لا تحتاج إلى دلائل. ويشير "هرتسوغ" إلى أن المكتشفات الأثرية أظهرت بطلان ما تضمنته النصوص التوراتية حول وجود أية مملكة متحدة، يهودية، بين داوود وسليمان، تصف التوراة هذه المرحلة باعتبارها عصرا ذهبيا لانتعاش القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية لبني "إسرائيل" آنذاك. وبحسب النصوص التوراتية، فقد امتدت مملكة داوود/ سليمان "الإسرائيلية" المتحدة من الفرات إلى غزة.. غير أن المكتشفات الأثرية في تلك المنطقة دلت على أن حركة العمارة المدنية والعسكرية كانت ضئيلة العدد ومتواضعة الحجم آنذاك"[1].

ينبغي الإشارة هنا أن هذا المؤرخ اليهودي قد جوبه بعاصفة من الانتقادات من قبل المثقفين اليهود وانتقادات لا تقل شراسة من المسيحيين الصهاينة، فقد اعتبروا تصريحاته محاولة لتجريد إسرائيل من تاريخها المجيد، ويقول هرتسوغ في معرض رده على هذه الانتقادات : "هناك شرخ كبير في رواية التوراة للتاريخ القديم، كشفته الحفريات والأبحاث الأثرية. والعلم الحديث كما تعلمون لا يعتمد الروايات المكتوبة بل الآثار في الأساس. وعلم الآثار بات علماً مستقلاً تماماً. وما يحدث لنا في "إسرائيل" هو أننا لا نريده علماً مستقلاً. نريد للآثار ان تثبت الرواية التاريخية، وهذا معاكس ليس فقط للعلم بل للحقيقة التاريخية أيضًا. وإذا كنا نريد أن يكون لنا مكان محترم في الأكاديميا الدولية، فعلينا أن نلتزم بأحكام العلم، لا بأحكام السياسة والأيدولوجيا".

هرتسوغ هذا ليس حالة فريدة، بل هو يمثل ظاهرة جديدة أخذت بالظهور وهو ما يعرف بالمؤرخين الجدد في دولة الكيان الصهيوني. ومن هؤلاء المؤرخين الجدد البروفسور (نداف نئمان) الذي يعتقد أنه مؤمن باحث عن الحقيقة والصدق ولا يريد أن يكون مشاركا في عملية تشويه التاريخ، يقول نئمان : (هناك من يحسب أنه عندما يقبل التوراة كما هي يصبح أكثر إيمانا. ولكن كل واحد يعرف أن التوراة كتبت بعد ٥٠٠ سنة من آخر إصحاحاتها. فما الذي يضمن أن تحفظ كمية هائلة كهذه من

---

[1] – سويد، تزوير التوراة، **جريدة الاتحاد**، الأربعاء ٢٠٠٠/٣/٨.

القصص والكلمات كما هي طول هذه المدة؟ أية ذاكرة إنسانية تستطيع أن تخزن هذا الكم من المواد؟ إن المادة المكتوبة نفسها، حتى الآن، نجد من يفسرها بشكل مختلف عن الآخر وهناك من يقتبسها بشكل مشوه أو خاطيء)، ويضيف نئمان قائلا (وليس صحيحاً أننا بذلك نقوض شرعية الوجود الإسرائيلي هنا. بل على العكس، نحن نجعله مبنياً على الأسس السليمة. فلا يوجد شك لدى أحد بالنسبة إلى الوجود اليهودي. فالإنجيل والقرآن يتحدثان عن هذا الوجود بلا تردد. القضية هي: أين المكان الصحيح؟ ما هي القدسية؟ وهل كنا وحدنا هنا أم يوجد آخرون تعتبر بلادنا مقدسة لهم أيضاً وتربطهم بها مشاعر وتاريخ وانتماء؟) ويوضح نئمان (ومعنى اسمه "الأمين" و"المؤمن") أنه وزملاؤه علماء الآثار الجدد يسيرون مع التوراة حسب وتيرتها: "لا نحمّلها أكثر من طاقتها. فهي تتحدث عن تاريخ البشرية ببضع صفحات. فكلما كانت المواد فيها تتحدث عن تاريخ حديث وقريب من موعد الكتابة، نجدها أقرب إلى الدقة والصحة. وكلما ابتعدت في التاريخ عميقاً نجدها أكثر ضبابية. وكلما أجرينا مقارنة ما بين المكتوب وبين الآثار، التي تمثل شهادة على التاريخ، نجد تناقضات في القصص القديمة وتلاؤماً في القصص الجديدة"[1].

ولكن هل هذه الظاهرة (أي ظاهرة المؤرخين الجدد) تتحرك بحرية ويتم التعامل معها بمهنية واحتراف؟ بالطبع لا، فقد وضع هؤلاء أنفسهم في مواجهة مع الحركة الصهيونية التي رسخت هذا التزوير، ويتم التعامل معهم بدهاء حيث ألصقت بهم أول التهم، ويوصفون حاليا بأنهم (ناكرو التوراة) أسوة (بناكري الهلوكوست) أي يعتبرونهم أسوأ من كل أعداء اليهود، وليس من المستبعد أن يتم إسكاتهم بشكل أو بآخر قريبا بشكل نهائي.

١١- الجامعات الغربية والمراجع العلمية

نشبت الحركة الصهيونية مخالبها في الجامعات الغربية وهيمنت على مناهج التعليم وأصبح تاريخ الأمة المزور هو ما يُدرسّ للطلبة في الجامعات الغربية،

---

[1] - ياسين سويد، تزوير التوراة، **جريدة الاتحاد**، الأربعاء ٨/٣/٢٠٠٠.

والمدرسون الموضوعيون يخاطرون بفقدان مناصبهم بحيث يُعرّض كل من تسول له نفسه أن يكشف حقيقة ما لخسارة موقعه. هذا إن لم تكن المحاكم بانتظاره لُيقاضى بتهمة معاداة السامية، وليست قصة "توماس ل. طومسون"[1] الذي كتب كتابا عن (التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي) وطُرد من الجامعة إلا مثالا لحالات الحصار العديدة التي يتعرض لها المفكرون المنصفون عندما يقررون كشف الحقيقة.

إن الأمر الأكثر إضراراً بالأمة هو أن العرب قد وجدوا في الجامعات الغربية ملاذا متقدمًا يوثق به، لتدريس أبنائهم وقد أخذوا يبتعثونهم لدراسة التاريخ في الغرب، فتدفقت جموع الطلبة العرب الباحثين عن شهادات الدكتوراة في الغرب يتعلمون تاريخ أمتهم المزور، ليعودوا لاحقًا يُدّرِسون أبناءنا هذا التاريخ وبأيدي عربية.

لا بدَّ وأن القارئ يعرف الموسوعة البريطانية، والتي تعتبر مرجعاً بالغ الأهمية، وينظر إليها بالكثير من الاحترام للموضوعية والدقة العلمية في المحتوى والموضوعات المختلفة كواحد من أبرز المراجع الإنسانية في المعلومات بكل أبعادها وامتدادها وتطورها التاريخي في العالم، نورد هنا مثالاً واضحًا عن ظاهرة يهودية معروفة، يقال لها (الغيتو)، تبين ما نرمي إليه، "يقول الأستاذ خالد القشطيني.. الغيتو ظاهرة أوروبية، وحقًا كانت لليهود احياؤهم الخاصة كسوق حنون وعقد اليهود في بغداد ولكن أي أحد لم يفرض عليهم الإقامة فيها أو منعهم من الإقامة خارجها، أو بناء سور حولها. كانت هناك بيوت يهودية ومدرسة وكنيس بجوار الإمام أبي حنيفة في الأعظمية). ويضيف الكاتب القشطيني (كنت أتأكد من معلوماتي بمراجعة الموسوعة البريطانية الأخيرة (طبعة ٢٠٠١م)، وجدت مقالة الغيتو (الجدار الفاصل) تبدأ

[1]- يرى هذا الباحث الغربي أن التوراة "وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها"، وهي انعكاس صادق "لفهم ومعرفة مؤلفيها، وعالمهم"، وعلى هذا، فلا يمكن اعتبارها تاريخاً يعتدّ به، كما أنه لا يمكن الاستفادة منها "لإعادة تشكيل تاريخ اسرائيل القديم، السابق على وقت تأليفها". طومسون، **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي**، ص ٩، ١٠.

بالإشارة إلى ان العرب هم الذين أسسوا الغيتو أول مرة، وذكر الكاتب المغرب واليمن. ومضى في معالجة الموضوع وكأنه ظاهرة من صنع العرب والمسلمين.. استغربت من ذلك، وتذكرت أنني لم اسمع بمثل هذا الكلام من قبل، فكلفت نفسي بالبحث عن موسوعة قديمة حتى استطعت العثور على طبعة ١٩٥٧م من الموسوعة البريطانية ذاتها، نظرت في مقالة الغيتو فلم أجد فيها أي ذكر للعرب أو أية إشارة لغيتو عربي. عالجت المقالةُ الموضوعَ كلياً في إطار التاريخ الأوروبي، ومن ذلك أن مجلس اللاترنال الثالث أوصى عام ١١٧٠ بفصل المسيحيين عن غيرهم (أي اليهود). وبدأ الأوروبيون بتطبيق التوصيات "(١). قد يصاب القارئ بصدمة، فيما لو كانت هذه الموسوعة أحد مراجعه الرئيسية كباحث عربي، ويتساءل كيف وصل التزوير إليها، متجاوزاً كل الأصول العلمية، وأقل استحقاقات الموضوعية، والاستقلالية في الرصد والعرض والتدوين إلى تلاعب ينسحب للترويج لموقف سياسي أو ديني أو مذهبي أو عرقي، دون احترام للأمانة العلمية الرزينة التي يفترض ان تتحلى بها موسوعة ومرجع علمي بمثل تاريخ وسيرة وشهرة الموسوعة البريطانية.

٢) اختلاق اللغة العبرية

الصورة المطبوعة في الذهن الغربي تقول أن اليهودية قومية (وطن قومي لليهود) كانت لديها لغة مقدسة تدعى اللغة العبرية، وبهذه اللغة كتبت التوراة إلا أن هذه اللغة ظلت حبيسة "الغيتو" طوال قرون إلى أن شاءت الظروف عندما اجتمعوا في أرض الميعاد ليعاد إحياء هذه اللغة.

انتقل هذا التضليل إلى كل المراجع الرئيسية، وأصبحت من المسلمات حتى لدى الكثير من المثقفين العرب، فأضحى هؤلاء المثقفون بوقًا دعائيًا للتاريخ المزيف للشعب الإسرائيلي ومن دون إدراك لحجم الضرر المترتب على هذا النقل.

---

(١) – ناصر صالح الصرامي، "انتبه: الموسوعة البريطانية.. تمارس التزوير"، الاثنين ١٦/ ٢/ ٢٠٠٤، **منتدى الكتاب**، جريدة الرياض السعودية: writers.alriyadh.com.sa.

ومقولة "وطن قومي لليهود" أطلقت في بداية المشروع الصهيوني، لا يصعب للباحث أن يعثر عليها في أية وثيقة تتحدث عن قيام دولة إسرائيل تم تداولها في ذلك الوقت، استندت هذه المقولة على مقدمة عجيبة ألا وهي أن اليهودية قومية، في حين يدرك العالِم والجاهل بأن اليهودية دين وليست نسباً أو شعباً أو وطناً، وليس هناك ما يجمع اليهود في العالم سوى الديانة اليهودية، فمنهم اليهودي البريطاني واليهودي الروسي واليهودي الألماني والعربي وهكذا ...، كلٌ يتكلم بلسان قومه، حالهم كحال المسلمين والمسيحيين. وحيث أن اللغة هي وسيلة الاتصال القومية بل هي أحد العناصر الرئيسية المكونة لأية قومية، فكان لابد للمتحالفين في صفقة العصر (صفقة اغتصاب فلسطين) من حل هذه الإشكالية، إذا كان من الضروري لهذه الصفقة أن تتم.

"إن اللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، ولا حياة للأمة بدون لغة "[1] ، هذه مقولة لمن وُصف "بمحيي اللغة العبرية" — والحقيقة هو مبتدع اللغة العبرية- المدعو اليعازر بن يهودا، والذي أدرك منذ بدايات المشروع الصهيوني حيوية هذا الأمر وأهميته لاستمرار الدولة اليهودية. كانت هناك أوجه شبه عديدة في الطرق والأساليب التي استخدمها النازيون والحركة الصهيونية لتحقيق أهدافهم، منها مقوله "اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس"، فقد أخذ الصهاينة يرددون في بدايات المشروع الصهيوني، بأنه كانت هناك لغة اسمها "العبرية" وهي اللغة المقدسة والتي تكلم بها أجدادهم، شاءت ظروف التشتت بعيدا عن أرضهم أن تختفي هذه اللغة، وقد قال " بن جوريون " أول رئيس وزراء إسرائيلي في هذا الصدد (إن اللغة العبرية لغة فقدت حياتها، إذ لم يتحدث بها طوال ألفي سنة)[2]، كلام يراد به تبرير اختفائها من المعاجم والقواميس وكتب التاريخ، فهو يقول إنها كانت لغة حية ثم فقدت حياتها، والحقيقة أنه لم يكن هناك وجود للغة خاصة في هذه المنطقة غير العربية ولهجاتها.

---

(١) – صالح عبد الله سرية، **تعليم العرب في إسرائيل**، ص ٤٠ :

http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/9/page3.html.

(٢) – صالح عبد الله سرية، **تعليم العرب في إسرائيل**، ص ٣٦:

http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/9/page3.html.



بن جوريون

تقول "الموسوعة البريطانية": إن مؤلفي أسفار "العهد القديم" مجهولون، وليس معروفاً إن كان جمعها قد تم على يد أفراد أو جماعات، وأنها كتبت باللغة العبرية فقط، عدا بعض المقاطع القصيرة النادرة التي دونت باللغة الآرامية، إلا أن الجماعة اليهودية عمدت، لأسباب فقهية، إلى ترجمة التوراة (أو الأسفار الخمسة) من العبرية إلى الآرامية، وقد ضاعت المخطوطات العبرية الأصلية، ولم يصلنا سوى الترجمات"[١].

إنه لمن العجيب أن لا يتساءل المرء عن سبب ترجمتها إلى الآرامية، وهل فعلا تمت ترجمتها؟ وكيف ضاعت المخطوطات الأصلية باللغة العبرية؟ وهل كان لها وجود أصلا؟ والدارسون في اللغات القديمة يؤكدون أن المنطقة لم تعرف إلا اللغة العربية الأم، والتي تفرعت لاحقًا إلى اللهجات المعروفة الأخرى السريانية/الآرامية، والفينيقية، والعربية الفصحى. بينما "يقول البرفسور (درايفر) G.A.Driver أستاذ اللغة العبرية – العبرية الحديثة – في جامعة أكسفورد في مقالة له في دائرة المعارف البريطانية أن كلمة عبري وعبراني هي صياغة من قبل حاخامي فلسطين في وقت

---

[١] – ياسين سويد، **تزوير التوراة**:

http://aloma.٢islam.com/lies.htm
http://www.aqsa-mubarak.org/?cat_id=74&page_id=288.

متأخر والدليل على ذلك أن كلمة عبري لم تكن مستعملة في روسيا للدلالة على اليهود إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادي"[1].

قامت الحركة الصهيونية العالمية بتكليف أديب يهودي روسي كان من أوائل المهاجرين إلى فلسطين يدعى اليعازر بن يهودا بتأليف معجم لغوي من إحدى اللهجات العربية القديمة تم تطعيمها بلهجة الأيديش، وهي إحدى اللهجات الألمانية الخاصة باليهود الألمان، خط هذا الرجل برنامجاً اخترع به هذه اللغة وحث وسعى إلى تثبيتها وغرسها في المجتمع الإسرائيلي. يقول المفكر الفرنسي بيير روسي " أما اللغة العبرية الحديثة، فاختراع أملاه اليعازر[2] بن يهودا الذي نشر بين عامي (١٩١٠م) و (١٩٢٢م) معجما طلبته الحركة الصهيونية العالمية، و خصصته لإيجاد نوع من (الإسبيرانتو) ليهود العالم الموعودين بالهجرة إلى فلسطين، إنه إذا أداة سياسية"[3].

لقد كان اختراع اللغة العبرية الحديثة أحد أهم إنجازات الحركة الصهيونية، وكان شرطاً أساسياً لنجاحها، فهذه اللغة التي لم يرد لها أثر، في أيٍ من الآثار والكتابات المصرية القديمة، ولا وجود لها حتى في أي من الأدبيات القديمة، أصبحت واقعاً وحقيقة، "لم يأت ذكرها على آلاف النصوص المسمارية أو المصرية التي تؤلف المكتبة المصرية أو مكتبة رأس شمراً أو نينوى، وحتى في الروايات الآرامية، في ذلك كله لا تذكر كلمة (عبرية)"[4].

دعا "اليعازر" إلى جعل العبرية لغة الحديث في أفواه الناشئة في البيت والشارع، ولغة التعليم في المدرسة التي أدخلت إليها تدريجيا وفق خطة محكمة لخلق هذا المكون الحضاري، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد القادر فارس في دراسته (العنصرية الصهيونية وفلسفة التربية اليهودية) "أصبحت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية حتى أن

---

[1] - وليد الخالدي، **من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي**، (الحياة ١٩٩٧/٨/٢٩)، www.daralhayat.com.

[2] - اليعازر بن يهودا، أديب يهودي روسي، هاجر إلى فلسطين المحتلة ضمن الهجرة الأولى التي ضمت غيره من الشخصيات اليهودية التي عرفت لاحقا، يعتبر أبو الصحافة العبرية في فلسطين، خط برنامجا اخترع به هذه اللغة وحث وسعى إلى تثبيتها وغرسها في المجتمع الإسرائيلي.

[3] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٢٨، ٢٩.

[4] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص٢٥.

الآباء الذين هاجروا إلى فلسطين، تعلموا اللغة العبرية عن طريق أبنائهم"، لأن الآباء المهاجرين الجدد من أوطانهم لم يسمعوا بهذه اللغة قبل هذه الهجرة، فأخذوا يتعلمونها من أولادهم الدارسين في المدارس الإسرائيلية الجديدة".

وقد حدثنا القرآن الكريم في مواضع عديدة عن حوارات متكررة جرت بين موسى عليه السلام وفرعون، وموسى قد تربى في بيت فرعون، فلابد أن يكون قد تعلم لغته، في حين لم يذكر التاريخ عن لغة خاصة تكلم بها فرعون اسمها العبرية، فموسى وهارون قد تكلموا لغة من عاشوا معهم ولم يخترعوا لغة لأنفسهم. العجيب أن فرية وجود لغة مقدسة اسمها "اللغة العبرية" قد انتشرت بين جميع الكتاب والمثقفين في الغرب إلا النادر منهم، فالتراث الذي يشكل معظم ما ورد في مدونات التوراة كالأساطير العربية القديمة قد كتب بلغة أهل المنطقة، التي لم تخرج عن إحدى اللهجات العربية الرئيسية المعروفة ولفظة العبرية لم تكن معروفة حتى وقت متأخر لدى التجمعات اليهودية في البلدان المختلفة، وزاد الأمر سوءا عندما أخذ كتابنا العرب ينقلون ويروجون لهذه الكذبة دون تمحيص أوتدقيق.

ט	ח	ז	ו	ה	ד	ג	ב	א
Tet (T)	Chet (Ch)	Zayin (Z)	Vav (V/O/U)	He (H)	Dalet (D)	Gimel (G)	Bet (B/V)	Alef (Silent)
ס	ן	נ	ם	מ	ל	ך	כ	י
Samech (S)	Nun (N)	Nun (N)	Mem (M)	Mem (M)	Lamed (L)	Khaf (Kh)	Kaf (K/Kh)	Yod (Y)
ת	ש	ר	ק	ץ	צ	ף	פ	ע
Tav (T/S)	Shin (Sh/S)	Resh (R)	Qof (Q)	Tzade (Tz)	Tzade (Tz)	Fe (F)	Pe (P/F)	Ayin (Silent)

جدول للعبرية الحديثة، لاحظ عزيزي القارئ أصوات الحروف التي لا تخرج عن العربية المتداولة اليوم

א ב ג ד	أ ب ج د
ה ו ז	هـ و ز
ח ט י	ح ط ي
ך/כ ל ם/מ ן/נ	ك ل م ن
ס ע ף/פ ץ/צ	س ع ف ص
ק ר ש ת	ق ر ش ت

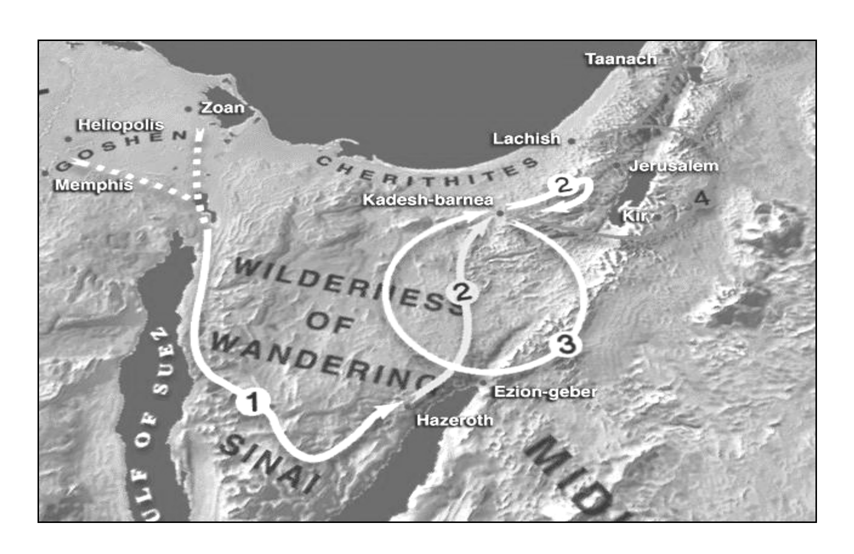
أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت

٣) الإسقاطات الجغرافية

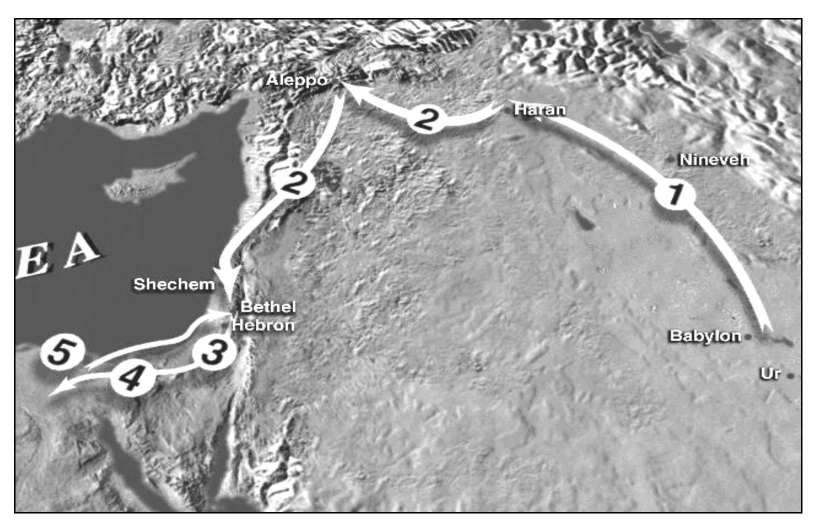
تقول الصورة المرسومة في ذهن الغربي، أن فلسطين هي أرض الأنبياء، وهي أرض بني إسرائيل التي وعدهم الرب بالعودة إليها، والخلفية التي أسست لهذه الصورة تقول إنه كانت هناك رحلة لإبراهيم الخليل عليه السلام من أور إلى فلسطين إلى سيناء إلى مصر. وتقول الصورة إنه كانت هناك في يوم ما مملكة اسمها "مملكة إسرائيل"، ونتيجة لتطورات كثيرة تلاشت هذه الدولة، وكان هناك تيهان لبني إسرائيل في صحراء سيناء. لن نخوض في حركة الأنبياء عليهم السلام في هذا البحث، ويمكن للقارئ الرجوع لبحث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (نداء السراة – اختطاف جغرافيا الأنبياء)[1]، ولكن ما يهمنا هنا أن الخلفية التي رُسمت على أساسها هذه الصورة كانت اعتماداً على التفسير الجغرافي المزور لكتاب "العهد القديم" والوارد في ما دُعي بـ"قاموس الكتاب المقدس".

---

[1] – **نِداءُ السُّراةِ – اختطافُ جغرافيا الأنبياء**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.



وصف مزوّر للخروج والتيهان (خريطة من موقع قاموس الكتاب المقدس)



وصف مزوّر لرحلة إبراهيم عليه السلام

(خريطة من موقع قاموس الكتاب المقدس)

لقد استعصى على جميع الباحثين العثور على أي مصدر غير هذا الكتاب المسمى بالعهد القديم للرجوع إليه في سرد الوقائع التاريخية لتلك الحقب، ولم يستطع أي من الباحثين إيجاد أية علاقة لهذه المدونات المزورة بالحقيقة والواقع، يتهكم العديد من الكتاب والمؤرخين على جغرافيا حركة الأنبياء كما يرويها العهد القديم وقاموسه المزور، فالعديد منهم قد أجرى بعض الحسابات البسيطة على تلك الدعاوى والخرائط، لم تثبت أي منها ولم تستقم أمام الحقائق العلمية ولا التاريخية ولا الجغرافية، ويقول الأستاذ نزيه الشوفي في هذا الصدد " أما النهر الكبير الذي جعله التوراتيون والمستشرقون (نهر الفرات) فقد ورد في سفر حزقيال ٤٧ . بأنه ينبع من جانب أورشليم وينحدر غزيراً نحو الشرق إلى البرية محدثاً مستنقعات كثيرة قبل أن يصب في البحر، وخصيب على جانبيه، وينتشر على ضفتيه الصيادون من عين جدي إلى عجلائيم" إذن ليس هو نهر الفرات وحسب حزقيال نفسه.. إلا أن التوراتيين وبعض المستشرقيين يريدونه نهر الفرات لتكتمل جغرافية التوراة المزعومة أو المخترعة (من الفرات إلى النيل). إذ أن المساحة الجغرافية للمسرح التوراتي لم تتعد عشرات الكيلو مترات حيث عاش فيها البدو الرحَّل القادمون إلى المنطقة طلباً للكلأ أو المعيشة (بين جبال غامد والسراة في الجزيرة العربية) وليس في فلسطين، حتى أن كلمة فلسطين لم تكن موجودة لا في عهد إبراهيم ولا في عهد موسى ومع هذا دونها كتبة التوراة بما ارتأوه.."[1] ، نعم الكلمة كانت موجودة لكن كعشائر في غامد لا كدولة أو أرض في الشام وهو (فلستيين) ومنهم جاءت يهود (فلاسا/فلاشا) ، فالأحداث كلها وقعت في جزيرة العرب، ونبي الله إبراهيم لم يذهب بغنماته من أور العراق إلى مصر وادي النيل، فتفسير هذه الروايات محض افتراء على الأنبياء عليهم السلام، أسس له الكهنة السبعون ووظفه الصهاينة ليسوغوا لمشروعهم الاستعماري.

ولا زالت عملية التحريف مستمرة، فـ " المتتبع لترجمات التوراة المعاصرة القائمة على تثقيف شعوب العالم الشرقي والغربي والخاصة بتحديد نهر النيل كموقع جغرافي لأحداث موسى وفرعون يلحظ كيف تم إسقاط اسم النيل على أحد الأنهار

---

[1] – نزيه الشوفي، **دراسة التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**: www.awu-dam.org.

التوراتية في ثقافة الناس إلى اليوم. فالسبعونية لم تذكر النيل كاسم لنهر القبط أو أي نهر آخر في أي حدث من أحداث الأنبياء. بل تذكر في ترجماتها "نهر" فقط من غير إضافة "النيل" إلى الترجمة ومثال على ذلك ما جاء في هذا النص التوراتي السبعوني **Ἐγένετο δὲ μετὰ δύο ἔτη ἡμερῶν Φαραω εἶδεν ἐνύπνιον. ᾤετο ἑστάναι ἐπὶ τοῦ ποταμοῦ**، ومعناه بالعربي: **"وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَان أن فِرْعَوْنَ رَأى حُلْما وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ**"(التكوين ٤١ :١). وهذا نقل أمين لما جاء في التوراة السريانية بهذا الخصوص. مع ذلك نجد اليوم ترجمات توراتية بلغات حية قرر محرروها إضافة اسم النيل لأنهار التوراة تطوعا ومن غير أي مرجع تاريخي كالسبعونية المحّرفة والمعتمدة لديهم. ونسبت هذه الإضافة تلقائيا إلى السماء بعد إخراج هذا النص المعّدل تحت اسم التوراة المقدسة. ففي ترجمة عربية أخرى ولنفس النص لعله يقرأ الناس معلومة أكثر تحديدا وذلك بعد إضافة اسم النيل إلى النهر: "**وَبَعْدَ انقِضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلْماً، وَإِذَا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيلِ**"[1](التكوين ٤١ :١). هذه الإضافة والتي تبدو طفيفة في ظاهرها تهيمن على ثقافة الإنسان المعاصر المشوشة أصلا وتوجهه بما لا يدع مجالاً للشك في أن الأحداث التاريخية وقعت جغرافيا بالقبط وعلى نهر النيل تحديدا وليس أي نهر آخر في بلدان العالم. أما بالنسبة للإنسان الغربي فلقد تم أيضًا التكفل بأمره، وذلك بتوفير ترجمات تغذيه بثقافة محرفة ومشوشة فتزيده بعدا عن الحقائق. فمرة يجد اسم النيل مضافا إلى نهر في التوراة ومرة أخرى يختفي وذلك اعتمادا على اجتهاد أو تحريف الجهة التي وفرت له الترجمة"[2].

لا توجد أية معالم أثرية تم الاستناد عليها في هذه المزاعم، فقد تم تزوير التاريخ والجغرافيا في أكبر عملية تزوير في التاريخ الإنساني، فتحولت الخيام ومراعي الأغنام إلى دول وممالك، ونقل المستشرقون تلك الأحداث التي حصلت في جزيرة العرب إلى

---

(١) - **سفر التكوين**، ترجمة دار الكتاب المقدس الدولية:

http://www.ibs.org/bibles/arabic

(٢) - **نِداءُ السُّراةِ - اختطافُ جغرافيا الأنبياء**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

المناطق التي تناسب وتتوافق مع مخططهم الرامي إلى اغتصاب فلسطين، وإتمام صفقة شق المشرق العربي بزرع دولة للجماعات اليهودية المنبوذة في الغرب، مستغلين تشابه الأسماء الذي كان ولا يزال عرفاً سائدا لدى مختلف المجتمعات، وهو أنه كلما امتدت الهجرات إلى مناطق جديدة أطلق على الجديدة منها أسماء معروفة لديهم تيمناً بالقديم منها. نلاحظ ذلك في أسماء مختلف المناطق الاسترالية اليوم والتي تحمل أسماء المدن البريطانية، وكذلك الحال مع أسماء المدن الأمريكية في تشابهها مع أسماء لمدن عالمية أخرى.

تحول تاريخ تلك العشيرة الوارد في مدونات التوراة المزورة أصلاً، إلى تاريخ أمة وحضارة لم يكن لها وجود، وعلى ضوء هذه الإسقاطات الجغرافية بدأت الحركة الصهيونية والنظام الغربي عملية حشد عاطفي ونفسي لليهود المشتتين في بقاع الأرض لدفعهم بالهجرة إلى فلسطين والدفاع عن أرض الأجداد وأرض الميعاد.

أُخذ العالم الإسلامي على حين غرّة وساعد على ذلك عدم وجود قيادة مركزية وقوة تجابه الغرب، حيث كانت الدولة العثمانية تتهاوى مثقلة بالديون جراء الفساد الذي نخر عظامها وسيطرة اليهود على مواقع القوة في اسطنبول. أصبحت مصر وادي النيل والتي لم تعرف هذا الاسم إلا في عهد الفتح الإسلامي على يد عمرو بن العاص، هي مصر التوراتية الواقعة في جزيرة العرب، وتم التسويق لهذه العشيرة على أساس أن أراضيها تمتد من الفرات إلى النيل. والحقيقة أن ما يبعث على الأسى أن المفكرين العرب لم يبذلوا جهدا يُذكر لكشف هذا الزيف الذي دفع بسببه الشعب الفلسطيني أنهارًا من الدماء ولا يزال، والذي دفعت بسببه الأمة كلها الكثير من حاضرها ومستقبلها.

حاول اليهود والصهاينة طوال عقود من خلال التنقيب عن الآثار وفحص الأحجار بالإتيان ولو بدليل واحد يثبت دعواهم، إلا أن الحقيقة العلمية كانت لهم دائما بالمرصاد، وكل ما جرى من غسيل للدماغ للشعوب الغربية حول تاريخ اليهود المزعوم في فلسطين كان مصدره مدونات التوراة وهذا القاموس " قاموس الكتاب المقدس" السيء الصيت المليء بالأكاذيب والذي أُريد به أدلجة هذا المخطط الاستعماري.

ختام الفصل

دولة إسرائيل اليوم .. أصبحت بعد مائة عام من الصفقة الغربية الصهيونية قوة عظمى، وبات مصير منطقة الشرق برمته مهددا بشكل لم يسبق له مثيل، وأصبحت الإهانات الموجهة للعربي والمسلم تمر مرور الكرام (كما توضح الصورة أدناه) وليس من دولة واحدة قادرة على إيقافها . لم يتبق من تراث الأمة وتاريخها غير الرماد بعد سيطرة الحركة الصهيونية على المنافذ التعليمية في الغرب، وأضحى من النادر العثور على مؤسسة إعلامية ذات انتشار واسع ليست خاضعة لسيطرتهم، أو العثور على مؤسسة مالية مرموقة ليس لهم يد فيها، يوجّهون الاستثمارات بالشكل الذي يخدم مصالحهم.



وأصبح العرب والمسلمون في شتات مؤلم، ولم يكتف الغرب بتفكيك الأمة في سايكس بيكو، بل عادوا يبتغون تفتيت المفتت أصلاً، يؤججون الصراعات بين أبناء الشعب الواحد، وما الحالة الكردية والحالة السودانية إلا خير دليل على ما يسعون إليه. أضحى التنافس بين الدول العربية بالسعي لتطبيع العلاقات مع هذا الكيان مظهرا من مظاهر عصرنا الحاضر، وأمسى المثقف العارف بتاريخ الأمة في ضياع تام، يصرخ ولا من مجيب، فالعولمة الثقافية قد نشبت أظافرها، ولن يكون لهذه الأمة من قيام إلا وهي مجتمعة.

الفصل الثالث

منهجة التزوير: اعتماده، دسّه، تسويقه

تحدثنا في الفصل السابق عن أدوار مختلف الأطراف في تزوير تاريخ الأمّة وتأسيس دولة إسرائيل، أما كيف تمكن أطراف هذا المحور من ترسيخ هذا التزوير ودعمه وتمريره لغاية اليوم؟ وما هي الأطراف الأخرى التي ساعدت على إحكام طوق الأدلجة حول عنق الأمة؟ فذلك ما سنبحثه في هذا الفصل.

لقد تم ترسيخ هذا التزوير تارة عبر موقف الغرب المسيحي وتارة عبر مساهمتنا نحن العرب والمسلمين ومن دون وعي وإدراك لخطورة هذا الوضع، ساهمنا ونساهم في طعن أنفسنا والأمة تمر بأحلك ساعاتها. سنتناول ذلك من خلال مناقشة عدة محاور، بدءاً بالغرب المسيحي ومن ثم نعرج على دور الأمة وأبنائها المثقفين وتفاسير القرآن الكريم ودور الاسرائيليات.

أوّلاً- الكنيسة المسيحية

ليس من المعروف كيف تم الربط بين معتقدات اليهود في الرب والأنبياء ومعتقدات الكنيسة، إذ يقول المؤرخ الإسرائيلي وعالم الآثار "زئيف هرتسوغ" الذي نشر مقالة مدوية في صحيفة "هآرتس" "بأن الكثير الكثير من اليهود سوف يصابون بالصدمة والذهول عندما يعلمون بان إله "إسرائيل" المزعوم (يهوه) لم يكن إلهاً بل رجلٌ عاديٌ متزوجٌ وعنده أولاد، وبأن الديانة "الإسرائيلية" القديمة لم تتحول إلى ديانة توحيدية سوى عند نهاية مملكة "إسرائيل" وليس في زمن ما حدث على جبل سيناء". لا نرى سببا لهذا التغيّر المفاجئ في موقف الكنيسة من اليهود، غير نفاذ المخطط الصهيوني وهيمنته على الكنيسة المسيحية، فالكنيسة الكاثوليكية التي وقفت بصلابة في وجه الحركة الصهيونية في بادئ الأمر، انزلقت وقامت بضم مدونات التوراة المزورة للإنجيل ليشكلا معاً ما يعرف اليوم بالكتاب المقدس.

تطرق المؤرخون للمحن التي تعرض لها اليهود في ظل سطوة الكنيسة على أوروبا، وكما أشرنا سابقا فطبيعة الأعمال التي كانت الجماعات اليهودية تزاولها من أعمال ربوية وغيرها، كانت على الدوام سبباً مباشرا لتلك الكراهية التي يكنها المسيحيون في الغرب لليهود، ناهيك عن العقدة المزمنة في اتهامهم بصلب المسيح عليه السلام، والتي تم تبرئتهم منها عبر الكنيسة في الستينات من القرن الماضي. وتقول كارين آرمسترونغ : "كانت الحروب الصليبية قائمة أساسًا على معاداة السامية، وبدأت بمهاجمة اليهود والسعي للقضاء عليهم، وكانوا يخيرون بين التنصر والموت. وقبل أن تتحرك الجيوش الصليبية إلى الشرق كانت مشغولة بتطهير أوروبا من اليهود قتلة المسيح، وجعل الصليبيون من اللاسامية مرضًا غربيًا لا شفاء منه استمر متلبثا في الغرب طوال العصور الوسطى. وعندما نهض هتلر مرة أخرى كان يقتل أيضا حتى الذين اعتنقوا المسيحية من اليهود قبل مئات السنين هربا من المذابح التي ارتكبها قادة الحروب الصليبية. في بداية رحلة الصليبيين إلى ذات جديدة لهم ذبحوا اليهود، وفي نهاية حملتهم المرعبة ذبحوا المسلمين في القدس بوحشية تقشعر لها الأبدان، ولولا اللاسامية الغربية لما قامت دولة يهودية في الشرق الأوسط"[١]، مع ملاحظة أن هذه الحملات كانت تحت شعار الصليب ووفق أوامر الكنيسة، وتؤكد كارين آرمسترونغ أن اللاسامية الغربية كانت وراء إقامة الدولة اليهودية في المشرق العربي في إشارة إلى كراهية الغرب لليهود، وسعيهم للتخلص منهم وحصل ما كان الغرب يتمنى على الدوام، وتوّج ذلك باغتصاب فلسطين.

وعمليات الإبادة الجماعية لليهود بدوافع مختلفة من قِبل الغرب لم تكن محصورة بحقبة الحروب الصليبية، بل حتى وقت قريب وخلال القرن الماضي، قام هتلر بعمليات تصفية جسدية لأعداد هائلة من اليهود عرفت بـ"الهولوكوست"[٢]،

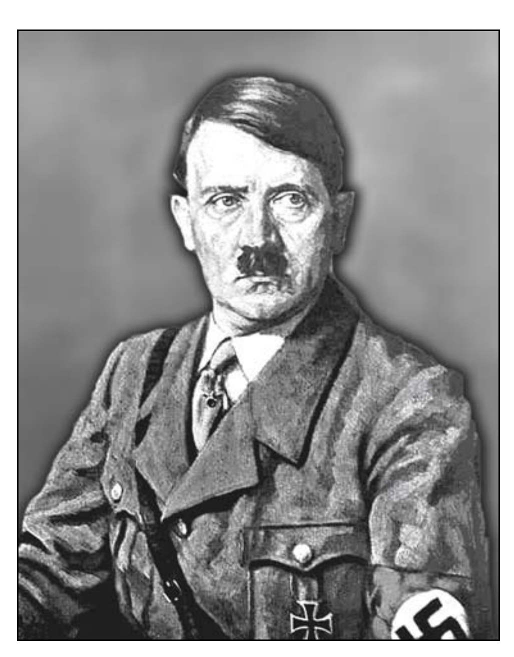
---

[١] - كارين أرمسترونغ، **الحرب المقدسة. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم**:www.aljazeera.net .

[٢] - في موسوعته الشاملة عن "اليهود واليهودية والصهيونية" وفي تتبعه لمصطلح الهولوكست ومرادفاته، يرى الدكتور عبد الوهاب المسيري أن هناك مصطلحات عدة: إبادة اليهود

وأخذت دولة إسرائيل ولازالت تتاجر بهذه الدماء اليهودية من خلال عمليات ابتزاز مستمرة سواء لألمانيا أو الدول الأخرى.

Extermination of the Jews ومذبحة النوع Genocide، ويشار إلى الإبادة في معظم الأحيان بكلمة هولوكست Holocaust، وهي كلمة يونانية تعني حرق القربان بالكامل، وتترجم إلى العبرية بكلمة "شواه Shoah"، وإلى العربية بكلمة "محرقة"، ويرى المسيري أن كلمة هولوكست كانت في الأصل مصطلحًا دينيا يهوديا يشير إلى القربان الذي يُضحَّى به للرب فلا يُشوَى فقط بل يحرق حرقًا كاملا غير منقوص على المذبح، ولا يترك أي جزء منه لمن قدم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون على القرابين المقدمة للرب. ولذلك كان الهولوكست يعد من أكبر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء، ومن ناحية أخرى كان الهولوكست هو القربان الوحيد الذي يمكن للأغيار أن يقدموه. ومن العسير -كما يقول المسيري- معرفة سر اختيار هذا المصطلح، ولكن يمكننا -والقول للمسيري- أن نقول: إن المقصود عمومًا هو تشبيه "الشعب اليهودي" بالقربان المحروق أو المشوي وأنه حرق؛ لأنه أكثر الشعوب قداسة. أو ربما وقع الاختيار على هذا المصطلح ليعني أن يهود غرب أوروبا أحرقوا كقربان الهولوكست في عملية الإبادة النازية ولم يبق منهم شيء. فهي إبادة كاملة بالمعنى الحرفي. ومن وجهة نظر المسيري فإن ما يميز الهولوكست عن المذابح التي جرت في التاريخ هو أنها "تمت بشكل واعٍ ومخطط ومنظم وشامل ومنهجي ومحايد عن طريق استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية وأساليب الإدارة الحديثة" التي اتبعتها النازية الألمانية في مساعيها المنظمة لإبادة اليهود، ومن وجهة نظر المسيري فإن الإبادة تقع على مستوى ثقافي وحضاري ونفسي، يقع في المتن من الحضارة الغربية المعاصرة؛ بحيث يمكن القول بأن ثمة عناصر تَسِم التشكيل الحضاري الغربي الحديث جعلت الإبادة احتمالا كامنًا فيه، وليست مجرد مسألة عرضَية، وولدت داخله استعداداً للتخلص من العناصر غير المرغوب فيها عن طريق إبادتها بشكل منظم ومخطط. وتحققت هذه الإمكانية بشكل غير متبلور في لحظات متفرقة، ثم تحققت بشكل شبه كامل في اللحظة النازية النموذجية. وقد قام الإنسان الغربي بعملية الإبادة النازية وغيرها من عمليات الإبادة لا رغم حضارته الغربية وحداثته، وإنما بسببها كما يذهب زيجموند باومان عالم الاجتماع البريطاني، فالعنف كامن في فردية الحداثة والمسافة الإنسانية التي تخلقها العلاقات التعاقدية في المدينة. عبدالوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مقابلة في قناة الجزيرة: www.aljazeera.net



الزعيم النازي الألماني هتلر

تلك كانت علاقة الغرب باليهود قبل قيام الدولة الوظيفية على أرض فلسطين، عندما كان اليهود يعيشون بين مواطنيهم الأوروبيين، كلٌ في بلده، أما اليوم فقد تحول الأمر، حيث أضحى الغرب يمارس دورًا أخلاقيًا في حماية اليهود من بطش الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره!!، ورأينا الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر يقف في معبد إليزابيث اليهودي في نيوجرسي، وهو يرتدي رداء القضاة المخملي قائلاً: " إنني أقدس الإله الذي تقدسونه، ونحن كمسيحيين ندرس التوراة التي تدرسونها . ويختتم كلمته بالقول: إن الحفاظ على بقاء إسرائيل لا يدخل في نطاق السياسة. إنه واجب أخلاقي"[١]. إن الأمر المثير للدهشة هو كيف تحول الهدف الغربي الاستعماري والذي ابتدأ بعقد صفقة لحل المسألة الشرقية[٢] وللتخلص من الفائض المنبوذ من اليهود،

[١] – روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص ٢٦٤، **صحيفة تايم**،٢١يونيو/حزيران١٩٧٦ .

[٢] – راجع الفصل الثاني دولة إسرائيل، المسألة الشرقية.

تحـول إلى "واجـب أخلاقـي"!!!، فـنلاحظ أن المصـالح المادية كانـت عـاملا مباشـراً في تمرير واجبات وإلزامات جديدة تلبس رداءً أخلاقياً.

بدأت أفكار المسيحية الصهيونية بالانتشار وأصبحت هـي المهيمنـة على النظـام الحـاكم في الولايـات المتحـدة، سـواء حَكـم الحـزب الجمهـوري أم الحـزب الـديمقراطي فالأمر سيان، فالمنظمات الصهيونية قد بلغ نفوذها حداً كبيراً في هـذا البلـد الـذي يمثل القـوة العظمـى الوحيـدة في العـالم اليـوم، ومـن يسـتمع إلى تصـريحات قـادة هـذه المنظمات يصاب بالذهول، لاستشراء الوباء التوراتي في دمائها، فهذا جيري فالويـل[1] زعيم إحدى أهـم منظمـات "المسيحية الصهيونية"، أكثـر المسيحيين الصهاينة تطرفاً وهو مؤسس جماعـة العمـل السياسـي الأصـولي (الأغلبيـة الأخلاقيـة)، لـه آراء وأقـوال يعتريها الجنون منها: "إن اليهودي هـو بؤبؤ عـيني الله، ومـن يؤذي اليهـودي كأنـه يضـع إصـبعه في عـين الله"، ويقـول: "لا أعتقـد أن في وسـع أمريكـا أن تـدير ظهرهـا لشـعب إسـرائيل وتبقـى في عـالم الوجـود، والـرب يتعامـل مـع الشـعوب بقـدر مـا تتعامـل هـذه الشعوب مع اليهود". ويقول: "إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يـرى المسيحية ودولـة إسـرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم.. وهو يدعي أن السلام لـن يحـل قبـل عودة المسيح. لذلك يقف بصـلابة إلى جانـب مـا يسـمى دولـة "إسـرائيل" ويـدافع عنهـا أكثر من اليهود أنفسهم. وهذا القس الأصولي المسيحي الصهيوني مايك إيفـانز يقـول: "إن إسـرائيل تلعب دوراً حاسماً في المصير الروحي والسياسـي لأمريكا"!!!

إن المعضـلة الحقيقيـة الـتي تعيشـها الأمـة، ليسـت هـي نتيجـة لاعتقـاد الشـعوب المختلفـة بهـذا الكتـاب أو ذاك، فللمسـيحيين في الولايـات المتحـدة أو أوروبـا الحـق في الاعتقاد بالعهد القديم أو أي كتاب آخر، وإنما تكمن المعضلة في اسـتحكام الأدلجـة، إذ أنهم أسقطوا خرافاتهم وتأويلاتهم لهذا الكتـاب علـى أمتنـا، وأضـحى الأمـر في ظـاهره أن التقرب إلى الله لا يكون إلا بدعم هذا الكيان الغاصب لفلسطين، والأخطر من ذلك

[1] - جيري فالويل شخصية معروفـة في الولايات المتحـدة، لا يخجـل مـن ترديـد هـذه التصـريحات وأكثر منها، ولـه تصـريحات يتجنـى فيهـا علـى الرسـول الأكـرم (ص)، ولـه موقـع معـروف علـى شـبكة الانترنت.

كله، أن هذه الأفكار قد تسربت وهيمنت على قمة الهرم السياسي في الولايات المتحدة، ويقول جوزيف سماحة في مقال له في جريدة السفير البيروتية في عرض تحذيره من خطورة الأفكار التي يروج لها التيار المسيحي الصهيوني في الولايات المتحدة من جهة تطابق هذه الأفكار مع سياسات الولايات المتحدة في المشرق العربي، خلال عرضه لكتاب صدر في الولايات المتحدة لـ"مايكل ايفانز" تحت عنوان "ما بعد العراق، النقلة الجديدة"، "إنه قريب، قريب جداً" بين (٢٠١٨) و (٢٠٢٨). ففي اعتقاد الكاتب أنّ قيام إسرائيل افتتح حياة الجيل الأخير قبل "أرماجدون" (هرماجدون). ثم جاء احتلال كامل أرض فلسطين في ٦٧ ليؤكد هذه النبوءة"، ويضيف "وتسارع التاريخ في الحرب الأخيرة على العراق عاقداً الصلة الأبدية المتجددة بين بابل وأورشليم. الأولى هي الظلام، الثانية هي النور. دمار الأولى شرط انبعاث الثانية. هكذا ورد في العهد القديم حيث ذُكرت بابل (العراق) لا أقل من ثلاثمائة مرة بصفتها أرض الخطيئة الأولى، والتجسّد الشيطاني الأول في نبوخذ نصّر سابي اليهود، والوعد الأول بأرماجدون." ويلاحظ جوزيف سماحة تبعاً لذلك أنّ الولايات المتحدة لم تفعل، إذاً، "سوى تنفيذ المشيئة الإلهية. لقد كانت الحرب "مكتوبة" في العهد القديم، ومصير صدام حسين مكتوب، والدمار مكتوب، وحتى أوصاف دبابات إبرامز مكتوبة"، كما يرد في الكتاب. لعل القارئ العربي يدرك مدى خطورة ربط الأعمال العسكرية التي تقوم بها القوة العظمى في العالم بخلفية عقائدية ليس لها أساس علمي أو تاريخي أو ديني أو حتى أخلاقي. إنهم كمن يُمسك القرآن ويقرأ (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**)(الفيل: ١) فيغزو "فيلا دي- لفيا" الأمريكيّة ويبيد أهلها لأنّهم أصحاب "فيل"! إنّ بابل التوراتية ما هي إلاّ قلعة تجارية وحامية عسكرية في شبه الجزيرة العربية حيث تواجد اليهود بنص التوراة نفسه ولا علاقة له البتّة ببابل العراق الشامخة التي لا تطلّ على البحر ولم تخرب حينئذ.

إن الصورة التي رسمتها الصهيونية العالمية عن أمتنا قد ترسخت في أعماق الوجدان الغربي من خلال أدلجة مدونات التوراة وإسقاط قصصها الخرافية على ماضي ومستقبل أمتنا، مما يحتم القيام بعمل جماعي من مثقفينا لفضح هذا التضليل، وليس النقل من دون تمحيص لما يكتب في الغرب، عمل جماعي يشارك فيه

الإخوة من المسيحيين الشرفاء من كل العالم ممن يرفضون هذه الخرافات التي دفع بسببها المسلمون والمسيحيون أغلى الأثمان ولغاية اليوم.

إذن كانت هناك كراهية مطلقة من جانب الغرب المسيحي لليهود على مدى قرون، تحولت هذه الكراهية إلى تحالف ذي بعد ديني مثير وغير مفهوم، وفي محاولة لفهم جذور هذه العلاقة ومراحل تطورها سنعرج على محطتين:

١) قول اليهود في الأنبياء وقول الإنجيل في اليهود

إن مدونات التوراة والتي ضُمّت للإنجيل لاحقًا في ما دعُي بالكتاب المقدس تحتوي على مجموعة من الكتب مليئة بالغرائب والأكاذيب المنسوبة زورًا لله وللأنبياء عليهم السلام، وأبسط تعريف لهذه الغرائب المدسوسة بأنها "أحاديث لا أخلاقية"، فنجد من آيات هذا الكتاب على سبيل المثال "**لقي يعقوب ربه سائراً في الطريق فصارعه حتى طلوع الفجر، لَمَّا رَأى أنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ، عندها باركه الرب وطلب إليه تغيير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل "أي صارع الرب**"(التكوين ٣٢ :٢٥). ونقرأ في سفر التكوين "**وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كلّ الأرض**[١]**، وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرمًا، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير -**"(التكوين ٩ :١٨- ٢٧). ومنها الكثير الذي ينسب لأنبياء الله العظام أكثر المنكرات شذوداً يخجل القلم من ترديدها، بل هناك من الغرائب التي استنكرها بعض اليهود.

---

[١] - ومنها اختلقوا بدعة السامية.

وتقرأ في سفر التكوين ١٩ أيضًا عن لوط عليه السلام "**وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أبونا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأرض رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أبانا خَمْرا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَنُحْيِي مِنْ أبينا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرا اللَّيْلَةَ أَيْضا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ فَنُحْيِيَ مِنْ أبينَا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ» - وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» - وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ**"(التكوين ٣٠ - ١٩:٣٨).

ليس من المعروف بالتحديد ماهية الخلفية العقائدية التي استندت عليها الكنيسة في عصرنا الحاضر في تغيير موقفها بتبرئة مَن كان متهماً حتى زمان قريب بصلب السيد المسيح عليه السلام، ورمي أمّه السيدة العذراء بأقبح الأوصاف بشأن ولادتها له عليه السلام، حين جاءت بما يخالف أهواءهم ورغباتهم، فمقولات السيد المسيح في اليهود بقت ولا زالت تدوي في كل الأرجاء، فهذا إنجيل متى ينقل عنه عليه السلام فيهم: "**احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة**"(متى١٥:٧). وقال أيضًا: "**يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار، جيل شرير وفاسق، أنتم أيها الكتبة والفريسيون**"(متى ١٢ :٣٤-٣٨) وقال أيضًا : "**ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونة أعظم، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون للقادة العميان، أيها الحيات أولاد الأفاعي**"(متى ٢٣ :١٢). لم يترك اليهود منكرًا إلا وفعلوه بحق الأنبياء، ولم يكن حظ خير البرية وخاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد (ص) من ألاعيبهم وحقدهم أقل مما فعلوا بعيسى عليه

السلام، فقتل الأنبياء وترويع المؤمنين والافتراء على الله وأنبيائه كان ديدنهم على الدوام.

فتألم السيد المسيح منهم لم يكن خفياً حيث عانى عليه السلام أشد المعاناة، ولعل الصفات التي أطلقها عليهم كفيلة بتوضيح أفعالهم بحقه وبحق المؤمنين من أنصاره. كان شأن اليهود دائما الحطّ من أنبياء الله ورسله، ومهما قالوا وأشاروا للتميز الذي يحضون به عند الله، فإن تشهيرهم بأنبياء الله ورسله وتكذيبهم إياهم أصبح علامة بارزة تلطخ بها تاريخهم منذ أن صاغ السبعون كاهناً ما عُرف بـ"التوراة السبعونية" قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذه المحطة هو:

إذا كان الحط من شأن أنبياء الله ورسله ديدنهم في العهد القديم وإذا كانت تلك التحذيرات في انجيل متى لعيسى عليه السلام تخصهم، وأن هؤلاء الأنبياء هم أنبياء موقرون لدى المسيحيين أيضاً. فما الذي حدث حتى يتغير موقف الكنيسة منهم مؤخراً؟

وإذا كانوا متهمين حتى وقت قريب بصلب السيد المسيح (ع). فما الذي حدث، حتى تتم تبرئتهم؟ لم يهبط عيسى (ع) لتبرئتهم، ولم يُرسل نبي آخر للمسيحيين ينسخ الإنجيل.

لا نطرح السؤال الأخير إيماناً منّا بأنهم قد صلبوا المسيح، بل نرى العكس بأن لا ذنب ليهود اليوم بتلك الجريمة التي حدثت قبل ألفي عام، إذ أنهم ليسوا سوى جماعة تنحدر من أصل خزرى ولا علاقة لهم بمن قام بتلك الجريمة البتة.

٢) موقف الكنيسة من الكتاب المقدس

لم يكن واضحا لنا الموقف الدقيق للكنيسة المسيحية اليوم من الكتاب المقدس – الذي يتضمن التوراة – حتى وقعت يدنا على رسالة لأحد الأخوة المسيحيين المصريين بعث بها لصديق له، يشرح فيها خلاصة موقف الكنيسة من الكتاب المقدس، اقتطفنا أجزاء منها ونعلق عليها فيما بعد، "يعرض الدكتور "محمد علي البار" في كتابه

"المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم" رسالة من الدكتور "صبري جوهرة" الذي يصفه بأنه "زميل وصديق قديم... من أقباط مصر.. يعمل جراحاً في الولايات المتحدة، وله ثقافة واسعة، وخاصة في أمور العقيدة القبطية"، كما يصف الرسالة بأنها ملخص موقف الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية "تلخيصاً جيداً". وقد جاء في الرسالة أن اللَّه (عز وجل) قد سمح للإنسان (وهو، في هذه الحالة، كاتب السفر) أن يضع "كل إحساساته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغير ما قصده اللَّه من معاني السفر الأخلاقية والدينية"، وعلى هذا الأساس "تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية" ذلك أن الغاية منه هي أن "يعلّم الدين والأخلاق، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة"، ومن هنا، فإن كل من يتمسك بحرفيته "كمصدر آخر غير الأخلاق والدين" لا بد من أن يبتعد به عن غايته الأصلية، ويحيد عن الفهم الصحيح للغرض الديني والأخلاقي للكتاب. وترى المسيحية، كما يشرح الدكتور جوهرة في رسالته، أن الكتاب المقدس هو "عمل مشترك بين اللَّه والإنسان، وضع فيه كلاهما ما يريد" بحيث جاءت النتائج وهي تعكس "كما قال اللَّه في صحة تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض" كما تعكس "عدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة، وأحياناً مضحكة"، وأما ما يقال عن "التحريف المتعمد أو غيره، فالكنيسة لا تعتقد بحدوثه" كما أنها " لا تعترف بتحريف وتغيير المعاني الأصلية".[١]".

لن نناقش تفاصيل الرسالة أعلاه والتي نختلف كثيراً مع كاتبها ومع موقف الكنيسة من الكتاب المقدس، وموقفها من اليهود عند تبرئتهم[٢]، بينما لم نسمع باعتذار للعرب والمسلمين على الجرائم التي ارتكبت بحقهم أبّان الحروب الصليبية، والأسئلة التي تلح علينا ونحن نقرأ هذا الوصف هي:

---

[١] - ياسين سويد، **الثقافة الصهيونية وتزوير التاريخ**، مجلة الفكر السياسي. موقع: اتحاد الكتاب العرب: www.awu-dam.org/politic

[٢] - أننا هنا نتساءل عن السبب والتوقيت في هذه التبرئة، أما مسألة براءتهم فنحن نؤيد ذلك بحكم أن هؤلاء اليهود هم من أصول خزرية ولا علاقة لهم بصلب المسيح عليه السلام.

١- إذا كانت الكنيسة تعترف بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية، فلماذا هذا الصمت من قِبل الكنيسة على ما جرى من أدلجة لهذه المعلومات "غير الدقيقة" حسب تعبير الدكتور جوهرة، التي أسست لاغتصاب فلسطين؟.

٢- ما هو الدافع الحقيقي للدعوة[١] التي وجهتها الكنيسة للمسيحيين الكاثوليك بأن يعترفوا بالمعنى الديني لدولة "إسرائيل"، وأن يفهموا ويحترموا صلة اليهود بتلك الأرض؟ في حين أن الكنيسة تعترف بعدم دقة المعلومات الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية.

٣- وإذا كانت الغاية منه هي أن "يعلّم الدين والأخلاق، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة"، وإن كل من يتمسك بحرفيته "كمصدر آخر غير الأخلاق والدين" لا بد من أن يبتعد به عن غايته الأصلية. فلماذا سكتت الكنيسة عن الجرائم الصهيونية اللاأخلاقية في فلسطين والتي تتم تحت راية هذا الكتاب. هذا من جانب، ومن جانب آخر كيف تفسر الكنيسة النصوص الواردة في العهد القديم والتي تحث على العنف والسرقة والاحتلال والتدمير، الذي نعاين كل يوم مصاديق له في معاملة جيش الدفاع الإسرائيلي مع الشعب الفلسطيني، ويقول غوستاف لوبون في كتابه " اليهود والحضارة " : " إن آية القول بأنهم وحوش وقساة، ما نجد في التوراة من أنواع الوحشية والبدائية، وفي سفر يشوع يقال لهم: أهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير، بحد السيف، وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار".[٢]

إن هذا التفسير لموقف الكنيسة من "الكتاب المقدس" لا يمكن أن يتقبله إنسان عاقل، فكل الجرائم الصهيونية التي ارتكبت بحق الأمة كانت مؤسَّسة على التفسير

---

[١] - **المسيحية المتهودة، والمسيحيون الغربيون المتصهينون**: www.falastiny.net.

[٢] - سعد المرصفى، **معالم النصر على اليهود**، ص٧٩-١٠٣:

http://www.al-eman.net/Islamlib/viewchp.asp?BID=274&CID=6

التوراتي للتاريخ والجغرافيا، ولا يوجد أي سند آخر اعتمدته الدوائر الصهيونية في مشروعها، ذلك ما أكدت عليه كل الكتب والوثائق والمناهج الغربية.

أما اعتراف الكنيسة بأن الكتاب المقدس ليس مصدراً علمياً، وأن كل من يتمسك بحرفيته كمصدر لغير المسائل المتعلقة بالدين والأخلاق يكون قد ابتعد عن غايته الأصلية، فإننا نقول بأن الواقع يؤكد خلاف هذا الموقف، إذ تقول "بربارا توشحان" : " لم يعد العهد القديم، أكثر الآثار الأدبية شيوعاً بين عامة البروتستانت فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التاريخية العامة، وكانت هذه هي الفترة التي بدأت فيها عملية التزوير التاريخي. وقد وجد التزوير الصهيوني الحالي للتاريخ الذي يدعي "حقاً تاريخياً" في فلسطين، مادته المسيحية في التمسك بحرفية الكتاب. وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يتقلص بشكل تدريجي إلى أن اقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودي وحده، وأصبح الأوروبيون مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن هناك في فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية والخرافات الواردة في العهد القديم، والتي لم تعد تؤخذ على حقيقتها، بل اعتبرت تاريخاً صحيحاً. ولما كان التعليم الذي يتلقاه معظم الناس يتكون من قراءة الأدب التوراتي، فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودي، لقد كان هذا التلاعب بالتاريخ بدعة من بدع الإصلاح الديني، إذ لم يكن استيلاء اليهود على فلسطين، أمراً يدور في أذهان حجاج القرون الوسطى"[١].

نعود لنقول إننا لسنا هنا في صدد البحث في تفاصيل مدونات التوراة[٢] المزورة وأسفارها، بل فقط ليسهل على القارئ ما نرمي إليه في موضوع علاقة هذه المدونات وضمها للإنجيل فيما عُرف بالكتاب المقدس، وهي التي تم تدوينها بعد عصر موسى بمدة طويلة وحُرِفت بالشكل الذي يوافق رغبات وغرائز من كتبها وظروفهم وأحوالهم،

---

[١] - وليد محمد علي، **صهيونية الخزر وصراع الحضارات - الحلقة الرابعة**، الثلاثاء، ٢٤ حزيران (يونيو) ٢٠٠٣:

http://www.falasteen.com/article.php?id_article=٣١٠٣

[٢] - للمزيد من التفاصيل حول التوراة وأسفارها يمكن للقارئ الرجوع إلى بحث: **اليهودُ وتوراةُ الكَهَنة**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

فهذه المدونات ساقطة من الناحية العلمية والأخلاقية، سقوطها لم يقتصر عند العرب فقط، بل أشبع جيل من العلماء في الغرب وحتى من اليهود هذا الأمر وحسموا أمرهم وفصَلوا بعدم صدقية الروايات التاريخية في هذا الكتاب، ولعل المؤرخ الإسرائيلي هرتسوغ وجيل المؤرخين الجدد خير نموذج لما نشير إليه. ينقل الدكتور أحمد سوسة رأي العالم الألماني مورتكارت الذي يقول " لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة، إذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها كما وتوجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير" [١].

إن المتتبع لمدونات التوراة يلاحظ أن اليهود قد قاموا بتفكيك أساطير وتراث الأمة وأعادوا صياغتها لتشكل تراثاً لهم، وقد استعرضنا نماذج عديدة في الفصل السابق، يقول الأستاذ نزيه الشوفي في هذا الصدد "إن قصص توراتهم وكتبهم هي بدع وأضاليل مسروقة من الأساطير والقصص للشعوب القديمة (العربية)، من سومرية وأكادية وبابلية، كلدانية وآشورية وسريانية... إلى كنعانية - وفينيقية ومصرية... وما هذه الكتب والأساطير المختلفة سوى اجتهاد قام واضعوه في عام ٧٠م بجمع فصول من أساطير الشعوب العربية القديمة وعزوها إلى ربهم الذي يأتمر بأمرهم، عكس كل أرباب الشعوب القديمة أو اللاحقة، التي تأتمر بأمر الله وتنتهي بنهيه، وإله الناس رحماني وتواب غفور، إلا ربهم فهو قاتل ومتفرد بشعبه عن بقية خلائق الله وحاشا الله عمن عليه يفترون وعلا شأنه عما باسمه يكذبون.."[٢].

ثانياً- المناهج الغربية وهوليود

مناهج التعليم في الغرب وهوليود شكلّت على الدوام ولا زالت أرضية خصبة لتمرير التزوير الذي تعرض له تاريخ الأمة، وأضحت دروس التاريخ والجغرافيا أدوات لتشويه صور الأمة في عيون الطالب الجامعي ولرسم الصورة النمطية عن العربي والمسلم.

---

[١] - أحمد سوسة، **مفصل العرب واليهود في التاريخ:**

http://www.darislam.com/home/alfekr/data/feker3/4.htm

[٢] - نزيه الشوفي، **دراسة التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ:** www.awu-dam.org.

١) المناهج

تشكيل الذهنية الغربية وإعادة رسم الصورة النمطية عن الشعب العربي المسلم في مناهج التعليم الغربية كان أحد العوامل التي ساهمت بقوة في ترسيخ ودعم تزوير تاريخ وتراث الأمة، فبعد أن صاغوا لهم الأساطير على جوهر أساطير وتراث الأمة من أجل هزيمتها بها، عملوا على هندسة مناهج التعليم في الغرب بصورة تخدم ما قاموا به من تضليل، ليصوغوا عقول أبنائهم.

سنعرج على ثلاثة نماذج لمناهج تُدرّس في الغرب توضح مقصدنا، إلا أننا وقبل الدخول على المناهج الغربية سنطوف سريعا على المناهج الإسرائيلية والتي نعتقد أنها النسخة الأولى للصورة الممسوخة عن الأمة، التي تم نسخها بشكل أو بآخر لتشكل القاعدة العلمية للغرب والتي انطلقوا منها في تشويه صورة العربي والمسلم.

ففي المناهج الإسرائيلية التي تعرض الصراع مع الأمة من منظور صهيوني محض، يتمحور فقط حول مظلومية اليهود التاريخية وعلى أنهم يدافعون عن حق تاريخي بالعودة إلى أرض الميعاد، وأن هذا العربي الذي لا يروقه هذا الأمر في نهاية المطاف ليس سوى " غشاش، ومتخلف، ولص، ويستحيل التعايش معه"، وفي دراسة صدرت مؤخرا للباحث اليهودي "إيلي فودا" حول الخلفية العنصرية للمناهج المدرسية الإسرائيلية المعتمدة، والتي غطى فيها البحث ستين كتابا مدرسيًا على مدار أربعين سنة، وبعد تدعيم بحثه بنصوص وصور ورسوم للكاريكاتير تظهر كيفية إخضاع التاريخ للسياسة الإسرائيلية، بحيث تظهر هذه النماذج عمق النظرة العنصرية ضد العرب والمسلمين، يقول " أن الفتاة الإسرائيلية (ناتيانا سوسكين) التي أساءت في العام ١٩٩٧ عبر رسومات بذيئة إلى النبي محمد(ص)، ليست حالة استثنائية أو هامشية في المجتمع الإسرائيلي، بل هي إفراز طبيعي للحقن العنصري الذي قامت عليه المناهج الإسرائيلية. هذا غيض من فيض العنصرية التي تفيض بها المناهج الإسرائيلية"[١].

---

[١] – عدنان أبو ناصر، **رؤية ذرائعية للهيمنة على المنطقة**: http://www.tajamo.org تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان.

يقول الدكتور إسحق الفرحان، أن صورة العربي والمسلم في المناهج الإسرائيلية صورة البدوي، صورة الفقير، صورة المتسوّل، صورة السائل، وصورة البلاد العربية أنها هي محتلة لأرض إسرائيل، ويقول يعقوب بابوريس في كتابه للسادس الابتدائي في بلادنا إسرائيل يقول: "أرض إسرائيل تمتد إلى شرق الأردن وإلى الفرات ونهر الأردن يقسم أرض إسرائيل الشرقية عن أرض إسرائيل الغربية، " في مناهجهم التعليمية للصف الرابع الابتدائي، يدعون أن فلسطين كانت قفرًا وهم أي اليهود الطلائعيون الرواد تعرضوا إلى مصاعب كثيرة، كتاب موطني للصف الابتدائي يعتبرون منع الجيش الأردني لإسرائيل من احتلال الضفة الغربية غزواً لدولتهم هذا في كتاب الجغرافيا للصف الخامس، كتاب آخر من تأليف ديفيد بنفيشتي "أرض إسرائيل" يعتبر فيه احتلال القدس عام ١٩٦٧ يوم خلاص وإنقاذ للقدس من أيدي العرب. كتاب آخر للصف الخامس لبرسكي ويزمان يعتبر فيه احتلال القدس عام ١٩٦٧ تحريراً لها من أيدي العرب الغرباء، وهكذا في عشرات الكتب يعتبر اليهود فيها غزة والجولان وسيناء أرضاً محررة، ونرى في كتاب "جغرافية إسرائيل الطبيعية والاقتصادية والإقليمية" للمدارس الثانوية " ومعاهد المعلمين تأليف الدكتور نسي هرئيل والدكتور دوف بنر الطبعة الخامسة، ورد فيه على الصفحة ٢٢ بأن المناطق التي احتلتها إسرائيل بعد عام ١٩٦٧ مثل غزة والجولان وسيناء بأنها مناطق محررة. كذلك يورد حدود إسرائيل بشكل موسع في كتاب جغرافيا بلادنا تأليف أفرايم أرني، يورد حدود إسرائيل أنها تضم جنوب لبنان إلى إسرائيل صفحة ٧٨ وصفحة ٨١ والضفة الشرقية من الأردن كذلك صفحة ٨٤ والجولان وحوران وجبل الشيخ صفحة ١١٦ وصفحة ١١٨ وإلى آخره فهذه يعني صورتنا في المناهج الإسرائيلية"[١].

١- المناهج البريطانية

أوردنا الحديث السابق عن المناهج الإسرائيلية كمدخل للموضوع الأهم، ألا وهو المناهج الغربية ولوضع القارئ في بيئة المقارنة بين ما تحتويه المناهج الإسرائيلية – والذي يمكن فهمه على ضوء فهم جذور العقلية الصهيونية ومخططاتها- والمناهج

---

[١] - إسحق الفرحان، **أثر تغيير المناهج على هوية الأمة**، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/٠٢/١٨ ، بتصرف (الدكتور اسحق الفرحان خبير المناهج التعليمية، وزير التربية والتعليم الأردني الأسبق ورئيس الجامعة الأردنية الأسبق وخبير المناهج التعليمية)

الغربية، ولن يرى الباحث أن الأمر يختلف كثيرا بينها وبين مناهج تلك الدول التي مدّت وتواطأت وواصلت سعيها لتقسيم الأمة ومحاصرتها، ولقيام دولة إسرائيل وتثبيت أركانها، فالهدف واحد في الحالتين، ألا وهو إبقاء صورة العربي هي هي، مشوهة لدى المواطن الغربي لتسويغ أفعال الساسة. نجد أن التاريخ العربي الحديث كما القديم، يُعرَض بشكل مضلل، ويتطابق مع ما تريد أن تبثه الدولة الصهيونية.

وفي دراسة أكاديمية حديثة[1]، حول المناهج البريطانية ودورها في رسم الصورة النمطية عن الأمة لطلاب المدارس في بريطانيا، تم استعراض كتاب التاريخ للصف الثاني للمرحلة الثانوية والذي تم تخصيص فصل فيه تحت عنوان (أصول الصراع العربي الإسرائيلي)، يحتوي هذا الفصل على معلومات تاريخية موجهة توجيها استراتيجيا للسيطرة على ذهن الطالب البريطاني، ليخرج من هذا الدرس بنتيجة تتوافق تماما مع ما يريده البرنامج الصهيوني، يعرض هذا الفصل على سبيل المثال:

صورة للقاء بين وايزمان وبلفور في القدس سنة ١٩٢٥م وخريطة تبين تاريخ اليهود في أوروبا بصفتهم أقليات تناضل من أجل العودة إلى وطنها فلسطين، وتلاها بعرض سيرة ذاتية لتيودر هرتزل وجهوده في سبيل الحركة الصهيونية وعرض لأهداف وأصول وفلسفة الحركة الصهيونية، كما ذكرها هرتزل في إعلان مؤتمر بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧م والجهود التي بذلت من أجل إقامة الوطن القومي لليهود مع التركيز على الاضطهاد الذي تعرض له اليهود ليرسخ في الأذهان أن اليهود هم أصحاب الحق في المنطقة وأنهم الذين تعرضوا للاغتصاب، وعرض الكتاب صفحات مطولة من كتاب هرتزل بعنوان «دولة يهودية» وأغفل الكتاب عرض موقف الفلسطينيين وحقوقهم في وطنهم، ولم يورد اسم فلسطين في الخريطة التي عرضها للدول العربية أو تحديد لمكان فلسطين. وأوضحت الدراسة أن الكتاب أبرز انتماء

---

[1] - أحمد حسين اللقاني، **ملف فلسطين أرض اليهود ولا أحد ينازعهم:**

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/files3.htm

(دراسة ملف فلسطين أرض اليهود ولا أحد ينازعهم للدكتور أحمد حسين اللقاني أستاذ المناهج بالجامعات المصرية وأشرف عليها أستاذان بقسم التاريخ بمعهد التربية بجامعة لندن هما البروفيسور دبليو. هـ. بيرستون والبروفيسور د. طومسون).

العرب واليهود إلى أرض فلسطين من دون الإشارة إلى مراحل التطور الأخرى التالية التي أدت إلى ظهور المشكلة الحقيقية وأن الكتاب عرض في بداية الفصلين المخصصين للصراع العربي الإسرائيلي أن المشكلة ترجع في أساسها إلى أن اليهود والفلسطينيين لهم الحق في أرض فلسطين، ولم يذكر الكتاب دليلاً تاريخياً واحداً لإثبات الحقائق المتعلقة بجذور المشكلة، بينما شرح بنوع من التفصيل المضلل أحقية اليهود في المنطقة واكتفى ببعض التلميحات للموقف العربي والإسلامي الرافض لإعادة الحق اليهودي إلى أصحابه!! وذكرت الدراسة أن كتاب التاريخ للصف الثاني الثانوي في المدارس البريطانية ملحق به فيلم يشاهده التلاميذ كوسيلة من وسائل الإيضاح وأن هذا الفيلم لا يتعرض لاغتصاب الأراضي الفلسطينية بالقوة ولا إلى إقامة المستوطنات عليها المخالفة لقرارات الشرعية الدولية، ولا يتعرض للاتفاقيات التي سبق لإسرائيل أن وقعت عليها والتي تقر ببعض حقوق الفلسطينيين، واكتفى الفيلم بعرض لمدينة القدس وأحقية اليهود في سعيهم لتوحيدها.

وأشارت الدراسة إلى أن الكتاب تناول آثار الحرب العالمية الأولى على العالم العربي والإسلامي مكتفياً بشرح الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا وأنه جاء في مقدمة الجزء الخاص بهذه الآثار في الكتاب «بريطانيا كانت تقوم بدور حضاري في العالم العربي والإسلامي في بداية القرن العشرين وكانت تسعى إلى دعم القومية العربية وتحرير الشعوب العربية من الحكم التركي وأن وعد بلفور كان أمراً ضرورياً لإنقاذ اليهود من الاضطهاد وأن الفلسطينيين من بداية صراعهم مع اليهود هم المعتدون لا الإسرائيليين وأن بريطانيا اتخذت موقفاً متوازناً عند بدء الحرب بين الطرفين العربي والإسرائيلي وأن اليهود في خوضهم لهذه الحروب كانوا مناضلين لاسترداد حقوقهم من العرب وأن الانتداب البريطاني على فلسطين لم يكن إلا جزءاً من الدور الذي كانت تقوم به بريطانيا في قيادتها لحركة نهضة الشعوب العربية وتطورها، وأن هجرات اليهود إلى فلسطين هي عودة أصحاب الحق في الأرض وأن سياسة بريطانيا تجاه فلسطين في هذا الوقت كانت تعبيراً عن قيامها بمسؤوليتها لا تسهيلاً للهجرات اليهودية ولا تمهيداً لتطبيق وعد بلفور وقيام دولة إسرائيل.

وكذلك هو الحال مع كتاب التاريخ للصف الثالث من المرحلة الثانوية في المدارس البريطانية، إذ ذكرت الدراسة أن الكتاب قد ذكر حرفياً أن هذه الدولة قامت في أرض اليهود وموطنهم الأصلي ووضعت صورة لنقل الكنيست الإسرائيلي من تل أبيب إلى القدس وإعلان القدس عاصمة لإسرائيل سنة ١٩٤٩م وشرح بعد ذلك «قانون العودة» الإسرائيلي الذي صدر سنة ١٩٥٠م والذي يعطي لكل يهودي في العالم الحق في الهجرة إلى الوطن الجديد مع صورة لتطوير الزراعة في الأرض الصحراوية والمستعمرات والتطورات الاقتصادية في إسرائيل وصور للقرى الجديدة التي أنشأها الإسرائيليون وتطوّر القوات المسلحة الإسرائيلية من دون إشارة إلى تدهور الأوضاع في الجانب الفلسطيني وما تعرضوا له من الضغط والإرهاب والتشرد، وتدمير مئات القرى تدميراً كاملاً والمذابح والمحارق في أهلها كدير ياسين وكفر قاسم وخان يونس وغيرها على أيدي جيش الصهاينة وعصابات الهاغاناه والشتيرن والأرغون، ويعرض الكتاب أسباب انتصار إسرائيل على العرب في حرب ١٩٤٨م بالاضطهاد الذي تعرض له اليهود والمساعدات الأمريكية ودعم اليهود الأمريكيين وقوة الجيش الإسرائيلي وتنظيمه وتدريبه على الرغم من أنه كان جيشاً صغيراً.

وأشارت الدراسة إلى أن واضعي هذه المناهج عمدوا إلى تبرير تغيير إسرائيل للحدود عقب كل حرب بما ذكروه في مناهجهم بأن هدفه توفير الحدود الآمنة لإسرائيل لحمايتها من اعتداءات جيرانها العرب المغتصبين وأن إسرائيل على الرغم من أن هذه التوسعات حملتها مسؤولية رعاية مليون عربي يعيشون في المناطق التي توسعت فيها فإنها لم تتخل عن واجباتها تجاه هؤلاء العرب على رغم الأعباء التي تتحملها نتيجة هجرة اليهود العرب إليها بعد اضطهادهم في كل البلاد العربية ومع هذه العبارات عرضت صورة لمعلم إسرائيلي يدرس تلاميذ من عرب فلسطين وتحتها تعليق «الإسرائيليون يتعاملون مع الفلسطينيين ويساعدون أبناءهم». أما كتاب التاريخ للصف الثاني من المدارس الثانوية البريطانية فقد تناول مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، بأن القادة العرب هم من أشاروا على الفلسطينيين بترك أراضيهم سنة ١٩٤٨م تحاشياً لهجوم الجيوش العربية على إسرائيل وأن الدول العربية بعد ذلك تنصلت من مسؤوليتها تجاه هؤلاء اللاجئين بإهمالها شؤونهم ولم توفر لهم فرص

عمل. وأوضحت الدراسة أن مناهج التاريخ البريطانية أهملت الإشارة إلى أن إسرائيل استولت على الأراضي العربية مغتصبة ومعتدية ولم تتحدث عن إجبار الفلسطينيين وتهديدهم حتى يتركوا منازلهم ولم تتناول الأوضاع المأساوية التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال الإسرائيلي. وذكرت الدراسة أن كتاب التاريخ للصف الثاني الثانوي البريطاني في تناوله الأسباب ونتائج العمليات الفدائية التي يقوم بها الفلسطينيون أن الأوضاع والمعاملة السيئة التي يلاقيها الفلسطينيون في الدول العربية هي الباعث الحقيقي لهذه العمليات، وتعرض مع هذه العبارات خطاباً من شاب فلسطيني إلى أمه يشرح فيه آلامه ورفضه البقاء لاجئاً في الدول العربية وقراره الانضمام إلى إحدى المنظمات الفدائية، ويلي ذلك عرض لأهم نتيجة لهذه العمليات وهي صورة لمجموعة من الأطفال الإسرائيليين بدون أب أو أم بعد هجوم الفدائيين الفلسطينيين عليهم عام ١٩٧٠م!!.

السرد أعلاه يبين لنا المنهجية التي يتم من خلالها تشكيل الذهنية الغربية عن أمتنا، ورسم الصورة النمطية عن شعبنا، ومن دون أدنى احترام لمستقبل أجيال من الشباب البريطاني، الذي يلقن معلومات زائفة عن أمتنا وعن الكيان الصهيوني وقادته الأوائل الذين شاركوا في أكبر جريمة عرفها التاريخ الإنساني، ويمكن للقارئ أن يتخيل تداعيات ذلك، لا على أمتنا فقط، بل وعلى الأجيال القادمة من الشعوب الغربية التي تُلقن الكذب والتزوير، وبدون أن تهتز مؤسساتنا الرسمية لهذا التشويه، وبدون أن تثور ثائرة سفرائنا المعتمدين، والملحقيات الثقافية والتعليمية والتي من المفترض أنها تتابع هذه المناهج، وترفع تقارير عنها، واللجان التعليمية والثقافية في جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ونرى في المقابل كيف تعمل سفارات الدول الغربية في المحافظة على سمعة وحقوق شعوبها، وكرامة تاريخها وتراثها.

٢- المناهج الفرنسية

أما في فرنسا فتعرض الباحثة في مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت « صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية» وتقول: إن هذه المناهج لا تفرق في نصوصها في كتب المرحلة الابتدائية بين المفردات الثلاثة «البدو» و«العرب» و«المورو»

وتستخدم هذه المفردات من دون تمييز للدلالة على الشخصيات، وتتسم شخصيات العربي أو البدو في القصص بطابع الدونية، إذا كانوا تابعين، أو بطابع العدائية إذا نجحوا في الهروب من نطاق نفوذ الشخصية الفرنسية، وتبلور المناهج شخصية العربي في مفهوم النقص الخلقي والاقتصادي والعقلي والاجتماعي والمهني حينما تقارن بأدوار أو بصفات لشخصيات فرنسية في هذه الكتب أو النصوص"[١].

يمكن للقارئ أن يتتبع حال المناهج التعليمية في الدول الغربية الأخرى من خلال الدراسة التي أشرنا إليها أعلاه، حيث لن يجد إيطاليا أو روسيا أو ألمانيا تختلف كثيرا عن الأمثلة السابقة.

٣- المناهج الأمريكية

أما في المناهج الأمريكية، فالصورة ليست أفضل حالاً، نجد الصورة هي ذاتها في المناهج الأمريكية، استمرارًا لتلك المناهج المشوهة للأمة، فالباحث سليمان قنادي يؤكد " أن الصورة قاصرة.. وسطحية وسلبية ومتحيزة، من خلال دراسة قام بها لصورة العربي والمسلم في المناهج الدراسية الأمريكية، ويقول: إن الاستشراق وجد في المناهج الدراسية المقررة على الطلاب الأمريكيين، في مراحل التعليم المختلفة، وسيلة فعالة لتشكيل وعي الأجيال، وتصوير العرب بصورة شعب بدوي مغرم بالغزو كافر «وأن الإسلام ديانة غير متسامحة» و«انتشرت بحد السيف»..!! والعرب في المناهج الدراسية الأمريكية جاءت صورتهم كالتالي:

أولاً: أثرياء يريدون شراء أمريكا، ويتسببون في ارتفاع الأسعار ولاسيما العقارات.

ثانياً: يكرهون الغرب ويشكلون خطراً عليه والمسلمون يكرهون النصارى.

ثالثاً: إن منظمة «أوبك» مرادفة للعرب، وترد دائماً في سياق المناهج التعليمية بصورة سلبية.

---

[١] - **هذه الصورة كيف نغيرها؟!:**

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/filesv.htm.

رابعاً: العرب أعداء العالم ومثيرو الحروب.

خامساً: المعالم البصرية لصورة العربي والمسلم هي «رقص» و«هز البطن» ولباس العربي «الكوفية والعقال والعباءة للرجال والحجاب للمرأة، وآبار النفط وسيارات الليموزين الطويلة، واللحية السوداء الضخمة والنظارات الشمسية السوداء»[1]..

إن عرض صورة العرب والمسلمين بالشكل المشوه الذي تحدثنا عنه قد دفع بالكثير من المثقفين الأمريكيين للتساؤل عن الخلفية التي دفعت لهذا التشويه المنظم، ويقول الكاتب الصحفي بجريدة «واشنطن بوست» نيكولاس فون هوفمان " لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية، ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب"![2].

لقد قرر الغرب طمس أمتنا في الرمال، ليعودوا لحرفتهم (كما يزعمون) التي تعَلَّموها، وهي رعاية الإبل. نجد ذلك جلياً عند دراسة المناهج التعليمية في الغرب ودروس التاريخ وما دُس فيها من أكاذيب. النماذج التي أشرنا إليها أعلاه كانت في مناهج التعليم المدرسي، أما في الجامعات فذلك شأن آخر، نختصره بمقولة للمفكر الفرنسي بيير روسي " والمذنب الثاني هو التعليم الجامعي المضلل منذ النهضة، والذي كان وحده في صالح أثينا وروما... فمنذ القرن الخامس عشر توقفت البلدان الأوروبية عن الاهتمام بالعرب لكي ينهاروا في الرمل، ولكي ينسحبوا شيئا فشيئا إلى حيث يغدون من قبل الغرب في القرن العشرين مختصين بالجمل والقبيلة والثأر والبداوة"[3].

---

[1] - **هذه الصورة كيف نغيرها؟!:**

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/files7.htm .

[2] - **هذه الصورة كيف نغيرها؟!:**

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/files7.htm.

[3] - بيير روسي، **مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب**، ص ٣٠، ٣١.

٢) هوليود

تمكنت الآلة الإعلامية الصهيونية من فرض سيطرتها الكاملة على المخرجات الثقافية في الغرب لترسيخ الصورة النمطية عن الأمة وإعادة تشكيل ذهنية الشعوب. فقد تمكنت من توجيه العقل الغربي لإثارة العديد من التساؤلات حول دور الإسلام الحضاري، وتوجيه تساؤلات الشعوب الغربية باتجاه واحد لا يخرج عن علاقة الإسلام بالعنف، والتشكيك بقوة في مفهوم الجهاد وترسيخ حقيقة زائفة بأن انتشار الإسلام كان بالسيف وأن بؤرة التخلف في العالم قابعة في هذه المنطقة، ساهم في رسم هذه الصورة الخبرة اليهودية في استخدام الأسلحة الثقافية وكثرة العلماء والأساتذة اليهود في الجامعات الغربية إضافة لإجادة اليهود بحكم أصولهم الأوروبية للعديد من اللغات الغربية والتي أعطتهم دفعة قوية لتشكيل مختلف التجمعات والمنتديات تحت مسميات مختلفة تارة تحت عنوان "الأخّوة" وتارة تحت عنوان "المحبة" وغيرها من العناوين البرّاقة.

كانت سيطرة اليهود على ٨٠٪ من إجمالي أضخم آلة إعلامية في العالم (الولايات المتحدة الأمريكية) المنفذ الذي عملت من خلاله الصهيونية على ترسيخ تلك الصورة النمطية، فأصبح سلاح الإعلام من أشد الأسلحة فتكاً لكل من تسّول له نفسه توجيه أي انتقاد للحركة الصهيونية وتوابعها ودولتها الوظيفية في فلسطين، ومن تلك الأسلحة التي استخدمت بجدارة هو السينما أو هوليود، حيث كان لها نصيب كبير في تشويه صورة الأمة لدى الشعوب الغربية، والمراقب لأثر السينما على الساحة الثقافية الغربية يدرك حجم الضرر المتوقع منها، حيث سعت لطمس الحقيقة من خلال سلاح الصورة الفتاك.

تقول الأستاذة غادة سليم في هذا الصدد وهي تورد نتائج بحث قام به الأستاذ جاك شاهين، والذي جزم وبعد عشرين عاماً من البحث، " أن هناك صناعة مغرضة تعمل على أسس علمية ونفسية وسياسية دقيقة ولديها من يعلم جيداً بالثقافة العربية واللغة والتاريخ والرموز الدينية وهي تضرب بقوة وتضرب في مقتل، فصورة العربي على الشاشة الفضية لهوليوود لن تخرج عن واحدة من هذه الصور النمطية:

صورة أعرابي من البدو الرحل وبجواره ناقة وخيمة ومن حوله الصحراء الجرداء.

صورة العربي المنغمس في اللهو والملذات والمجون وتعاطي الخمر.

صورة العربي المتجرد من الحضارة وآداب السلوك في الطريق العام وفي معاملة الآخرين وفي اتباع آداب الطعام والنظافة.

صورة المسلم المتطرف المتشدد الذي يسوق خلفه زمرة من الحريم المتشحات بالسواد.

صورة العربي الأبله المندهش أو المنبهر دائماً بالحضارة الغربية.

أما أكثر الصور شيوعاً فهي صورة الإرهابي المجرم مختطف الطائرات و الحافلات ومفجر المباني وقاتل الأبرياء. الجديد في هذا الموضوع هو ذاك الكتاب المهم الذي صدر حديثاً لأحد خبراء الإعلام في أمريكا ويدعى جاك شاهين وهو أمريكي من أصل عربي عكف على دراسة وتحليل صورة العرب والمسلمين في أعين الغرب من خلال النمط السائد الذي تقدمه هوليوود، واستغرقت الدراسة عشرين عاماً كاملة استطاع خلالها أن يستعرض كل الأفلام التي تناولت العرب والمسلمين منذ عام ١٩٨٦ وبلغت حصيلة الأفلام ٩٠٠ فيلم أمريكي.

استخلص شاهين من دراسته أن هوليوود تتعمد أن تقول للمشاهد: (إن العرب قوم سوء بكل ما تعنيه هذه الكلمة من إيحاءات سلبية). ويتعجب شاهين من حقائق كثيرة تكشفت له أثناء البحث الطويل، عندما ثبت له أن وزارة الدفاع والجيش والبحرية والحرس الوطني الأمريكي، كلها جهات حكومية تحرص على وضع كل عدتها وعتادها تحت تصرف منتجي هوليوود، لإنتاج أفلام جماهيرية قوية ومؤثرة هدفها تمجيد انتصار أميركا على أنماط الشر العربي!. كما أن أفلاماً مثل (قواعد اللعبة) عام ٢٠٠٠، و (أكاذيب حقيقية) عام ١٩٩٤، و (القرارات النافذة) عام ١٩٩٦، و (ضربة الحرية) ١٩٩٨ ساهمت المخابرات الأمريكة (إف بي آي) مباشرة بدعم منتجي هذه الأفلام، وكذلك في فيلم (الحصار) عام ١٩٩٨ والذي تدور قصته حول قيام أمريكيين من أصول عربية بهجوم مسلح على مدينة (مانهاتن) الأمريكية. وعلى

مدى عقود من الزمان استطاعت السينما الإسرائيلية وأعوانها داخل هوليوود إنتاج عشرات الأفلام التي تدور حول فكرة واحدة وهي: (إن نهاية أمريكا ستكون على يد العرب مثال على ذلك فيلم (مطلوب حياً أو ميتاً) وفيلم (قوة الدلتا) وكلاهما إنتاج عام ١٩٨٦م). فهناك أفلام صورت عرباً يقومون بعمليات تخريب في نيويورك ولوس أنجلوس، وأخرى صورتهم يفجرون مبان هامة في واشنطن، وأخرى تدور حول عرب يختطفون طلبة مدارس من (إنديانا). والصورة تنحصر دائماً في موجات من الإرهاب المسلح وخطف الرهائن وقتل المدنيين والاغتصاب والتدمير، وتكون بعض المشاهد مصحوبة بصيحات الجهاد (اللّه أكبر) أو بصورة مئذنة أو بصوت أذان، أو صورة للكعبة المشرفة، المهم تشويه أي رمز إسلامي!!. يبقى الثابت فيما تقدمه هوليوود من فنون وإبداعات، إن على صورة العرب والمسلمين أن تظل راسخة في ذهن المشاهد على أنهم أشرار وأن كل عربي إرهابي وكل مسلم متطرف. هناك ٩٠٠ فيلم صنفها جاك شاهين على أنها محرضة على كراهية العرب والمسلمين، وكلما أراد أن يختار أحدهما ليحتل لقب الأسوأ يفاجأ بأن هناك ما هو أسوأ. في كتاب (العرب قوم سوء) يؤكد مؤلفه جاك شاهين على أنه في بداية سنوات بحثه كان يتصور أن تشويه صورة العرب والرموز الإسلامية كان بسبب الجهل، لكنه اليوم وبعد عشرين عاماً من البحث يجزم بشكل قاطع بأنها صناعة مغرضة تعمل على أسس علمية ونفسية وسياسية دقيقة ولديها من يعلم جيداً الثقافة العربية واللغة والتاريخ والرموز الدينية وهي تضرب بقوة وتضرب في مقتل)"[١].

ثالثاً- تغيير المناهج العربية (مرحلة جديدة)

سطوة الاستعمار تتضح أكثر في هذه المرحلة التاريخية الحرجة التي تمر فيها أمتنا، أبرز مظاهر هذه السطوة هو العمل الجاري على قدم وساق لتغيير مناهج التربية والتعليم في الدول العربية، ولعل القارئ الكريم يدرك المعنى الذي نشير إليه

---

[١] – غادة سليم، **دنيا الإتحاد**، العدد (٩٥٠٩)، موقع **مجلة النبأ**:

http://www.annabaa.org/nba61/hasad.htm.

ويدرك الأهمية القصوى لليقظة المطلوبة لأبناء الأمة لوقف هذا التدمير المنظّم لما تبقى من بنية تحتية لثقافتنا.

١) إعادة تشكيل العقل العربي

عندما نتحدث عن مناهج التربية والتعليم، فإننا نتحدث عن مستقبل الأمة، وإذا كانت المناهج هي المواد العلمية والآليات التربوية التي تُكون شخصية الأفراد، فهي بالتالي تصوغ شخصية الأمة التي تجمع هؤلاء الأفراد. ومن هنا ينبغي أن ينبع الحرص على هذه الآليات، والحذر من التلاعب بهذه المناهج، التي ستحدد ملامح شخصية أبنائنا والأجيال القادمة. إنها لمسؤولية تاريخية تقع على عاتق جميع المسؤولين والقادة العرب، ليس فقط بالوقوف الجاد في وجه أي تحرك يُراد به محو ما تبقى من تراث أصيل في ذاكرة الأمة، بل العمل على إعادة التوازن إلى هذه الذاكرة عبر عملية تصحيح كبرى ينقح فيها التزوير والتحريف، ويرجع الحق إلى أصحابه.

كان أحد أهداف هذا البحث قبل الشروع فيه، هو تقييم مناهج التعليم العربية، ولكن الأحداث المتسارعة، والرغبة الجامحة للغرب للتدخل وإعادة صياغة مناهجنا، طغى على هذا الهدف. لقد تفاجأ العالم الإسلامي بالجرأة التي تحدثت بها الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرورة تغيير مناهج التعليم العربية، وسعيها الحثيث في تفعيل هذا المطلب، من خلال ضغوطاتها الهائلة على حكوماتنا العربية لتغيير هذه المناهج. كل ذلك يتم بحجة محاربة الإرهاب، وكأن المناهج العربية هي العناصر المؤسسة للتوتر الحضاري القائم بين الأمة والغرب. فنحن وأبناؤنا وإخوتنا وأخواتنا قد دخلنا المدارس العربية، وتعلمنا من هذه المناهج، ولم نعاين في جميع المراحل الدراسية أية مواد تدفعنا لكراهية الأوروبي، أو كراهية أي إنسان ومن أي دين أو ملة كان، وما الحركات المتطرفة التي نشأت في بعض الدول إلا نتيجة في مجملها لتدخل الغرب نفسه، إما من خلال تأسيس هذه الحركات لتنفيذ خطط الغرب في محاربة هذه الدولة أو تلك، أو من خلال الأعمال العدائية التي تقوم بها الدولة الوظيفية المحتلة لأرض فلسطين " إسرائيل" والمصحوبة بالدعم المطلق من قبل الولايات المتحدة، والتي أدت لقيام حركات مضادة.

قامت مسئولة أمريكية خلال عام ٢٠٠٣ بعدة جولات في المنطقة العربية، كان الهدف الرئيسي منها هو فتح ملف مناهج التعليم العربية، بحجة نبذ الكراهية والتطرف والتحريض، واستخدمت خلاله العصا والجزرة. تقول السيدة إلينا رومانسكي مسئولة برامج مبادرة الشراكة الأمريكية - الشرق أوسطية — " لا أعتقد أن من المفيد لأي مجتمع أن ينشىء أجياله وشبابه على مبادئ التحريض والانحياز وعدم التسامح مع الآخرين، وإذا كان هذا ما يتم تدريسه في العديد من المدارس، فيجب أن أقول أنه ليس بهذه الطريقة على هذه المفاهيم يجب أن ينشأ الجيل القادم في هذا العالم، وبإمكانك العودة إلى بعض النصوص الدراسية المستخدمة في هذه المنطقة لقراءتها وإدراك ما أتحدث عنه وأنا لا أعتقد أن هذا النوع من التعليم يمكن أن يخرج أجيالا قادرة على التعامل والعيش في عالم معولم، ولا يوجد مجال أو فسحة من الآن فصاعدا لعدم التسامح والكراهية والتحريض، ونحن الآن نحاول إيجاد وسائل تتيح لنا العيش معا وأي منهاج دراسي لا يسير في هذا الاتجاه يجب أن يتم تغييره حسب اعتقادي، وإذا كانت الحكومات والمجتمعات تريد رؤية هذا التغيير وتود الحصول على نظام تعليمي يوفر مهارات الحصول على فرص عمل أفضل والمنافسة في البيئة الدولية والاقتصادية فإننا سنمد يدنا للمساعدة، وإذا كان سؤالك حول ما إذا كانت الولايات المتحدة تود إزالة كل تلك العوامل السلبية من النصوص الدراسية فالجواب هو نعم بالتأكيد"[1]. وليس ذلك فحسب، بل تم تخصيص ميزانية لهذه العملية، في مؤشر واضح على الجدية. " في ٢٠٠٣/١١/٩، نشرت صحيفة الشرق الأوسط، أن إدارة الرئيس جورج بوش قررت تخصيص مبلغ ١٤٥ مليون دولار كميزانية لعام ٢٠٠٤ لتشجيع التعليم العلماني في الوطن العربي!"[2].

---

(١) - إلينا رومانسكي (مسئولة برامج مبادرة الشراكة الأمريكية - الشرق أوسطية)، تصريح، **الوطن القطرية**، ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٢) - عدنان أبو ناصر، **رؤية ذرائعية للهيمنة على المنطقة**: http://www.tajamo.org تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان.

ما مر أعلاه من كلام منسوب للمسئولة الأمريكية ظاهره المهنية والاحتراف، كان هو المُعلن عن الهدف من السعي لتغيير المناهج التعليمية العربية من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية. أما ما تتناقله وكالات الأنباء والباحثون العرب، فيقدم صورا أخرى عن هذه العملية، ففي العراق بعد الاحتلال على سبيل المثال، تم " شطب شخصيات كصلاح الدين ومعارك عربية كالقادسية واليرموك ونبوخذ نصر وحمورابي وكل المنارات التي يشع بها التاريخ العربي، وكانت تملأ الصفحات المدرسية في العراق"[1]. في تدخل وصائي سافر لتحديد المستقبل الثقافي لأمتنا.

٢) المناهج الكويتية نموذجاً

نستعرض هنا نموذجا لما تم حذفه من مناهجنا التعليمية، والتي عزت الولايات المتحدة أسبابه إلى أنه يحرض على العنف والإرهاب. في حين أنها قد أرهبت دولنا من خلال الضغط عليها لإجراء عملية التغيير. ولعل النموذج الكويتي وخاصة المحاولة الرسمية لإخفاء الضغط الذي تعرضت له من قِبل الدولة العظمى يعد أنموذجا لما نحذر منه، خاصة وأن المستهدف من هذه الحملة هو ما تبقى من تراث الأمة وتاريخها وتهديد مستقبلها وطمس عقيدتها، الأمر الذي وصفه الدكتور وليد الطبطبائي عضو مجلس الأمة الكويتي " إن المنهج يتجه نحو الانسلاخ عن العقيدة"[2].

فما هي المواد التي تم حذفها؟، يقول محرر جريدة الوطن الكويتية " رغم التصريح الذي أدلى به وزير التربية والتعليم العالي الدكتور رشيد الحمد بأنه لم يتم في عهده حذف أي شيء من مناهج التربية الإسلامية إلا أن «الوطن» حصلت على الدروس المحذوفة من المناهج التي اتضح أنها من كتاب اللغة العربية للصف الرابع الثانوي، وان كانت لمعظم هذه المقررات صبغة دينية أو قومية عروبية!! ما يثير الكثير

---

(١) – زبير سلطان قدوري، "البعد الآخر للغزو الأمريكي على العراق"، **جريدة الأسبوع الأدبي**، العدد ٩٢٠ تاريخ ٢٠٠٤/٨/٢١.

(٢) – وليد الطباطبائي، مناهجنا تسلخ... ، تصريح، **الوطن الكويتية**، الجمعة ٢٠٠٤/١٠/٢٢. http://www.alwatan.com.kw.

من التساؤلات حول تداخل المناهج وعدم اتضاح الرؤية بخصوص المطلوب منها . ويضيف المحرر: وفي الوقت نفسه هناك من يرى ألا شيء في تلك المقررات أو الدروس كان يستحق حذفه، معتبرا ذلك مجرد نصوص قراءة، فيها من الإلمام بتاريخ المنطقة وطموحات أبنائها الكثير، وأن هذا لا ينبغي حذفه باعتبار أن هناك مطامح عليا للمجتمع العربي الإسلامي لا يجب التخلي عنها بدعوى البعد عن شبهة الإرهاب.

لعله من المفيد للقارئ العربي أن نطوف به على هذا النموذج بشيء من التفصيل لكي نتمكن من إيصال التحذير بشكل واضح، فقد رصدت (صحيفة الوطن الكويتية) نحو ١٠ موضوعات هي أبرز ما تم حذفه من كتاب اللغة العربية ٢٠٠٤/٢٠٠٥ الصادر حسب السلم التعليمي الجديد المخصص حسب هذا السلم للصف الثاني عشر، " وباستعراض درس (القعقاع بن عمرو التميمي) وهو أحد الدروس المحذوفة من منهج اللغة العربية نجد أن الدرس عبارة عن استعراض لسيرة صحابي اشتهر بالجهاد والقوة والبأس وكان معينا لنصرة أي جيش يشارك في حروبه. ويضيف: وفي درس آخر، عنوانه «الرجولة في الإسلام» يستعرض الدرس معاني الرجولة كما عبر عنها سيد الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام. كما يستعرض كيفية سيطرة اللغة العربية ذات «السحر الخاص» على القلوب والعقول وانتشارها من إطارها القديم وهو الجزيرة العربية لتكون في كل الدول العربية اليوم. وينوه الدرس بعدم اعتماد الشعب المصري على لغته القديمة القبطية ولا السوري على الآرامية. ويلاحظ الدرس بالمقابل كيف أن اللغات الأخرى تتضاءل شيئا فشيئا حتى تنحصر في الأديرة ثم تتحول إلى لغات قديمة يدرسها العلماء أما الشعوب فتتناساها تماما !! وفي درس « على غار حراء» وهو من جزأين وحذف أيضًا ترد كلمة توضيح بأن الإسلام دين العلم، ويرد بذلك على من يقولون أن شرعة محمد شرعة السيف وحده، ويضيف: وحذف من الكتاب الجديد للغة العربية درسان بعنوان علوم العرب وأثرها في نهضة أوروبا، ويهتم هذا الدرس بإبراز «الفضل العظيم» للعرب على الحضارة، وكيف أيقظ العرب الغرب من السبات. واللافت، أن سبب الحذف المرجح هو الفقرة الأخيرة في الدرس الثاني عندما قالت: «وإذا كان العرب قد تآمرت عليهم قوى الظلم فنحتهم عن قيادة الركب العلمي فترة من الزمان، فهاهم قد أفاقوا من

غشيتهم.... إلخ. ومن الدروس المحذوفة أيضًا درس الموسوعات العربية في العصر المملوكي ودراسة في صبح الأعشى وفي هذا الدرس استعراض للفساد وتدهور القيم الأدبية وأنه بفساد السلطة ينتشر الجهل وبالتالي تنهار الأمم، ويتحدث كذلك عن النفاق الذي يؤدي إلى تصويب الخطأ الذي يرتكبه الرؤساء وتحسين القبيح"[١].

نرى في المثال السابق، أنموذجاً حياً لما يُراد بهذه الأمة. ويحق لنا أن نتساءل، بل ونستصرخ أبناء الأمة، بالنهوض ووقف هذا العمل المشين المتمثل في فرض القوة العظمى في العالم رؤيتها وأن تحدد لنا ماذا نقرأ وماذا نتعلم.

- **فأين** هو التحريض على الإرهاب في درس يستعرض سيرة صحابي اشتهر بالجهاد والقوة والبأس وكان معينا لنصرة أي جيش يشارك في حروب لدفع الظلم والطغيان عن الناس.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس عنوانه «الرجولة في الإسلام» يستعرض الدرس معاني الرجولة كما عبر عنها سيد الخلق محمد بن عبد الله (ص)، وصحابته الكرام.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس يستعرض كيفية سيطرة اللغة العربية ذات «السحر الخاص» على القلوب والعقول وانتشارها من إطارها القديم وهو الجزيرة العربية لتكون في كل الدول العربية اليوم.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس يوضح بأن الإسلام دين العلم، ويرد بذلك على من يقول أن شرعة محمد شرعة السيف وحده.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس يستعرض علوم العرب وأثرها في نهضة أوروبا، ويهتم هذا الدرس بإبراز «الفضل العظيم» للعرب على الحضارة، وكيف أيقظ العرب الغرب من السبات.

---

[١] – المحرر المحلي، "المبالغة في حذف مواضيع من منهجي التربية الإسلامية واللغة العربية"، **الوطن الكويتية**، الجمعة ٢٢/١٠/٢٠٠٤ . http://www.alwatan.com.kw.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس الموسوعات العربية في العصر المملوكي.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس يتحدث عن النفاق الذي يؤدي إلى تصويب الخطأ الذي يرتكبه الرؤساء وتحسين القبيح.

- **أين** التحريض على الإرهاب في درس فيه استعراض للفساد وتدهور القيم الأدبية، وأنه بفساد السلطة ينتشر الجهل وبالتالي تنهار الأمم.

إن ما حذف من هذه المناهج، لهو عزة الأمة وفخرها، وليس للإرهاب علاقة به لا من قريب ولا من بعيد، فما أزالوه من هذه المناهج، يستهدف محو تراثنا. فقد أزيلت دروس في القيم، وأزيلت حقائق تاريخية عن دور الأمة في نهضة الغرب، وأزيلت حقائق عن ديننا وعلاقته بالعلم. إن هذه الجريمة نتحمل مسؤوليتها جميعاً، ولا عذر لمثقف أو مفكر أو مؤرخ، أو مفسر أو أي إنسان عربي، بتركها تمر مرّ السحاب، إنها تعني مستقبل الأجيال القادمة، فنحن من سوف يُلعن، حينما يصحو جيل عربي في يوم ما، ليتساءل أين كان الآباء؟

رابعاً- عند العرب والمسلمين

ولكي يكون البحث أكثر موضوعية وإنصافاً لابد من العروج على الأسباب الكاملة لهيمنة التزوير والتحريف على عقول أبنائنا، لتحديد مكامن الخلل والدقة في التشخيص قدر الإمكان، لبدء عملية إصلاح جوهرية تقتلع الأضرار من جذورها.

١) الكتاب والمثقفون العرب

المثقفون العرب هم الآخرون كانوا ضحية هذا التضليل، وعندما شرعنا بهذا البحث، لم يكن متاحا لنا التغاضي عما فعله المثقفون العرب، بحسن نية ومن دون قصد، بحق أنفسهم وبحق أمتهم. فالمثقفون العرب أخذوا ينقلون لنا التاريخ المزور كما يُروى في الغرب، ومن غير تمحيص وغربلة، في حين أنه كان حرياً بهم أن يتحركوا لإرجاع هيبة الأمة التي تم السطو على تراثها.

هناك أمران يعدان محورين رئيسيين في أزمة المثقف العربي في موضوع بحثنا، الأمر الأول خاص بشخصية المثقف العربي، والثاني بالأرضية المعرفية التي يقف عليها ويتزود منها. ففي الأول نشاهد التقصير النابع من شغف النقل للمعلومة من دون غربلة وتمحيص، ومن دون إدراك للنتائج المترتبة على هذا النقل. وفي الثاني هو ما أطلقنا عليه بـ"البنية التحتية الثقافية" والتي سنتطرق لها في الخاتمة، وتشمل التاريخ الذي تعرض للتزوير، ومنها الحوامل الرئيسية، كالحامل المكاني والحامل السكاني وغيرهما، ومنها أيضًا ما عُرف بالإسرائيليات، والتي سنتطرق لها في المحور الثاني. انطلاقا من هذه البنية التحتية، يتزود كتابنا ومثقفونا معرفتهم، فتصدر تلك المقولات التي تُستخدم بشكل عفوي في الأدبيات السياسية اليومية وغيرها.

لقد تعرض تاريخ الأمة لضربات موجعة على يد أبناء الأمة من المثقفين وكتّاب التاريخ العربي، من خلال عمليات النقل التي اعتمدوها عن كتاب غربيين قاموا بكتابة تاريخ المنطقة. لقد ساهم الكتاب العرب بقبولهم بالمرويات التاريخية وبالنقل عن الغربيين، الذين استندوا على المستشرقين ومدونات التوراة في كتاباتهم، ساهم الكتّاب العرب في تعميق الغربة في ذاكرة أبناء الأمة، وأعطى هذا النقل للصهيونية العالمية مبررًا علمياً آخر لتأصيل ما بدأ من تزوير وقلب للحقائق، يقول الدكتور أحمد داوود "إن الصهاينة يفعلون كل هذا التزوير مستندين على واقع راهن وهو أن العرب مازالوا نقلة للتاريخ وليسوا باحثين أو قارئين له، وبالتحديد إنهم ينقلون ما يدونه خصوم التاريخ العربي في الخارج دونما أية محاكمة أو بحث"[1].

إن المراقب ليصاب بالدهشة لاستسلام الكتّاب العرب الكامل لهذا الكم الهائل من التزوير، وقلما شهدنا مؤسسة ثقافية أو إعلامية عربية قد أخذت على عاتقها كشف وفضح هذا التزوير، وإماطة اللثام عن هذا العبث المبرمج، وقلما شهدنا اهتمام مؤسسي عربي في التنقيب عن الآثار في منطقة تعتبر من أغنى المناطق أثرياً في العالم. لقد استسلم الكتّاب والعلماء العرب وسلّموا تراث أمتهم للمستشرقين وعصابات التنقيب عن الآثار التي جابت وتجوب طوال منطقتنا وعرضها، لتحّرف

---

[1] – أحمد داوود، **العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود**، ص١٤٢.

الحقيقة من جانب، خدمة لمن دفع لهم ويدفع، أو بسرقة تلك الكنوز الأثرية التي أضحت من مقتنيات متاحف الغرب من جانب آخر، فأضحى المثقفون العرب امتدادا للتزوير ولكن بأيدي عربية.

لقد تعامل الكثير من المثقفين العرب مع الصراع العربي – الصهيوني على أنه صراع سياسي عسكري، غافلين عن البعد الحضاري لهذه المعركة، والتي كان تزوير التاريخ العربي أولى جولاتها، وغافلين عن الارتباط المباشر بين التاريخ والأمن القومي. إن التاريخ يحتاج لرعاية لا تقل أهمية عن رعاية الحدود القومية لبلادنا، ويقول الدكتور أحمد داوود " إن جميع دول العالم تنظر إلى تاريخها القومي نظرتها إلى أمنها القومي، والعرب هم الوحيدون في هذا العالم الذين يرسلون أبناءهم إلى خصومهم والطامعين فيهم ليتعلموا على أيديهم تاريخهم. لقد جعلوا جراء ذلك من أنفسهم وسطاء دون أجرة لنقل كل ما يصنع من تزوير إلى الداخل، فيرسخونه عن طريق التعليم في أذهان أبناء شعبهم وأمتهم جيلا بعد جيل، وتحولت مؤسسات التعليم والثقافة والسياحة في معظمها في الوطن العربي إلى امتدادات للخارج تمسك بعقول الناشئة لتجمدها عند الحدود المرسومة لها وتحبسها ضمن الأطر التي أعدت لها بإحكام وتمنعها من الحركة والفعل"[١].

نماذج من خطاب المثقفين العرب

في الوقت الذي كان حرياً بمثقفينا مناقشة الأسس التاريخية والعقائدية التي استند عليها الغرب في تبرير غرس دولة لليهود في المنطقة العربية، نجد بعض الكتّاب العرب راح يروّج لهذه الأسس ومن دون قصد، بعد أن انطلى عليهم التزوير ذاته، فأصبحت المعلومات المزورة تخرج بشكل عفوي في مقالاتهم وبحوثهم وأحاديثهم. الأمر المهم والمثير هو أن هؤلاء المثقفين مخلصون لأمتهم، لم يتبنوا هذه المعلومات بسوء نية، بل المعروف أنهم من المدافعين عن حقوق الأمة. ومن هذه النماذج:

---

[١] – أحمد داوود، **تاريخ سوريا القديم** – تصحيح وتحرير، ص١٢.

١) يقول "صالح عبد الله سرية" : "تعتبر اللغة العبرية من أهم الأسس التي تقوم عليها فلسفة التربية والتعليم لدى اليهود، وذلك لارتباط هذه اللغة كمبدأ من مبادئ القومية، ولارتباطها بالدين حيث أنها لغة التوراة والأدب العبري والتراث العبري القديم، وقد بقيت اللغة العبرية حبيسة (الجيتو) مئات السنين ولم تستعمل إلا كلغة دين وشعائر فقط، وقد اعترف قادة اليهود أنفسهم بذلك بحيث يقول " بن جوريون " أول رئيس وزراء إسرائيلي ما يلي : إن اللغة العبرية لغة فقدت حياتها ، إذ لم يتحدث بها طوال ألفي سنة " . وقد تزعم في العصر الحديث " اليعازر بن يهوذا " الملقب بأبي العبرية الحديثة، تزعم بعث هذه اللغة، وناضل في سبيل اعتمادها لغة محكية، ثم تبنت دولة إسرائيل هذه المحاولة فيما بعد[١].

فالكاتب أعلاه يقرر وبشكل عفوي، بأن اللغة العبرية هي لغة التوراة[٢] والأدب والتراث القديم بقوله: (ولارتباطها بالدين حيث أنها لغة التوراة والأدب العبري والتراث العبري القديم)، ويقرر بأن اليهود كانوا يتحدثون بالعبرية في (الجيتو)، ويقرر أنها كانت تستعمل كلغة دين وشعائر فقط بقوله: (وقد بقيت اللغة العبرية حبيسة (الجيتو) مئات السنين ولم تستعمل إلا كلغة دين وشعائر فقط). الكاتب المشار إليه كان يخطّ هذا الكلام في بحث يخدم به القضية العادلة في فلسطين، نقول ذلك لكي لا يأخذ تحليلنا غير القصد الذي نرمي إليه، وهو أنه كان (ومن دون أن يشعر) يؤسس ويوطأ لمعلومات مضللة، حيث يعلم الكثير من الباحثين أنه لم تكن هناك لغة خاصة باليهود في المنطقة، فالعربية السريانية ولهجاتها كانت هي المهيمنة على عموم المنطقة في تلك الحقب.

---

[١] – صالح عبد الله سرية، **تعليم العرب في اسرائيل**، ص ٣٦:

http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/9/page3.html.

[٢] – قد ناقشنا مسألة اختلاق اللغة العبرية في الفصل الثاني دولة إسرائيل، وأوردنا الكثير من الأدلة على ذلك، ومنها، ما تقوله الموسوعة البريطانية: إن مؤلفي أسفار "العهد القديم" مجهولون، وليس معروفا إن كان جمعها قد تم على يد أفراد أو جماعات، وأنها كتبت "باللغة العبرية فقط، عدا بعض المقاطع القصيرة النادرة التي دونت باللغة الآرامية، إلا ان الجماعة اليهودية عمدت، لأسباب فقهية، إلى ترجمة التوراة (أو الأسفار الخمسة) من العبرية إلى الآرامية، وقد ضاعت المخطوطات العبرية الأصلية، ولم يصلنا سوى الترجمات".

٢) كاتب آخر، هو الدكتور علاء الدين زعتري[١] يضمّن ورقة عمل مقدمة لمؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، تصريحاً شبيهاً للمثال السابق بقوله: حتى في الأراضي المحتلة، استطاع الصهاينة في مشروعهم إحياء اللغة العبرية الميتة منذ ألف سنة من خلال ثلاثة عوامل: عامل التخاطب والعامل السياسي (القومي) والعامل الديني (التربوي).

يقول وبشكل عفوي إن اللغة العبرية ميتة منذ ألف سنة، أي انه يقرر بأن هناك وجوداً لهذه اللغة قبل ألف عام، ولا نعلم المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة، إذ أن بن جوريون نفسه يقول إنها ميتة منذ ألفي عام، والأدلة الكثيرة التي وردت في هذا البحث تثبت أنها لغة لم يكن لها وجود. لغة اختلقها اليعازر.

٣) في دراسة أخرى للدكتور محسن محمد صالح، يقول فيها " فقد اليهود صلتهم بفلسطين عملياً حوالي ألف وثمانمائة عام ، ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية التي رفض أحبارهم وحاخاماتهم وقادتهم تحويلها إلى برنامج عملي ، لأنهم كانوا يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم ، وأن عليهم انتظار المسيح المخلص الخاص بهم (الماشيح) أو (المسيا) ، وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم"[٢].

هنا يثبّت الكاتب أن هناك صلة لليهود بفلسطين قبل ألف وثمانمائة عام، في حين أن التاريخ الحقيقي لمنطقتنا يقول بأنه لم تكن لهم (اليهود) أية علاقة بأرض فلسطين، وليس هناك من مصدر يؤكد هذه المسألة إلا من خلال الإسقاطات الواردة في قاموس الكتاب المقدس، ومدونات التوراة المزورة، والتي أصبحت المرجع الوحيد للكتاب

---

[١]- علاء الدين زعتري، **العولمة واللغة العربية** - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، تنظيم كلية الدعوة الإسلامية- بيروت، الفترة ٢٦و٢٧/محرم/١٤٢٣هـ - ٨و٩/نيسان/٢٠٠٢م.

[٢] - محسن محمد صالح، **خلفيات ظهور القضية الفلسطينية في التاريخ الحديث حتى ١٩١٤م**، موقع:

http://www.altareekh.com.

حول التاريخ القديم لمنطقتنا. المرجع الرئيسي للأمة وهو القرآن الكريم، وبالرغم من الكم الهائل من الآيات التي تتحدث عن موسى (ع) وعن اليهود لم يأت على ذكر لـ"فلسطين"، ولم يسمِ هذه المنطقة بـ" أرض الأنبياء "، كما يروّج لذلك الكثير من الباحثين.

ما أشرنا إليه أعلاه كان نماذج لما يمكن أن يراه القارئ العربي كل يوم، ولسنا بحاجة لإحالة القارئ على المزيد من النماذج، إذ تزخر صفحات الصحف اليومية والكتب العربية بالآلاف المؤلفة من تصريحات أشد أذى.

ومن الأخطاء التي وقع فيها مثقفونا العرب، بل وبعض مرجعياتنا الدينية، هو تداول النظريات العرقية، التي لا تستند إلى أي أساس علمي ولا تاريخي، بأن يحاول بعض كتابنا ردّ اتهام معاداة السامية، في محاولةٍ لتبرئة العرب من معاداة السامية، فيقول على سبيل المثال أن "العرب ساميون ولا يمكن أن يعادوا السامية"، فهو ومن دون وعي يثبّت هذه النظريات الخرافية، التي كانت أحد الأسلحة التي أوصلتنا لما نحن عليه اليوم. نورد هنا بعض النماذج لهذه المقولات.

يقول أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر الدكتور عبد الشافي عبد اللطيف " إن الساميين هم العرب نسبة إلى سام بن نوح عليهما السلام و كذلك كل شعوب المنطقة وكذلك اليهود ينسبون إلى سام بن نوح، لذا فمن العجيب والغريب أن يتهم اليهود العرب بمعاداة السامية مشيراً إلى أن اليهود حاولوا استغلال المناخ السائد في أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية لكسب التعاطف ضد النازية فابتدعوا هذه البدعة الجديدة.

نلاحظ أن الدكتور قد أعطى اليهود الذين يشكل الخزريون ما يزيد على نسبة ٨٠٪ منهم، أعطاهم نسب سام بن نوح، مع أنهم لا يمتون سلالياً لا إلى نوح ولا أبنائه.

يقول المفكر الإسلامي عضو مجمع البحوث الإسلامية الدكتور مصطفى الشكعة نحن كعرب ساميين لا نعادي أنفسنا ولكن نعادي من ينحرف من أبناء سام، واليهود فرع منحرف من أبناء سام لذا نقف ضدهم"[١].

---

[١] - دوائر وهيئات صهيونية تحرض مثقفي العالم على مقاطعة مركز زايد، **جريدة الوطن السعودية**، ٣سبتمبر ٢٠٠٢م.

وهنا نلاحظ أن الدكتور الشكعة قام بوصفهم بالفرع المنحرف من أبناء سام، اعتقاداً منه بأنه يكشف زيفهم ويهاجمهم، فثَّبت حقيقة النسب المفتراة على سام بن نوح. عدا عن إدخالنا وإدخال القضايا المبدئية في التراشق السلالي والعنصري البغيض الذي لا يُقدم ولا يؤخّر وأول من أسس له هم التوراتيون.

لم تقتصر هذه المقولات على كتّاب مسلمين، بل شاركت بعض المرجعيات العربية الدينية المسيحية، ففي مقابلة مع الأهرام العربي، يقول الأنبا موسى في معرض رده على سؤال حول اتهام الفنان العالمي ميل جبسون بمعاداة السامية "أولا اليهود يتصورون أنهم الساميون الوحيدون في العالم وهذا غير صحيح فمن المعروف أن الكثير من العرب ساميون هم أيضا ولكن اليهود يلهبون ظهور البشرية ويرعبون الناس بهذه الكلمة لكي يوقفوا أي محاولة لانتقادهم أو إدانتهم ونحن كمسيحيين لا نقبل أبدا معاداة أي جنس ولا بشر لأي سبب عرقي أو ديني"[١].

الأنبا موسى أيضا يثّبت لليهود نسبهم بسام بن نوح، ولكنه يقول بأنهم ليسوا الوحيدين من سلالة سام.

إن الأمثلة السابقة من التصريحات حول السامية والصادرة عن مفكرين عرب، مسلمين ومسيحيين، توضح تقصير مثقفينا العرب، وهناك سيل من التصريحات التي صدرت وتصدر كل يوم عن شخصيات فكرية عربية، يمكن للقارئ أن يجدها مسطرة على الصفحات اليومية لصحافتنا العربية.

هناك أخطاء أخرى وقع فيها المثقفون العرب خلال قرائتهم للتاريخ، وهي الإقرار بأن العرب كانوا وثنيين قبل البعثة المحمدية، فتم فصل التراث العربي عن عقيدة التوحيد، وكلما يتعرض باحث أو كاتب للبعثة المحمدية وتاريخ العرب قبلها، اقتصر حديثه على الجاهلية وعبادة الأوثان، وكأن تاريخ العرب كله الممتد لآلاف السنين كان تاريخا وثنيا وجاهليا!، وكأن الأنبياء العظام الذين سبقوا النبي محمداً (ص) جاءوا من أرض غير هذه الأرض!، فأضحى تاريخ الأمة يُكتب ابتداءً من البعثة المحمدية،

[١] – الأنبا موسى أسقف الشباب، مقابلة، **الأهرام العربي**، ٦ مارس ٢٠٠٤.

يقـول الـدكتور أحمـد داوود " لقـد خسـرت المكتبـة العربيـة الـتي كـان يفـترض منـها أن تبرمج وتصوغ عقل الإنسـان العربـي، لتدفعـه للوقـوف بوجـه هـذا التـآمر الخطـير علـى التاريخ، لقد عمد بعض الكتاب العرب إلى التنكر لتاريخ الـوطن العربـي قبـل الإسـلام بحجة أنه تراث وثني، وصار تاريخ العـرب يبـدأ مـن عـرب مـا دعـي بـ (الجاهليـة) ممـا رتب آثارا جداً فادحة: فقد صارت كلمة "عربي" مرادفة لكلمة "بدوي" وطمست الهوية الحضارية لإنجازات الشـعب العربـي علـى أرضـه علـى مـدى اثـني عشـر ألـف عـام قبـل الإسـلام والمسـيحية، وألصـقت بـأقوام غربـاء عـن المنطقـة لم يكونـوا تجـاوزوا طـور الهمجية وسكنى الكهوف وأكل لحـوم البشـر، وأصبـح ذلـك التـاريخ نهبًـا لكـل طـامع أو مدع من الخارج كمـا أضـحى حقـلا مشـاعا لأيـدي العـابثين والمـزورين، وأصبـح العـرب غزاة في أرضهم يتساوى حقهم مع حق أي غاز آخر. وكانت محصلة ذلك كله أن تحـول الـوطن العربـي إلى أشـلاء مبعثـرة بعـد أن مُزقـت وحدتـه الـتي هـي الطـابع الحقيقـي الأصـيل لوجـوده منـذ الـزمن الموغـل في القـدم"[١]. وكنمـوذج لمـا نشـير إليـه نقـرأ لأحـد الكتاب العرب وصفا للعرب في كتاب كان هدفه شرح علوم وماضـي العـرب المجيـد، إذ يقـول "لم تكـن لـدى العـرب قبـل الإسـلام حضـارة، ولم يكـن لـديهم أي علـم تطبيقـي ولكنهم بهذه النظرة الإسلامية المتفتحة على طلب العلم، ابتدأوا في نهم شديد يبحثـون عن العلوم لدى الشعوب الأخرى "[٢].

هذا ما سرده أحد المفكرين العرب، يتحدث فيـه عـن المسلمين وعصـر الترجمـة، وبتفكيك هذه المقولة نُدرك الأخطاء التي أشرنا إليها. يقول الدكتور الفنجري، أن (لم تكن للعرب قبل الاسلام حضارة) وهو هنا يعني بالإسـلام البعثـة المحمديـة، فنجـد أن أول خطأ ارتكبه هذا المفكر العربي بأنه اعتبر البعثة المحمدية هي بدء الإسلام، فجرّد الإسلام من عمقه التاريخي الذي كان آدم الأول بدايته، وقـال (لم تكـن حضـارة قبلـها) وهنا يقول أن العرب المسلمين كانوا بلا حضارة قبـل البعثـة المحمديـة، ليؤكـد مـا يُـردد في الغـرب مـن أن العـرب كـانوا أهـل باديـة وصـحراء، فـاقتطع مـن تاريخنـا تلـك الـدول

---

[١] – أحمد داوود، **تاريخ سوريا القديم** – تصحيح وتحرير، ص ١١.

[٢] – أحمد شوقي الفنجري، **تاريخ العلوم الإسلامية من الصفر حتى قمة الحضارة**، ص ١٨.

العظمى التي كانت مهد الحضارة الإنسانية، واختتم مقولته فيما كان يعتقد أنه يمتدح التاريخ الإسلامي بقوله (ولم يكن لديهم أي علم تطبيقي ولكنهم بهذه النظرة الإسلامية المتفتحة على طلب العلم .. ابتدأوا في نهم شديد يبحثون عن العلوم لدى الشعوب الأخرى)، نلاحظ أن الكاتب قد اعتمد في تحليله على حقيقة زائفة، ألا وهي أن تاريخ الأمة قد بدأ من بعثة الرسول الخاتم (ص) ولم يعتّد الكاتب بالتاريخ السابق للبعثة النبوية مفترضاً أنه كان تاريخا جاهليا منذ خلق آدم الأول.

المقولة المنقولة أعلاه كانت أنموذجاً فقط لتوضيح مقصدنا، وهناك الكثير من المقولات والكتب لمثقفين عرب آخرين تحمل في طياتها ما هو أمّر من العلقم. مما يؤكد أن البنية التحتية لثقافة الأمة قد تعرضت لتشويه وتدمير. فالدكتور الفنجري، لم يكن يحرّف الحقيقة، أو يشوّه تاريخ أمته عن عمد، بل كان يتحدث عن مسلمات تاريخية تعلّمَها هو ممن سبقه، وهذا في الواقع أشد أذىً من التحريف المتعمد.

إن حل هذه المعضلة التاريخية يتطلب تكاتف جهود جميع الباحثين والمثقفين العرب ومن خلال عمل مؤسسي لإصلاح هذا الخلل المدمر، الذي وضع حاضرنا ومستقبلنا في حكم المجهول.

٢) الإسرائيليات

مفسرو القرآن الكريم والمؤرخون هم الآخرون كانوا ضحية للتزوير الذي تعرض له تراث الأمّة، وعند البحث في موضوع التزوير، لا يمكن للباحث التغاضي عما جاء في تفاسير القرآن الكريم. لا بد من الإشارة إلى أننا لا نحصر جّل المشكلة التي تعاني منها كتب التفاسير في عقدة الإسرائيليات. بل نشارك أخوتنا الباحثين على أن هناك معضلة أخرى عانت منها كتب التفاسير، ومنها الأحاديث المختلقة (المفبركة)، والمنسوبة زوراً للنبي محمد (ص)، والتي نشطت بقوة في العهد الأموي والعباسي، تحقيقا لأغراض سياسية لسلطات تلك الدول التي تعاقبت على رقاب المسلمين، وساهمت هذه الأحاديث المُختلقة في تفريق أبناء الأمّة الواحدة، يمكن أن نفرد لها بحثاً خاصاً في وقت لاحق يسلط عليها الضوء، إلا إننا سنكتفي هنا بالتركيز على ما عُرف

تاريخيا بالإسرائيليات، لجهة علاقته بجوهر موضوعنا. وهو ما نعني به "الدس اليهودي في تفاسير القرآن الكريم" وهذا يشمل أولاً الدس في المخطوطات الأصلية، وثانياً النقل الذي يقوم به بعض المفسرين المسلمين عن التوراة المحرفة لتفسير الآيات القرآنية بحسن نية، إلا أنها قد أضرت كثيرا، وأصبح اليهود اليوم يستخدمونها كحجة في تبرير الكثير من أفعالهم بحق أمتنا.

إننا ننبه هنا إلى هذه المعضلة التي تعاني منها كتب التفسير وبالخصوص في القصص القرآني وأخبار الأولين، والتي يحتج بها اليهود علينا اليوم كلما حاولنا نقض ادعائهم بحقوق تاريخية في فلسطين، هي معضلة تتطلب حلا عاجلا، لما لها من آثار سلبية على مسيرة الأمة ونهضتها. فعلى سبيل المثال لم يتطرق القرآن الكريم من أوله لآخره إلى أي ذكرٍ لفلسطين أو جنوب سوريا أو أي حق لهم في هذه المناطق، إلا أن الكثير من المفسرين والكتاب العرب يتعاطون مع هذا الأمر على أنه من المسلمات التاريخية، ويقولون أن ذلك كان في الماضي ولم يعد حقًا لهم في عصرنا الحاضر، أي أن اليهود كانوا في فلسطين في الماضي ثم خرجوا، اعتقاداً منهم أن ذلك يكفي لدحض حجج اليهود في ادعاء حقٍ لهم في فلسطين[1].

وهناك مثال آخر وهو في نظرنا الأهم على الإطلاق، وهو الاعتماد على مدونات التوراة في تفسير الآيات، كقصة آدم الإنسان الأول وخلقه، ونود من القارئ الكريم الرجوع إلى بحث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (الخلق الأول ... كما بدأكم تعودون)، هذا الجهد الذي قام به قسم الدراسات في تفكيك الآيات المتعلقة بآدم الأول، وتحرّيه للآيات المتضمنة لقصة الخلق، يُعد أنموذجاً لما ندعو إليه بتحرير كتب التفاسير من أسر الإسرائيليات.

عَرَضت الكثير من كتب التفاسير قصة خلق آدم على أنه قد جُبل من تراب، ثم أُخرجت حواء من ضلعه، بينما الحقيقة القرآنية تشير إلى أمر مخالف لهذا تماماً، وبالرجوع إلى التوراة وأسفارها المزورة نرى ذلك التفسير وتلك الصورة الخاطئة عن خلق آدم هي هي. ففي حين نشهد نحن المسلمين بما شهد به القرآن الكريم من أن

---

[1] - راجع الفصل الثاني حديث المؤرخ اليهودي نثمان في **اغتيال الذاكرة وتدمير الآثار**، ص٩٧.

اليهود قد حرفوا التوراة، نعود وننقل حرفيا ما ورد في هذا الأسفار المزورة لنفسر به كتاب اللّه، يقول القرآن الكريم (**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) (المائدة:١٣).

لقد كان اليهود في المدينة المنورة شوكة في خاصرة الدعوة المحمدية، ولقد حذر منهم رسول الرحمة (ص)، وكانوا مبعث حزنه وألمه لما قاموا به من أعمال لحرف الرسالة المحمدية، وكتب التاريخ مليئة بقصص فيها الكثير من العبر لمن شاء أن يعتبر.إن تنقية وغربلة تفاسير القرآن الكريم من الإسرائيليات واجب على جميع علماء الأمة، علماء الفقه وعلماء الفيزياء وعلماء الكيمياء وعلماء الجيولوجيا والطب والأحياء وغيرها من التخصصات المختلفة، فهذا الكتاب المقدس "القرآن" الذي حُفظ من العبث بإرادة السماء يحمل في طياته مفاتح العلوم التي تحتاجها البشرية، وقد كُلِّفت هذه الأمة من قبل الباريء عزّ وجلّ بتعليمه للناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وحفظاً لهذه الأمانة الربانية يتوجب على الأمة أن تعمل وبلا كلل لتطهير تفاسير القرآن من دَنَس هذا الدس.

موقف اليهود من الأنبياء عليهم السلام كان على الدوام يتسم بالعداء، وما خطّه الإنجيل من أفعالهم مع نبي اللّه عيسى (ع) قد بين ذلك بوضوح. نجحوا اليوم في الكثير من المواقع، بعد أن تمكنوا من الدخول إلى عمق الكثير من المؤسسات الدينية والعلمية والثقافية المسيحية في الغرب، وعلى رأس نجاحاتهم ضم التوراة المحرفة إلى الإنجيل، لتكوّن ما عرف بالكتاب المقدس، استطاعوا من خلاله إيجاد قاعدة للهيمنة على المخرجات الثقافية التي تُبث من تلك المنافذ التعليمية المشوهة لصورة أمتنا في الغرب. فعلوا كل ما يستطيعون لتحقيق هدف ضم التوراة إلى الإنجيل، وهم يتحينون الفرصة للانقضاض على القرآن الكريم ذخيرة البشرية، وما المحاولات التي يقومون بها عن طريق الأنظمة الغربية لإزالة الآيات التي تتحدث عنهم من مناهج التربية والتعليم في الدول العربية إلا بعض من مظاهر هذه المحاولات.

١- تعريف الإسرائيليات

تعرّف الإسرائيليات أو الرواية الإسرائيلية في إطارها العام بأنها رواية أصلها صادر من أهل الكتاب (يهود ونصارى)، ووصلت إلى المسلمين على هيئة روايات تنسب إلى النبي (ص) أو أحد من المسلمين، من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من العلماء. وبمعنى آخر هي رواية أخذها المسلمون من أهل الكتاب، وصيغت بإسناد إسلامي، وسميت بالإسرائيليات لأنها خرجت من أوساط أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية اللتين خرجتا من أوساط بني إسرائيل. لقد امتلأت كتب التفسير بذكر الإسرائيليات، ومنها على سبيل المثال "أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى عليه السلام- من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها اللّه تعالى لإبراهيم عليه السلام-، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم اللّه منها موسى عليه السلام إلى غير ذلك...."[١]، هذه نماذج بسيطة، إلا أننا سنتطرق إلى نماذج مخجلة أخرى في الأوراق القادمة. ونحن قد استخدمنا لفظ "إسرائيليات" كوصف تاريخي متعارف عليه عنواناً لهذه الروايات المدسوسة، لا إقراراً منا بصحّة التوصيف ودقّته، وإلاّ فرأيُنا أنّ هذا التوصيف هو أحد بنات التأثّر بالتحريف أيضاً ومجاوزة الدقّة القرآنيّة والالتزام بها، فإنّ السلالة الإسرائيليّة التي تتحدّر من يعقوب الذي هو إسرائيل، قد قطنت جزيرة العرب، ولكنّ الكهنة بعد أحقاب مديدة صنعوا الشريعة اليهوديّة المضخّمة وولّفوا مدوّنات "التوراة" الخاصّة بهم، فانتشرت كديانة توحيديّة لكن محرّفة عن دين الآباء والأنبياء، ودخلت أقوام عربيّة وعشائر كثيرة لا تمتّ إلى إسرائيل بصلة فتهوّدوا، هذه الأمّة "اليهود" التي بذرتها الأولى بنو إسرائيل هي التي اصطدمت بمحمّد (ص)، فإن كان من عنوان أنسب لهذه الروايات المدسوسة، فلربّما تكون تسمية "اليهوديات" وكانضباط مفهوميّ هي الأولى حاضراً.

---

[١] - ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، ص ١٠٠.

٢- الرخصة الشرعية التي أجازت نقلها

أما الأسس التي استند عليها المسلمون في نقل هذه الروايات، أو الرخصة الشرعية التي يعتقد المسلمون أنها أجازت نقلها، فهي تدور حول بعض الروايات المنسوبة للنبي محمد (ص) من قبيل "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[١] . وقول أبي هريرة عنه (ص): "كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (ص): "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: (**آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**) "[٢].

٣- أقسام الإسرائيليات

علماء المسلمين قاموا بتقسيم هذه الروايات إلى ثلاثة أقسام:

- الأول، ما يجزم بصحته إذا وافق القرآن والسنة.
- الثاني، ما يجزم بكذبه لمخالفته القرآن والسنة، كالروايات المشينة بحق الأنبياء عليهم السلام.
- الثالث، المسكوت عنه، وهو ما لا يصدق ولا يكذب، لسكوت القرآن عن تفاصيله.

٤- دراسات حول الإسرائيليات

قام بعض الباحثين العرب والمسلمين في السنوات الأخيرة بإجراء بعض الدراسات تبين حجم هذه الإسرائيليات في تفاسير المسلمين وقد نبهت إلى المخاطر الجدية من وجودها في متون الكتب الإسلامية المعتبرة، ففي رسالة دكتوراه لأحمد نجيب بن عبد

---

[١] - الجزائري، **قصص الأنبياء**، ص٥٢٢؛ المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج١٠، ص٢٢٣.

[٢] - النسائي، **السنن الكبرى**، ج٦، ص٤٢٦؛ الفيض الكاشاني، **التفسير الأصفى**، ج٢، ص٩٤٨.

الله صالح يقول بعد تحذيره من مخاطرها وأن " تنقية الكتب من الإسرائيليات مهمة عظيمة، وتوصل إلى أن عدد الإسرائيليات في تفسير الطبري من أوله إلى نهاية سورة الإسراء بلغ (١١٣٢) رواية تقريباً، منها: عدد الروايات الَّتي توافق شرعنا (٣٦) رواية، عدد الروايات الباطلة والتي تخالف شرعنا (٢٢٢). عدد الروايات الَّتي سكت عنها الشرع (٨٧٤) رواية. وكثير من الإسرائيليات مروية بأسانيد ضعيفة"[١]. بين الباحث فيها نتائج البحث وفوائده، واقترح الباحث ضمن توصياته الختامية ما يلي:

- جمع الإسرائيليات الباطلة من كتب التفاسير عامة وتدوينها في (موسوعة الإسرائيليات الباطلة).
- إقامة الندوات والمحاضرات للتحذير من خطر الإسرائيليات على عقيدة المسلم.
- تأليف أخبار الأنبياء الصحيحة مقتصراً على ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة.

وفي دراسة أخرى، وجد "أن ما يزيد على ٢٥٠٠ نص في تفسير الطبري للقرآن الكريم من الإسرائيليات، والخرافات والأساطير اليهودية الأولى التي لوثت أصالة الثقافة الإسلامية. وتقول الباحثة الدكتورة آمال ربيع مدرسة اللغة العبرية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة " إن من عوامل تميز دراستها أنها الوحيدة في التاريخ الإسلامي التي تناولت الإسرائيليات في جميع سور القرآن الكريم. وتضيف: ولا أبالغ إذا قلت إنني نجحت بتوفيق من الله، في رد ما يزيد على ٩٠٪ من الإسرائيليات التي وردت في تفسير الطبري للقرآن الكريم البالغ عدد مجلداته ١٦ مجلدا، إلى أصولها التي وردت نصا في تفاسير التوراة المكتوبة باللغة العبرية القديمة. وعن الأسلوب الذي اتبعته في دراستها قالت الدكتورة آمال في تصريحات لمجلة (نصف الدنيا) القاهرية: اعتمدت على مطابقة النص الإسرائيلي عند الطبري بأصل النص العبري لتأكيد

---

[١] - أحمد نجيب بن عبد الله صالح، **الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري** "من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء"، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:
http://www.iu.edu.sa/arabic/daleel/rasail/Browse/quran/tafsir/munakash/index.h

العلاقة بين النصين وتمحيصهما، وفي النهاية وجدت أن هناك خمسة متون أو خمس مستويات من الإسرائيليات هي: نصوص في تفسير الطبري تتطابق تماما مع النص العبري بشيء يدعو إلى الذهول من حيث المضمون والفقرات والعبارات وغيرها. نوع فيه تطويل في النص العربي وإيجاز في النص العبري. نوع عكس ذلك تماماً. نوع يختلف فيه النص العبري مع العربي، لكنهما يتفقان في المضمون من حيث الأصول العبرية. النوع الخامس والأخير يمثل حوالي ١٠٪ من الإسرائيليات التي لم أكشف عنها في تفسير الطبري بعد"[١].

أما لماذا هذا التركيز على الطبري؟، فتقول الدكتورة آمال ربيع عن سبب اختيارها لتفسير الإمام الطبري "إن ذلك يرجع إلي أنه من أكثر التفاسير القرآنية تداولا في أيدي المسلمين كما أن الإمام الطبري كتب تاريخ الملوك والممالك ويغلب على تفاسيره وكتبه صفة المؤرخ فغلب عليه التأريخ في كتاباته ولأن أكثر الإسرائيليات المدسوسة هي في القصص وتاريخ الأنبياء وقصة نشوء الخلق وخلق آدم وحواء فكان تفسير الإمام الطبري هو الأولى من كتب التفاسير القديمة للبحث في الشبهات وردها، وقد استغرق هذا الجرد والتحديد حوالي عامين عمر رسالة الدكتوراه!!"[٢].

٥- التوراة مصدر الإسرائيليات

لقد حذر القرآن الكريم في مواضع عدّة من محرفي الحقيقة والتاريخ، ولا بد لنا وقبل الخوض في التفاصيل، بتذكير القارئ بتلك الإرشادات الإلهية الدقيقة، التي كان لزاماً على الكتّاب والمفسرين والمؤرخين وضعها نصب أعينهم عند الحديث عن أية روايات إسرائيلية، كقوله تعالى (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)(آل عمران:٧١)، وقوله (**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً**

---

[١] - أمال ربيع، **جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين، ٢١ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٨ مارس ١٩٩٩.

[٢]- أمال ربيع، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢.

فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً)(النساء:٤٦)، وقوله (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**)(المائدة:١٥)، وقوله (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)(المائدة:٤١)، وقوله تعالى (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)(المائدة:٦٤).

يجمع الباحثون على أن مدونات التوراة وكتب تفسير التوراة والتلمود هي المصدر الرئيسي للروايات الإسرائيلية، وقد تتبع آثارها بعض الباحثين كالدكتورة آمال ربيع إذ قامت بعملية مطابقة النص بالنص، وحيث أن هناك أكثر من نص قرآني يقول بوقوع التحريف من قبل اليهود، فكان لا بد لنا ولكي تكتمل الصورة في ذهن القارئ، من تقّصي أراء المفسرين وعرضها حول هذه المسألة قبل القفز لأية نتيجة. يقول الباحث اللبناني الدكتور ياسين سويد، عن موقف المفسرين المسلمين من التوراة : " فمنهم من يرى أن التحريف والتبديل تم في التأويل لا في النص، ومن هؤلاء البخاري وابن كثير. ومنهم من يرى أن التحريف والتبديل قد أصابا "جملاً قليلة وألفاظاً يسيرة"، ولكن أكثره ظل كما أنزل على موسى (عليه السلام). وآخرون يرون أن معظم التوراة التي أنزلت على موسى قد حرف وبدل بشكل أساسي بحيث لم يبق منها إلا النزر اليسير، ومن هؤلاء ابن حزم الأندلسي والإمام الغزالي، والإمام الشافعي، وابن قيم الجوزية، وابن تيمية وغيرهم. ويرى بعض العلماء أن التحريف قد تم في معظمه، بالتبديل أو الزيادة أو النقصان، أو بتغيير المعنى (في التفسير) دون تغيير اللفظ، مما أدى إلى

ضياع التوراة الأصلية، إذ طغى عليها التحريف والتبديل لفظاً ومضموناً ومعنى، وخضعت للكثير من أهواء النساخ والمؤلفين وأذواقهم ومآربهم وميولهم. ويكفي أن نذكر ما طرأ على آخر أسفار التوراة (تثنية الاشتراع) من زيادة وتعديل، حتى ندرك جسامة هذا التحريف ومداه، فنحن نقرأ فيه تفاصيل عن وفاة موسى، وما كان لموسى أن يتحدث عن تفاصيل وفاته، كما نرى في أسفار التوراة كلها، إن الحديث يجري على لسان موسى (وكلم الرب موسى، وقال الرب لموسى، وتقدم إلى موسى، وخرج موسى، وبركات موسى، ونشيد موسى، إلخ...) وليس بلسان موسى نفسه، مما يؤكد أن موسى ليس هو المتكلم، وبالتالي ليس هو واضع هذه الأسفار"[1]. إذن هناك إجماع من قبل المفسرين على وقوع التحريف وإن اختلفت مستوياته.

٦- نماذج لروايات إسرائيلية

في دراسة للدكتور فالح الربيعي حول الإسرائيليات، يناقش نماذج من الروايات الإسرائيلية، ننقل منها ثلاثة نماذج لوضع القارئ في بيئة الموضوع. التي توضح بجلاء سعي اليهود للحطّ من مقام الأنبياء عليهم السلام، وأشار إلى كيفية تعامل المفسرين المسلمين مع هذه الروايات ومحاولات تبريرها، بدلا من السعي لرفضها، يقول الدكتور الربيعي[2]:

١ - الادعاء أن داود (ع) قد أعجب بزوجة أحد قادته العسكريين، فأرسل هذا القائد إلى الحرب ودبر له مؤامرة لقتله والاستئثار بزوجته! تأملوا ما جاء في التوراة بهذا الخصوص: "إن داود نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها وأتى بها واضطجع معها (هكذا) فحملت منه وأعلمته، وكان زوجها (أوريا الحثي) في الحرب فأتى ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر،

---

(١) - ياسين سويد، **الثقافة الصهيونية وتزوير التاريخ**، مجلة الفكر السياسي، موقع: اتحاد الكتاب العرب،

www.awu-dam.org/politic

(٢) - فالح الربيعي، **القصة القرآنية والإسرائيليات**، موقع بلاغ: www.balagh.com

وليحدث الرجل بامرأته عهداً حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل، ولكن الرجل كان تقياً جداً (أتقى من داود النبي!) فبات بباب داود، لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجه وإخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم (!) فلما علم داود لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملاً الراية (!!) وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم، وبهذه الوسيلة قتل الرجل (!) وأتت امرأته بولد من تلك الزنية(!!)".

والأغرب من ذلك أن اليهود يدّعون وبكل وقاحة أن هذا الولد (غير الشرعي) هو سليمان (ع) تعالى أنبياء الله عن مزاعمهم وافتراءاتهم علواً كبيراً. و أن بعض المفسرين قد أخذ بهذه المعلومة الإسرائيلية، ولما كان فيها افتراء فاحش على نبي من أنبياء الله فقد أخذوا يبررون ويؤولون ويتعسفون في التبرير والتأويل وكأنه لزام عليهم أن يأخذوا بهذه الرواية، في حين أن بإمكانهم أن يرفضوا هذه القصة من الأساس، ويسكتوا عنها كما سكت القرآن الكريم.... لا أن يبرروا ويختلقوا المعاذير التي توقف داود (ع) موقف المتهم المحتاج إلى التبرير والدفاع كما فعل ذلك البيضاوي ـ مثلاً ـ عندما كتب في تفسير الآية قائلاً: ((وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه (ع) ودّ أن يكون له ما لغيره، وكان له أمثاله، فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب، وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها، وسعى حتى تزوجها، إن صح (!) فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته (!)، وكان ذلك معتاداً فيما بينهم، وقد واسى الأنصار المهاجرين بمثل هذا ...)). ونحن إذا أردنا أن نأخذ بنظر الاعتبار المقاييس القرآنية الواضحة بهذا الصدد لنفينا القصة من الأساس، ولما أخذنا حتى بهذا التبرير الذي لا داعي له، ولدفعنا أي شبهة أو أي اتهام ـ مهما كان بسيطاً ـ عن ساحة هذا النبي العظيم الذي تقول عنه التوراة (المحرفة) نفسها كاشفة بذلك اختلاق هذه القصة من الأساس: ((فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك ...)). فهل يعقل أن تصدر مثل هذه الفعلة الشنيعة (الزنا وبمتزوّجة والغدر والتآمر) من نبي ديدنه الأمانة والبر واستقامة القلب باعتراف التوراة نفسها؟!

٢- ومن ضمن الإسرائيليات الأخرى التي انطلت على بعض المفسرين، ناقلين بذلك - من حيث لا يشعرون - عن أحد الأنبياء المكرمين عند الله، تلك الرواية الإسرائيلية التي تدّعي زوراً وبهتاناً أن موسى (ع) ذهب ليستحم في النهر بعد أن وضع ملابسه على حجر، فما كان من الحجر إلا أن انطلق بملابس موسى، وموسى يركض وراءه عارياً حتى استقر به المقام بين جمع بني إسرائيل كل ذلك ليثبت الخالق تعالى لهم أنه بريء من التهمة التي نسبوها إليه من أنه مصاب بمرض (الإدرة) وهو تورم في الخصية!! وللأسف الشديد فإن هذه الإسرائيلية قد انطلت هي الأخرى على بعض المفسرين، حتى إن بعض المحدثين قد نسب إلى رسول الله (ص) حديثاً يشبه تلك القصة الإسرائيلية في بعض النواحي عند التعرض لتفسير آية: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً**)(الأحزاب:٦٩). هذا الحديث يحمل أدلة كونه مختلقاً منحولاً وبشكل واضح وصريح دون أن تكون هناك حاجة إلى مراجعة سنده (الضعيف المشكوك فيه)، إذ كيف يعقل أن يأمر الله تعالى الحجر بالجري بملابس موسى وإجباره (ع) على أن يركض وراءه (مكشوف العورة)، وموسى على ما هو عليه من مقام سامق وحظوة عند الله تعالى بشهادة الآية نفسها: (وكان عند الله وجيهاً). وأنا لا أدري لماذا يحرص البعض على الأخذ بمثل هذه المرويات التي تقدح - مهما كانت درجة تأويلها وتبريرها - بشخصية نبي هو من أفضل الأنبياء، ويتركون مرويات أخرى لا يترتب على قبولها أي مدح بشخصية هذا النبي، كالرواية التي تقول أن قارون اتهم موسى (ع) بالزنا ثم برأه الله من هذه التهمة. أو الرواية التي تقول إن بني إسرائيل اتهموا موسى بقتل هارون بعد أن نزل من الجبل وأخبرهم بموت هارون (ع)، وهي روايات معقولة تتفق تمام الاتفاق مع ما هو معروف عن بني إسرائيل من طبيعة مجبولة على الخبث والإيذاء والاجتراء على الله ورسله.

وهناك من الروايات ما يندى له الجبين، ونلاحظ في الرواية التالية كيف يتعامل اليهود مع تاريخ الأنبياء عليهم السلام، ونقرأ في سفر التكوين " **ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إلى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ ايلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَلَهُ بَيْتُ ايلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ**

الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ثُمَّ ارْتَحَلَ ابْرَامُ ارْتِحَالا مُتَوَالِيا نَحْوَ الْجَنُوبِ. وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الارْضِ فَانحَدَرَ ابْرَامُ إلى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لان الْجُوعَ فِي الارْضِ كَان شَدِيدا. وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ ان يَدْخُلَ مِصْرَ انهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَاتِهِ: «انِي قَدْ عَلِمْتُ انكِ امْرَاةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ اذَا رَاكِ الْمِصْرِيُّونَ انهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَاتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي انكِ اخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ اجْلِكِ». فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ ابْرَامُ إلى مِصْرَ ان الْمِصْرِيِّينَ رَاوُا الْمَرْاةَ انهَا حَسَنَةٌ جِدّا. وَرَاهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَاخِذَتِ الْمَرْاةُ إلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ فَصَنَعَ إلى ابْرَامَ خَيْرا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَامَاءٌ وَاتُنٌ وَجِمَالٌ"(التكوين ١٢ :٨-١٦). نرى أن قلم الكهنة الوضاعين لم يتردد في هذه المقالة عند الحديث عن نبي الله إبراهيم وزوجه.

٧- أسباب دخول الإسرائيليات كتب التفسير

عن الأسباب التي دفعت بالمفسرين المسلمين لنقل الإسرائيليات، تعددت آراء المفكرين حولها، ويمكن تصنيفها كما يلي:

١- الانبهار: وممن يذهب إلى هذا الرأي محمد عابد الجابري في (نقد العقل العربي) حيث يقول: "ولقد سبق لابن خلدون أن لمس عن قرب بفضل حسه النقدي، ضرورة هذا التمييز الذي نتحدث عنه هنا، والتمييز بين المستوى (العالم) والمستوى (العامي) في الموروث القديم داخل فضاء الثقافي العربي الإسلامي. وذلك عندما تعرض لمنهج المفسرين الأوائل للقرآن الذين اعتمدوا (النقل) و (الرواية) الاستعانة في تفاسيرهم بالموروث من الفكر اليهودي الذي كان رائجا في الجزيرة العربية آنذاك. لقد لاحظ ابن خلدون أن كتب هؤلاء المفسرين (تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك -كما يقول- أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم. وإنما غلبت عليهم (البداوة والأمية)، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه

العامة من أهل الكتاب)"[1].إذن فلقد كان تعامل المفسرين الأوائل مع الموروث اليهودي تعامل عرب غلبت عليه البداوة يلجئون لليهود كلما تشوقت أنفسهم لأمر ما يتعلق بالتاريخ!!.

٢- هواية الحبكة الكاملة: وهناك من كان أكثر قسوة على المؤرخين والمفسرين القدماء، فقال" والمفسرون والمؤرخون القدامى (لا ننسى أن منهم من كان مؤرخاً ومفسراً (كالطبري) كانت تستهويهم الحبكة الكاملة، فلجئوا إلى اليهود !! فالمفسر والمؤرخ قديماً غلبت عليهما منهجية الحبكة الكاملة، وكولع بالحكايات التي اشتهر بها العرب قديماً!" [2]، قد ترجع شدّة هذا الكاتب كونه من فلسطين، التي عانت في بعض ما عانت من آثار هذه المرويات التاريخية.

٣- المؤامــرة[3]: "وهـذا الـرأي يـذهب إليـه الكـثير مـن الكتّـاب الـذين كتبـوا عـن الإسرائيليات من المعاصرين ، ومن هؤلاء السيد محمد رشيد رضا في المنار، والسيد حسن السقاف في تعليقاته على كتاب (العلو) للذهبي. ومنهم من قال بسبب الصراع السياسي الذي استغل مفردات المثيولوجيا الإسرائيلية لترسيخ الفكرة التي يدعو إليها على هيئة نصوص ينسبها إلى النبي (ص) أو أحد من المسلمين من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من العلماء.

٤- مخطط للاختراق: أما الشيخ خميس العدوي[4]، فيرى أنها مخطط شابه في فصوله مخطط النفاذ للنصرانية، الأمر الذي بموجبه تم اختراق المسيحية، ويقول

---

[1] - خالد بن مبارك الوهيبي، **موقع الأمل المشرق**: ٧١, ١٨٥, ٢٢١, ٢١٦.

[2] - **سقطات الكتبة حول فلسطين**، موقع: www.falastiny.net.

[3] - عبد الجواد ياسين، **التنصيص السياسي في العصر الأموي من كتاب السلطة في الإسلام**، موقع الأمل المشرق

http://216,221,185,71/index2.html

[4] - خميس العدوي، **المنهج في قصص الأنبياء** ج٢، مكتبة الندوة العامة www.alnadwa.net .

الشيخ العدوي " محقت الكثير من قضايا الإسلام كالعقيدة والفقه والتفسير والسير، هـذه الروايات لم تنشأ هكذا دون قصد أو تخطيط وتنسيق، وإنما كانت توجد مؤسسة خفية من اليهود وأخرى من النصارى كانت تكيد للإسلام من داخله، كما فعل اليهود بشريعة المسيح عليه السلام عندما دخل بولس "شاؤول" اليهودي النصرانية ليكيد لها من داخلها، وقد وجد في الإسلام المئات من أمثال شاؤول اليهودي، ومن تتبع هذه الحقيقة وجدها ماثلة في تراثنا الإسلامي وللأسف الشديد. خذ مثالا على ذلك مسلمة أهل الكتاب، أغلب الروايات ذات الصبغة الإسرائيلية جاءت من قبلهم، وقد انخدع المسلمون بهم وظنوا أن ما عندهم هو العلم الذي يجب أن يعبوا من معينه، وكان لزامًا على هؤلاء المسلمة طالما أنهم دخلوا الإسلام أن يكتفوا بما فيه من علم (القرآن الكريم وصحيح السنة)، فكيف بهم يزعمون الدخول في الإسلام وهم يغرفون للمسلمين من مزاميلهم غرفًا؟!!!. وللأسف الشديد كان الأثريون مطية ركوب لهؤلاء الكائدين، وقد ترقى بهم الحال أن تولوا مناصب حساسة في دول الخلافة الأموية ثم العباسية وقد شجعوا الوضع والكذب من داخل الصف الإسلامي، كل ذلك كان يتم بدراسة واعية من قبل هذه المؤسسة الإسرائيلية الحاقدة، وقد زرعوا الكثير من الفتن، كفتنة "خلق القرآن" و"فتنة التجسيم" و"فتنة الإرجاء" ونحوها من الفتن، فقد كانت لا تكاد تخمد فتنة بين المسلمين إلا ويزرع هؤلاء الحاقدون أخرى، فلله الأمر من قبل ومن بعد".

٥- اللين والضعف، وهناك من فصّل أكثر، واتهم المفسرين والمؤرخين باللين والضعف بشكل قد فسح المجال ومهد الطريق لدخول الإسرائيليات إلى الحوامل الرئيسية، التي يركن إليها أي باحث في التاريخ أو تفاسير القرآن الكريم "ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى شيوع ظاهرة الاستناد إلى روايات (اليهود) فيما يتعلق بأخبار الأنبياء والأمم الماضية، هم علماء التفسير والتاريخ أنفسهم، إذ أن اليهود ما كانوا ليجدوا الطريق ممهداً للنفوذ بسمومهم إلى التاريخ الإسلامي لولا ذلك الضعف واللين اللذان فسحا المجال إلى حد ما لذلك النفوذ، ثم ذلك الفضول وتلك النزعة التقريرية التفصيلية والرغبة في معرفة كل شيء (وإن كانت هذه المعرفة على حساب الحقيقة والالتزام بالبحث العلمي الأمين) تلك الرغبة التي طغت على أغلب علماء التفسير

والتاريخ آنذاك (ولعلها ما زالت) خصوصاً فيما يتعلق بالمجهولات التي سكت عنها القرآن لعدم ضرورتها وترك معرفتها أي أثر على مدى فهم القصة واكتساب الدروس والعبر منها. وقد أدت تلك الرغبة العارمة المحفوفة بالمحاذير والمخاطر إلى أن يبيح بعض هؤلاء العلماء لنفسه أن يستند إلى الروايات التي جاءت من طريق أحبار اليهود وبعض الشخصيات اليهودية المشكوك في خلوص ونقاء إسلامها، هذا بالإضافة إلى الاستناد إلى كتاب (التوراة) المليء بالدسّ والتحريف والنيل من مكانة الأنبياء ونسبة التهم الباطلة إليهم التي لا تتفق في أي حال من الأحوال مع نظرة الإسلام إليهم المبنية على أنهم يمثلون شخصيات نزيهة معصومة عن ارتكاب الإثم مهما كان صغيراً، فما بالك إذا نسبت إليهم الذنوب الفاحشة والكبائر التي قد لا تصدر من الإنسان العادي المتوسط الإيمان، فكيف إذا كان هذا الإنسان نبياً اصطفاه الله تعالى على أهل زمانه، وحمله مسئولية هداية القوم الذين يعيش بينهم؟!"[1].

أما منذ متى بدأت؟ فيقرر الباحثون على أن الإسرائيليات بدأت منذ عصر الرسول (ص)، واستمرت خلال الدول المتعاقبة، وتقول الدكتورة "آمال ربيع" تسللت الإسرائيليات إلى التفاسير عبر عدة قرون ..."[2].

كان ما مرّ نماذج لما يطرحه النقّاد خلال تعريفهم بالإسرائيليات، إلا أن هناك أراء مضادة سنستعرضها في الأوراق القليلة القادمة.

٨ - خطورة الإسرائيليات

لقد أصبحت هذه الروايات الإسرائيلية من ثوابت العقيدة وجزءًا من الثقافة العامة للأمة، وعلى الرغم من إقرار العلماء بدسها في كتبنا من قِبل اليهود وغيرهم،

---

[1] - فالح الربيعي، **القصة القرآنية والإسرائيليات**، باب الموسوعة الإسلامية- تفسير ومفسرون، موقع بلاغ: www.balagh.com.

[2] - أمال ربيع ، **لقاء**، منشور على إسلام ويب، الأحد :٢٠٠٣/٠١/٢٦ :

www.islamweb.net.

إلا أننا لم نشهد أي محاولة لعمل مؤسسي لمعالجة هذه القضية البالغة الحساسية، عمل يكون بمستوى التأثير الذي أحدثته ولا زالت على المنظومة المعرفية للأمة. اللهم إلا بعض الأعمال الفردية، كمثال الدكتورة آمال ربيع، والتي كان من أهم توصيات رسالتها للدكتوراة هي "سحب تفسير الإمام الطبري من الأسواق وتشكيل لجان من علماء الأزهر الشريف لإعادة طباعته منقحا ومحددا به تلك الإسرائيليات الواردة فيه وأن يضاف إلى تلك اللجنة أساتذة الأدب واللغات الشرقية في كلية اللغات والترجمة في جامعة الأزهر وذلك لإرجاع تلك الإسرائيليات إلى أصلها في العهدين القديم والجديد وذكر الأسفار والاصحاحات التي وردت فيها وعن هذا الطرح وأهميته تقول الدكتورة آمال ربيع: "كل علماء المسلمين متفقون على وجود تلك الإسرائيليات وخطورتها على العقل والفكر الإسلامي، خاصة أنها أصبحت أداة لضرب الإسلام في مقتل والتشكيك في رسالة الإسلام من أعدائه في هذا الوقت بالتحديد، وباتت هناك تحديات كثيرة تفرض على علماء الأمة الإسلامية ضرورة التكاتف لتخليص ما شاب الفكر والعقل الإسلامي من شوائب على امتداد أربعة عشر قرنًا من الزمان. وإذا كان البعض يرى ضرورة الإبقاء على تلك التفاسير بدعوى أن الروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعة الواردة بها معلومة لدى كبار العلماء، فإنني أقول لهم إن تلك الخرافات أصبحت من ثوابت الدين لدى الكثير من عامة المسلمين، "[1].

إن الخطورة الحقيقية في مسألة الروايات الإسرائيلية تكمن في إسنادها إلى النبي محمد (ص) والصحابة والتابعين، حيث أن نسبتها للنبي (ص) ولو ضمناً قد أعطاها قدسية لدى عامة المسلمين، سيّما وأن السواد الأعظم من الأمة ليسوا علماء تاريخ، ولا فقهاء قادرين على تفكيك هذه الروايات وإرجاعها إلى أصلها في مدونات التوراة، وأن وقفها على الصحابة، قد جعل العوام من المسلمين ممن ليس من أهل العلم يعتقد أنها متلقاة عن النبي (ص). أضف إلى ذلك المستشرقين، الذين تلقفوها وحولوها أداة لضرب الإسلام، وتقول الدكتورة ربيع في هذا الصدد " بل إن الأكثر من ذلك خطورة، هي تلك الشبهات التي يستخرجها المستشرقون ودعاة التنوير من علماء المسلمين الذين يتخذون

[1]- أمال ربيع، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢.

منها أسلحة لضرب الإسلام والتشكيك في رسالته، فما المانع من أن ننقي تلك التفاسير مادام هناك اعتراف من العلماء بوجود تلك الإسرائيليات؟"[1].

أما من حيث أهمية وجود هذه الروايات في كتب وتفاسير المسلمين بالنسبة للصهاينة فلا تخفى على أي باحث، فهو من جانب يُعد أمراً حيوياً للوصول إلى ما كانوا يطمحون له على الدوام، ومنذ فجر الدعوة المحمدية، وهو هيمنة الفكر التوراتي على الأديان كلها، فقد " حرص اليهود في مخططاتهم ومنظماتهم - خاصة في جانب الغزو الثقافي- أن تحل المفاهيم اليهودية التلمودية محل المفاهيم القرآنية الإسلامية"[2]. ومن جانب آخر، هو دليل مجاني أسسوا عليه دعواهم بأن الإسلام قام وتأسس على معلومات جمعها النبي محمد (ص) من الديانة اليهودية، ولعل العرض الذي تلقته الدكتورة آمال ربيع من إسرائيل بشراء دراستها حول إسرائيليات الطبري لنشرها في العالم... يوضح مقصدنا، تقول الدكتورة ربيع " بعد انتشار أنباء الدراسة في الأوساط الأكاديمية العربية والدولية وجدت اهتماما إسرائيلياً متزايدا بها وفوجئت ذات ليلة بعد منتصف الليل بمن يطلبني هاتفيا من إسرائيل ويطلب مني شراء الدراسة بأي ثمن لطباعتها لجميع لغات العالم. ورغم رفضي للمبدأ إلا أنه واصل زيادة المبلغ المعروض ثمنا للدراسة ، حتى وصل إلى ما يزيد على نصف مليون شيكل (حوالي مليون جنيه مصري)، ولكي أتخلص من إلحاحه، أخبرته أن الأزهر هو الذي كلفني بإعداد هذه الدراسة، وأنني سلمتها لإدارته لطباعتها ونشرها"[3].

٩- آثار الإسرائيليات

إن وجود الروايات الإسرائيلية في كتب المسلمين قد ترك أثرًا سيئاً على عقائد المسلمين، وأضحت الكثير من الخرافات التوراتية التي تتعارض مع العقل والعلم تتناقل

---

[1] - أمال ربيع، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢.

[2] - أنور الجندي، **المخططات التلمودية**، ص ١٠٩، ١٢٠(بتصرف).

[3] - أمال ربيع، **جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين، ٢١ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٨ مارس ١٩٩٩.

علـى ألسـنة المسـلمين ومـن دون وعـي، لاعتقـادهم بأنهـا متلقـاة عـن الـنبي (ص)... لتؤسـس ثقافـة مهيمنـة علـى وعـي أبنـاء الأمـة مـن جانـب، وتفـتح النـار مـن المفكـرين المسلمين الجدد على المؤرخين والمفسرين القدامى من جانب آخر.

لقد تركت آثارًا سلبية واضحة على موضع الإسـلام في عقـول النـاس مـن مختلـف الـديانات، وفتحـت هـذه الروايـات البـاب علـى مصـراعيه لينفـذ منـه المسـتعمرون والحاقدون للطعن في عقيدة التوحيد وفي شخص النبي محمد (ص)، لغلق البـاب ما استطاعوا أمام من أراد معرفة حقيقة الرسالة المحمدية الخاتمة.

ومـن المآسـي الـتي سـببتها هـذه الروايات المنسـوبة كذبا للنبي محمـد (ص)، أنهـا أغلقت الباب أمام الباحثين والعلماء للولوج إلى عمق القرآن واستخراج كنوزه المضيعة، ومـا بحثنـا في "الخلـق الأول ... كمـا بـدأكم تعـودون" وبحثنـا في "وعصـى آدم... الحقيقة... دون قناع"، إلا شاهداً على ما نقول، إذ أن وجود هذه الروايات الإسرائيلية والتي تتكلم عن خلق آدم وحواء على سبيل المثال، قد سدّ الباب علـى العلمـاء المسـلمين لبحث أدق الحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم، والتي كان يمكن - لو تم بحثها - أن تكون مفخرة لأمتنا أمام العالم.

هل كانت هناك محاولات لتنقية كتب الحديث منها؟ نسمع دعواتٍ بين حين وآخر تنادي بتنقية التراث من الإسرائيليات، منهـا الـدعوة الـتي وجهتهـا نـدوة دور الجامعـات السـعودية في تحقيـق الـتراث[1] "والـتي أقيمـت في إطـار الاحتفاليـة الثقافيـة السـعودية بمعـرض القـاهرة الـدولي للكتـاب وأفصـحت عـن وجـود نحـو ألـف رسـالة ماجسـتير ودكتوراه في حقل تحقيق التراث، كما دعت الندوة إلى استمرار الجهود المخلصة لتنقيـة الـتراث مـن الإسـرائيليات". إلا أن الخشـية أن يكـون مصـير هـذه الـدعوات والصـرخات كمصـير القـرارات العربيـة الأخـرى، ففـي تحقيـق للأسـتاذ محمـد عبـد الخـالق حـول الجهود المبذولة لتنقية التراث، يقول " في منتصف الستينيات كلف الشيخ عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسـلامية الـدكتور محمد أبو شـهبة أسـتاذ علـوم

[1] - دوائـر وهيئـات صـهيونية تحـرض مثقفـي العـالم علـى مقاطعـة مركـز زايـد، **جريـدة الـوطن السعودية**، ٣سبتمبر ٢٠٠٢م.

القرآن والحديث في جامعة الأزهر بتأليف كتاب حول الإسرائيليات في كتب التفاسير القرآنية والأحاديث النبوية!! وفي الأول من مارس عام١٩٧١ انتهى العالم المرحوم أبو شهبة من أول كتاب إسلامي يتعرض للروايات الإسرائيلية المدسوسة علي الإسلام منذ نحو أربعة عشر قرنا من الزمان فكان كمن ألقى حجرًا في المياه الراكدة! كان الكتاب هو بمثابة خطوة أولي لتنقية التفاسير القديمة وكتب الحديث ولكن الشيخ عبد الرحمن بيصار تراجع عن استكمال ما بدأه الإمام عبد الحليم محمود. حاول علماء آخرون مع الشيخ جاد الحق لكنه رأى الأمر مكلفًا للغاية، حاول مرة أخري ولم يجد من ينفق على جمع وإعادة طبع كل ذلك التراث الهائل بعد تنقيته. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية شكلّ لجنة لإعادة فحص التفاسير القديمة وتقرر أن تكون البداية بتفسير الإمام النسفي ثم توقف عمل اللجنة.

ويقول الأستاذ عبد الخالق في جانب آخر أن فكرة تنقية التفاسير القديمة من الإسرائيليات طرحت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قبل عامين كما يقول الدكتور محمد المختار المهدي أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر وعضو لجنة القرآن وعلومه في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقرر العلماء البدء بتفسير الإمام النسفي كبداية، ووزعت السور القرآنية والأجزاء منه على الأعضاء وفجأة نسي هذا الموضوع أو(تنوسي) ولا ندري ما السبب في هذا التناسي مع أن الموضوع من أهم الموضوعات التي تناط بلجنة خاصة بالقرآن وعلومه في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي هو مؤهل بإمكانياته وأعضائه ولجانه التخصصية لهذا الأمر. وأنا أرى- والكلام مازال للدكتور المهدي - أن مجمع البحوث الإسلامية باعتباره جهة عالمية كان من المفترض أن يقوم بهذا العمل، وأن يتم تشكيل لجنة خاصة لتحقيق هذا الغرض النبيل، وكان الأولى بالأزهر أن يكون هو المختص بتنقية التراث الإسلامي خاصة كتب التفسير من الإسرائيليات التي أفسدت عقول الأمة الإسلامية"[١].

---

(١) - محمد عبد الخالق، "هل نلقي بالطبري في البحر أم يستمر صمت الأزهر والعلماء؟!" تحقيق، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢ العدد ٢٩٧ السنة ١٢٣.

هل هناك مقاومة للتصحيح؟ هل يقابل كل علمائنا المسلمين دعوات التصحيح وتنقية التراث من الإسرائيليات بقبول حسن؟، نجد أن هناك رأياً مخالفاً بالرغم من إقرار أصحاب هذا الرأي بوجود هذه الروايات، سنستعرض هنا نموذجين لنضع القارئ أمام مختلف الآراء التي طرحت حول هذه المسألة المصيرية.

١- النموذج الأول يتبين فيه الحرج الواقع عند بعض الكتاب، نتيجة حساسية هذا الأمر ومسّه للصحابة والتابعين، بالرغم من أن هؤلاء الكتاب يدعون في الوقت نفسه إلى إعادة النظر فيما يتعلق بمنهج السلف في روايتهم للإسرائيليات، ويقول مساعد الطيار: "والذي يجب التنبّه له أن الحديث عن الإسرائيليات يَطَال سلف الأمة من المفسرين: صحابةً، وتابعين، ولقد كان هؤلاء أعلم الناس بالتفسير، وأعظم الذائدين عن الدين كل تحريف وبطلان. لقد تجوّز سلف هذه الأمة في رواية الإسرائيليات، أفلم يكونوا يعرفون حكم روايتها ومنزلتها في التفسير؟. ألم يكونوا يميّزون هذه الإسرائيليات التي استطاع المتأخرون تمييزها؟!، وإذا كان ذلك كذلك؟ فما الضرر من روايتها؟"[١]

٢- النموذج الثاني، فننقله للقارئ نصاً من حديث للشيخ محمد تقي القمي: "لا أدري بالضبط، هل هي فكرة الأخ بالجديد تشق طريقها إلى علم الحديث، أم يد النقد والتحليل الذي يتشدق به الأدباء المستغربون أو الغربيون المستشرقون، تمتد إلى عيون كتب الحديث التي بقيت سليمة طوال القرون الماضية، لا يمسها الكتّاب والأدباء التحليليون. ولا أحسب القارئ يطالبني بمزيد من الإيضاح حول الموضوع وصيحات النقاد تصك سمعه بمناسبة وبغير مناسبة- ومن ورائها مصالح بعض الكتاب أو الناشرين- ينادون بتصفية الكتب التي سموها من قبل بالصحاح، بدعوى تصفيتها من الإسرائيليات وإسقاط ما لا يقبله العقل، واستبعاد ما يتنافى ودعوة التوحيد. فكاتب يأخذ على الأحاديث أن فيها ما يخالف قواعد الصحة، وثان يزعم أن الإكثار من أكل ما حثت الأحاديث على

---

[١] - مساعد بن سليمان الطيار، **تفسير الصحابة للقرآن** - الحلقة الثانية www.quranway.net.

تناوله يسبب مرض كذا، وثالث يجزم أن ما ورد في الصحاح لا يوافق ما وصل إليه العلم الحديث، ورابع بحسب نفسه تخلص من الأرض والأرضيات، فيحلق في أقطار السموات ويؤكد أن ما جاء في الأحاديث لا يتفق وما ثبت في علم الفلك والنجوم، وربما يتجاوز الأمر هذه الحدود، فيدعي كاتب دعاوى مضحكة لا وجود لها في صحيح من كتب الحديث، ولا تدل إلا على قوة في الاختلاق وإغراق في الخيال السقيم. لا يحسب القارئ أني أريد الدفاع عما بين أيدينا من كتب الحديث، وما اختلفنا أو اتفقنا في تسميته صحاحًا، وأزعم أنها خلو من الإسرائيليات أو مما يخالف الحق، أو أجزم بأن كل مال في الصحاح صحيح - أخذًا بكلمة صحيح فلان كلا، بل يحتمل - في رأيي - أن كثيراً من الدوافع لعبت دورها في خلق ما ليس بواقع، وأن جبروت الحكم والسلطان جعل الرواة لا يظهرون كل ما عندهم، وأن بعض ذوى الأهواء قالوا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقله- ومن ينكر ما للطغاة وحكام السوء من أثر على تراث له القداسة بعد القرآن؟ لست أنكر أن هناك دسًا وخلفًا، ولكني مع ذلك أعارض أشد المعارضة في أن نمس كتب الحديث، ونستبيح لأنفسنا حق التصرف فيما نراه - نحن - من دس الدساسين كان لدى القدماء مقاييس وموازين للحكم على الأحاديث، استعملوها فيما سجلوه لنا. وربما كانوا على شيء من حسن الظن ببعض الرواة لمكانتهم وحسن القبول عنهم لما خفي من أحوالهم، وكيفما كان الأمر، فمما لا شك فيه أن الذين جمعوا هذا التراث الضخم، وكانوا أقرب منا إلى زمن مصدر الأحاديث، وأعرف منا برجاله، قد بذلوا غاية جهدهم وأرهقوا أنفسهم في التحري، والتزموا الأمانة والدقة. ولا اعتراض عليهم، وإنما الكلام ينصب على أن ما جمعوه فيه إسرائيليات وفيه ما ينافي الدعوة والعقل أو العلم الحديث. وهذه نقطة استميح القارئ أن أقف عندها لأقول: إن هذا التراث تراث إسلامي خالد وملك للمسلمين عامة، لا لطائفة دون طائفة، وإنه - بما له وعليه- مصدر كثير من الحركات الفكرية، وحجة للآراء المذهبية، ومبعث للعقائد الكلامية، وما ليس ملكًا لفرد لا يتصرف فيه فرد، ثم إن الأفكار تتغير بتغير الزمن، بل تختلف في زمن واحد حول موضوع واحد، ربما يظن من البديهيات، فإذا أردنا أن نعالج

النقص بحذف ما نراه ـ نحن ـ أنه من الإسرائيليات، ورأى غيرنا أنه من صميم الإسلام أو العكس، فأينا يكون على الحق؟ وما هو المقياس الصحيح؟. إن الذين أوصلوا إلينا هذا التراث بذلوا غاية جهدهم في تسجيله وتحقيقه وتصحيحه، فلا يجوز أن نقطع بتخطئتهم، فإن ما يخالف عقولنا اليوم كان يوافق عقلية أبناء العصور السابقة، ومن واجبنا أن نحمل هذا التراث إلى من بعدنا، وقد يصل رجل الغد في أمره إلى ما لم نصل إليه - ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. أما مسألة معالجة ما ينافي التوحيد: فإن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام بفضل دعوته الصريحة لا شك أنهم موحدون وليسوا بمشركين. والقرآن الكريم الذي هو عصب الدعوة الإسلامية، والذي لا يختلف اثنان في قداسته والأخذ به، والذي هو نسخة موحدة لا تختلف في حرف ولا رسم في العالم الإسلامي كله، هذا القرآن وحده كفيل بتربية الموحد، ومن يجرؤ أن ينكر هذا؟ ومع ذلك هناك مسائل تراها طائفة أنها شرك كالتوسل بأصحاب القبور أو الشفاعة مثلا، فهل نعالج هذه المسائل على أساس التوحيد الخاص بتلك الطائفة؟ أو نعالجها بما يتفق ورأي كثير من المسلمين الذين لا يرون فيها ما يمس فكرة التوحيد؟ وهناك مسائل كلامية ليست وليدة اليوم، وإنما ورثناها عن أقطاب الفكر والبحث وغواصي المعرفة في كل طائفة ممن كونوا لنا مدارس فكرية نعتز بها إلى اليوم. فعلى أي أساس نعالج هذه المسائل وماذا يكون المقياس؟ "[١].

نلاحظ أن هناك بعض الآراء تصرخ وتنادي بأعلى صوتها في دعوتها بتنقية التفاسير، وآراء أخرى ترفض مس الروايات بالرغم من إقرارها بوجود الدسّ التوراتي، وببطلان الكثير من هذه الروايات، وأنها مدسوسة على المسلمين، بحجة أن السلف قد تجّوز في روايتها عند البعض، والخوف من الأدباء التحليليين ومن دُور النشر عند البعض الآخر.

---

[١] - محمد تقي القمي "محنة التراث الخالد على أيدي أهل الجديد"، **مجلة رسالة الإسلام**، العدد ١٦.

١٠- الرخصة الشرعية

أشرنا سابقًا، وللتذكير على أن هناك إجماعاً لدي المفسرين على وقوع التحريف في التوراة، وإن اختلفوا في حجم التحريف، والتوراة المحرفة هذه، هي مصدر الإسرائيليات. لقد أستند المفسرون المسلمون على رخصة شرعية وردت كما نُقل في روايات نسبت للنبي محمد (ص)، من قبيل (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج). ظاهر الرواية يشير إلى أن المسلمين قد ترخّصوا في النقل عن اليهود بقول الرسول (ص) "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، هذه الرخصة تثير عدداً من الملاحظات، نوجزها في ما يلي:

١- لم تُشر الرواية إلى اليهود، بل قالت حدثوا عن بني إسرائيل، واليهود شيء وبنو إسرائيل شيء آخر. والخلط بين الفئتين إما تزوير أو اشتباه كما أوضحنا ذلك سابقاً[١].

٢- إن كانت الرخصة هي في الحديث (حدثوا) عن قصص بني إسرائيل، فهو لم يجوز نقل هذه القصص من التوراة المزورة والتي هي مصدر الإسرائيليات (كما يتضح من الدراسات التي قام بها عدد من الباحثين، كالدكتورة آمال ربيع في دراستها حول إسرائيليات الطبري).

٣- القرآن الكريم قد أوضح بجلاء أن اليهود قد حرفوا التوراة، فكيف يمكن أن يرّخص خير البشرية الصادق الأمين ويناقض القرآن؟ فيقول للمسلمين حيناً أنها محرفة، ثم يطلب منهم لاحقاً النقل منها (التوراة)، بل لابد وأن تكون أحاديثه (ص) امتدادًا للقرآن الكريم.

إن هذا الخلط قد ألحق بالأمة أشد الأضرار، واستخدم اليهود في عصرنا الحاضر هذا الخلط أبشع استخدام من خلال إلصاق تاريخهم ونسبهم زوراً بالأنبياء عليهم السلام.

أما الحديث المروي عن أبي هريرة والذي أشرنا إليه سابقا في قوله " كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإِسلام، فقال رسول الله

---

[١] - راجع بحث: **اليهود وتوراة الكهنة**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

(ص): "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: (**آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**) ". فملاحظاتنا حولها تتلخص في:

١- أنها لم تُجوّز النقل، بل قالت "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، ولم يقل انقلوا عنهم وانسبوه لي.

٢- قول أبو هريرة "كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية"، يجعل صدقية الرواية برمتها محل تساؤل، بعد أن علمنا في الفصل السابق أنه لم تكن هناك لغة قديمة غير العربية السريانية أو ما أطلق عليه المستشرقون الآرامية وما اللغة العبرية الحديثة إلا لغة تم اختلاقها على يد اليعازر في بدايات القرن العشرين، والتوراة قد كتبت بالآرامية[١]، وقد فصلنا أدلتنا حول هذه المسألة في الفصل الثاني.

لقد حسم النبي محمد (ص) قضية مساءلةَ أهل الكتاب من عدمه في رواية جابر بن عبد الله " والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى (ع) كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "، لا ندري لماذا لم تنسف هذه الرواية وهي التي تمثل امتداداً لتعاليم القرآن الكريم وتتماشى مع ما أرسله كتاب الله من تحذيرات حول اليهود وأفعالهم، الروايات (الرخص) الأخرى التي أستند عليها الكتّاب في تبرير الروايات الإسرائيلية.

لقد تسببت دخول هذه الروايات في تفاسير القرآن الكريم وكتب الحديث بردة فعل عنيفة من قبل الكثير من المفكرين المعاصرين، ولا يُمكن إلقاء اللوم عليهم نظراً لما عاينه هؤلاء من أثر مدّمر لهذه الروايات على حاضر ومستقبل أمتنا. فالمفكرون المعاصرون الذين وجدوا أنفسهم مضطرين لردّ هذه الروايات عند تمحيصها، لتعارضها وتضاربها مع بديهيات إسلامية أخرى، لم يجدوا مخرجاً، إلا بكيل التهم بالسطحية أو السذاجة أو غيرها من التهم القاسية للمفسرين القدماء. إلا أن المنحى الذي أخذه هؤلاء المفكرون في تمحيص التاريخ كان معتمداً على صحة ما نُقل عن

[١] - راجع الفصل الثاني دولة إسرائيل، عن اختلاق اللغة العبرية.

الأولين، لم يضع هؤلاء المفكرون في الحسبان إمكانية وصول التزوير للمخطوطات الأصلية، فنرى محمد عابد الجابري يوافق ابن خلدون الرأي في أن "العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وأنهم إذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتوق إليه النفوس البشرية لجأوا لأهل الكتاب"، ولعل حديثنا في الفصل الأول من هذا الكتاب حول تزوير مخطوطات الأندلس يوضح مقصدنا، فها هو محمد عابد الجابري يكرر المقولة المنسوبة زوراً لابن خلدون حول العرب، والتي بينّا أن رأيه (ابن خلدون) قد تعرض للتزوير في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ الأمة.

ومن نفس الزاوية الذي انطلق منها محمد عابد الجابري، نرى اتهامات أخرى قد طالت المؤرخين العرب القدامى، فنرى بعض الإخوة الفلسطينيين ونظرا لمعاناتهم الشديدة من أثر هذه الروايات على حاضرهم ومستقبلهم، قاموا بتوجيه تهم مماثلة من قبيل أن الطبري كانت تستهويه الحبكة الكاملة فلجأ إلى اليهود لأخذ الرواية منهم. ونرى تحليلات أخرى تتهم هؤلاء المؤرخين باللين والضعف والنقل عن أهل الكتاب، وهكذا يستمر رجم المفكرين العرب والأوائل.

إننا نتفق مع الأمثلة السابقة في وجوب الرفض الكامل لبقاء هذه الروايات المخجلة ملتصقة بتراث أمتنا العظيم، إلا أننا نتفق مع الآراء الأخرى التي تقول بأن هذه الروايات قد تم دسّها في الحوامل الرئيسية بمخطط للكيد بالإسلام وأهله، ونرفض اتهام الأوائل بالمسؤولية عن هذا الكيد من دون توفّر الدليل على ذلك، فتراث الأمة قد تعرض لعملية تدمير مبرمج على يد أعدائه منذ أن بدأ التراجع الحضاري من بعد البعثة المحمدية.

١١- مناقشة الرافضين لتنقية كتب الحديث والتفاسير من الإسرائيليات

الروايات الإسرائيلية موجودة في متون الكتب الإسلامية المعتبرة وتفاسير القرآن الكريم، وهذه الكتب والتفاسير قد وزعت على نطاق واسع وفي جميع أرجاء المعمورة، فمنها المطبوع ومنها الرقمي، بل الكثير منها موجود في قواعد بيانات مثبتة على شبكة الانترنت، ويمكن لأي متصفح الرجوع لها متى شاء. التفريق بين الرواية

الإسرائيلية وغيرها يُعد ضربا من المستحيلات على الإنسان المسلم غير المتفَقّه في الدين والتاريخ، وهذه الشريحة تمثل السواد الأعظم من أبناء الأمة. الرواية الإسرائيلية مرفوعة إما مباشرة أو ضمناً إلى النبي محمد (ص)، أو لأحد الأئمة أو الصحابة أو التابعين، مما يعطيها القدسية تلقائيا وبشكل فوري بمجرد وقوع عين القارئ المسلم عليها. الباحث إذا ما أحتاج لمعرفة أمر ما أو كتابة بحث أو موضوع يخص نبياً من الأنبياء عليهم السلام، ومواطنهم ودعواتهم والأقوام المعاصرين لهم، ولغرض أكاديمي أو غيره، فكتب الأحاديث تكون له في العادة المرجع الأول.

إن مسؤولية حفظ كرامة المفسرين القدماء، والصحابة والتابعين، الذين نُسبت لهم هذه الروايات، لا يكون بالإصرار على إبقاء الأحاديث المشبوهة في أمهات كتب المسلمين من دون تنبيه المسلمين لها، بحجة المحافظة على إرث الماضين. لن تصان كرامة الصحابة والتابعين، إذا تسببت رواياتهم في تراجع وتفتت الأمة وجعل دينها الخاتم أضحوكة الأمم، ومحط استهزاء واستغلال من الحاقدين الطامعين. بل تُصان هذه الكرامة بتنقية تاريخ هؤلاء العلماء من خلال التحقيق في ما نُسب إليهم زورا. إن إجهاض أية مبادرة لتصفية وتنقية كتب التفسير والتاريخ لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال دفاعاً عن بيضة الإسلام، كما قد يتوهم البعض، بل هي مشاركة للعدو في كسر شوكة الإسلام... حتى لو خلُصت النوايا.

إن المبادرة بتنقية تفاسير القرآن الكريم من الإسرائيليات يجب أن تقابل بتعاون كامل من فقهاء المسلمين. وبغضّ النظر عن إمكانية دخول المصالح الدنيوية في أهداف الدعاة لتنقية التراث[١]، إذ لا يمكن القبول بأن تكون هذه الشكوك حجر عثرة على طريق هذا العمل الجليل؟. أو القبول برفض التصحيح بحجة أن الروايات كانت "مصدر كثير من الحركات الفكرية، وحجة للآراء المذهبية"[٢]، إذ يمكن لهذه الفرضية

[١] – الأمر الذي كان يحذر منه الشيخ القمي أعلاه، من أن مصالح دور النشر مثلاً، قد تكون دافعاً لهذا المطالب، فليس هناك من ضامن لإخلاص كل الدعوات.

[٢] – محمد تقي القمي "محنة التراث الخالد على أيدي أهل الجديد"، **مجلة رسالة الإسلام**، العدد ١٦.

أن تتزلزل لو بدأ تنقيح التراث، حيث أنها فرضية نابعة من طبيعة الأرضية المعرفية التي يقف عليها القائل، والتي يمكن أن تشمل الروايات الإسرائيلية أو المختلقة. فالحركات الفكرية والآراء المذهبية، تشكلت في جانب منها استناداً إلى التاريخ والتفاسير، قد تنقلب هذه الفرضية وغيرها بمجرد بدء عملية التصفية. إننا ندرك إن هذا العمل شائك وخطير، وبالإمكان توظيفه في اللعب بالتراث مرة أخرى والحذف منه بلا هوادة، إلا أننا في الوقت نفسه نعتقد أن بإمكان مفكرينا اقتراح آلية نزيهة تحفظ الموجود لكنّها توفّر للقارئ وعياً به، ليعرف ما يأخذ وما يدع.

١٢- مناقشة مصير المحاولات الفاشلة لتنقية الكتب من الإسرائيليات

كانت هناك محاولات سابقة لتنقية كتب الأحاديث من الروايات الإسرائيلية. أولى هذه المحاولات، ما ذكره الأستاذ محمد عبد الخالق في تحقيقه حول هذه المسألة، محاولة الدكتور محمد أبو شهبة عام ١٩٧١، إلا أن العملية برمتها قد أُقبِرت، ونرى أن من واجب الباحثين التحقيق فيها لاستجلاء الحقيقة، وحتى لا ينادي منادٍ مرة أخرى يطالب بإلقاء واحدٍ من أهم الكتب الإسلامية المعتبرة كتفسير الطبري في البحر، كما فعل محمد عبد الخالق، أو يتهم المؤرخين والمفسرين القدامى بالجهل والانبهار، والجري وراء أهل الكتاب (كلما تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتوق إليه النفوس البشرية). وكلما برزت محاولة لإجراء هذا التصحيح الحيوي لتراثنا تنتهي المحاولة من حيث بدأت، وبكل أسف نسمع أن من معوقات هذه الحركة التصحيحية هو شحة المال، الأمة الغنية مادياً وثقافياً وحضارياً تفتقر إلى رأس المال اللازم لإرجاع هيبتها، وتصحيح ما تراكم من تزوير وتحريف لتاريخها.

١٣- ما العمل؟

لقد بينّت وأكّدت النماذج التي أوردناها لبعض الروايات، والتي تطرقت للأنبياء عليهم السلام، بينت توجّه اليهود في الحط من شأن الأنبياء (ع)، ولم نعثر على مسّوغ واحد يبرر وجود هذه الروايات في كتبنا المعتبرة، الأمر الذي أجبر لاحقاً الكثير من المفسرين إيجاد تفسير رمزي لها، أو محاولة الالتفاف لتبرئة الأنبياء من تلك التهم

العظام. فرسالة محمد (ص) هي رسالة أخلاق، ولا يمكن لعاقل القبول بجدوى وجود روايات لا أخلاقية في مروياتها، فكيف بها وهي تحطّ من شأن الأنبياء (ع). أن دسّ هذه الروايات في تفاسير المسلمين لا يمكن أن يكون لها إلا هدف واحد، هو تسويغ الأهواء وتشريعها.

إنّ استمرار وجود هذه الروايات في تفاسير القرآن الكريم له الأثر البالغ السوء على العديد من المحاور الهامة المصيرية لأمتنا، فقد استغلت الصهيونية العالمية هذا الكم الهائل من الروايات، والتي تحكي قصص الأنبياء (ع)، وبالتحديد ما يُروَج ضمناً لعلاقتهم بفلسطين، أو دخولهم مصر وادي النيل، لتثبيت حقٍ لليهود ليس له وجود في فلسطين. أضف إلى ذلك خطر الترويج لمفهوم أخذ الإسلام من روايات توراتية، وهي أن أدبيات الإسلام لم تكن إلا تجميع لروايات توراتية، وأن النبي محمداً (ص) لم يأت بدين جديد، بل كان سارقاً لتاريخ اليهود المجيد. ولعل المقتبس التالي من ابن كثير يوضح مقصدنا " ... ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة، قصة قوم لوط عليه السلام، وما حل بهم من النقمة وذلك أن لوطا بن هاران بن تارح وهو آزر كما تقدم ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل فإبراهيم وهاران وناحور إخوة كما قدمنا ويقال إن هاران هذا هو الذي بنى حران وهذا ضعيف لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب. والله أعلم."[١].

كما نلاحظ في المقتبس التالي في تفسير"**الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**" وفي الحديث حول هجرة إبراهيم عليه السلام " حدثني يونس قال أخبرنا بن وهب قال قال بن زيد في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين قال إلى الشام وقال آخرون بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى:"التي باركنا فيها للعالمين" ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن بن عباس قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني مكة ونزول إسماعيل البيت ألا ترى انه يقول إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. قال أبو جعفر وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا

[١] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١، ص ٢٠٢.

خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته وإن كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يقم بها ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"[1].

وهنا نرى كيف توصف الشام على أنها هي المباركة للعالمين " وقال الجبائي: أراد أرض الشام. وإنما قال للعالمين لما فيها من كثرة الأشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. وإنما جعلها مباركة، لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها ، فلذلك كانت مباركة. وقيل: لما فيها من كثرة الأشجار والثمار.."[2]

نرى نموذجاً في تفسير هذه الآية في القرطبي، حيث يقول "**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ** " أَيْ اتَّخِذَا " **لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا** " وَمِصْر فِي هَذِهِ الْآيَة هِيَ الْإِسْكَنْدَرِيَّة؛ فِي قَوْل مُجَاهِد. وَقَالَ الضَّحَّاك: إِنَّهُ الْبَلَد الْمُسَمَّى مِصْر، وَمِصْر مَا بَيْن الْبَحْر إِلَى أُسْوَان، وَالْإِسْكَنْدَرِيَّة مِنْ أَرْض مِصْر"[3].

تقسيم الروايات الإسرائيلية إلى أقسام، منها ما يجزم بصحته ومنها ما يجزم بكذبه ومنها المسكوت عنه، إنما يُعد مزلقاً خفياً يستدرج من خلاله المفسر للأخذ بهذه الروايات، فالواجب ردها جميعاً ما لم نجزم بصحة نسبتها إلى النبي محمد (ص)، وذلك غير متيسر إلا باتباع منهج علمي صارم يشارك فيه جميع علماء الأمة ومن كافة التخصصات (لغة- تاريخ- آثار-جيولوجيا- فلَك - فقه — فيزياء - كيمياء — طب وغيره من العلوم)، إذ أن تشخيص هذه الروايات ومعرفة تحت أي قسم تندرج أمرٌ ستتحكم به على الدوام الأرضية المعرفية للمفسر.

---

[1] - ابن كثير، **التفسير**، ج٣، ص١٨٦ ؛ الطبري، **التفسير**، ج١٧ ، ص٤٧ .

[2] - الطوسي، **التبيان**، ج ٧، ص ٢٦٣ .

[1] http://quran.alislam.com//Tafseer/DispTafsser.asp?l=arb&taf=KORTOBY&nType=1&nSora=10& nAya=87

معضلة كبيرة قد شابت عملية نقل الروايات بصورة رئيسية، وهي الاكتفاء بدراسة أسانيد الروايات وعدم الاهتمام بالمتون عند التحقيق في الأحاديث، مما ساهم في تسلل هذه الروايات بالرغم من تعارض الكثير منها مع أصول العقيدة الإسلامية، وأثرها الهدّام في بنية الفكر الإسلامي. أضف إلى ذلك التحليل السطحي لأثر هذه الروايات على الفكر الإسلامي، يتضح ذلك فيما يقوله البعض من أنها أخبار لا تبنى عليها أحكام عملية، وانه لم يرد من السلف أنهم اعتمدوا حكما شرعيا مأخوذا منها. هذه السطحية في النظر لهذا الأمر الخطير إنما يُعد مشاركة لعملية هدم تستهدف أركان العقيدة الإسلامية، فالقائل بها يرى واقعه هو، وكأن هذه الروايات قد جاءته حصرًا، وعليه فلن تبنى عليها أحكام عملية. أما تثبيت حقيقة قصص الأنبياء وتحركهم الجغرافي المدسوس في تفاسيرنا، والتي وطأت لتأصيل حقيقة أن فلسطين كانت أرضاً لليهود، فهو يعدُها أخباراً لا تبنى عليها حقائق عملية، ولا نعرف أن كان اغتصاب فلسطين بسند الحق التاريخي قد عُدّ في نظر هؤلاء البعض، أخبارًا لا تبنى عليها حقائق عملية.

إن الأخذ بتوصيات الباحثين كالأستاذ أحمد نجيب بن عبد الله صالح والدكتورة آمال ربيع وآخرين يُعد أمراً مهما وضرورياً، فهؤلاء الباحثين قد اطّلعوا على تفاصيل هذه القضية وآثارها على ثقافة أبناء الأمة، وأرسلوا تحذيراتهم، بعد أن قاموا بمطابقة النص بالنص مع التوراة المزورة، فمن السذاجة بمكان أن لا يعتّد بتوصياتهم، وتعامل دراساتهم كترف فكري. وأنه لمن المؤسف أن تبقى في كتبنا روايات مخجلة في حق الأنبياء عليهم السلام ولا يهتز لها مثقفو الأمة وعلماؤها، بل ويقوم بعض المفسرين بمحاولاتٍ لتبريرها، فلقد تم قذف الأنبياء عليهم السلام في الكثير من هذه الروايات بنعوت وأوصاف مخجلة.

لقد أضحت هذه الروايات من الثوابت الثقافية للمسلمين، وهي تستخدم الآن بكل جدارة لضرب الإسلام في مقتل، ولا يستطيع المسلم ردها ما دامت كتب الحديث تزخر بها، والتشبث بها بحجة احترام السلف إنما يُعد رأياً ساذجاً تتحمل الأمة جمعاء تبعاته في كل يوم يمر وكتبنا ملوثة بهذه الروايات الباطلة، ولعل القصة التي أوردتها

الدكتورة ربيع عن رغبة اليهود في شراء دراستها تبين المدى الذي يمكن أن يصل إليه مزورو التاريخ.

ختام الفصل

إن المخرَج من هذه المحنة لا يكون بغلق الأبواب في وجه المبادرين للتصحيح. إذ لا يمكن لنا القبول برؤية تحرك علماء يهود معاصرين، يكشفون باتباعهم المنهج العلمي زيف القصص التوراتية، وزيف إسقاطاتها على أرض فلسطين[١]، ويبقى علماء الأمّة، المُدَمر تاريخها ... في صمت مطبق... إنها الحقيقة المؤلمة، التي يجب أن تحفز أبناء الأمة الغيورين لاستجلاء الحقيقة وبثها في العالم أجمع، غير مستبعدين إطلاقا، أن تكون تفاسيرنا هي نفسها قد تعرضت للتزوير والتحريف على يد المغرضين، حالها كحال "مقدمة ابن خلدون" وتزويرها، والتي أشرنا إليها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

---

[١]- راجع الفصل الثاني دولة إسرائيل حول المؤرخين الجدد في اسرائيل هرتسوغ.

الخاتمة

بدأنا بحثنا عن الصورة النمطية التي تم غرسها في أذهان الشعوب الغربية عن أمتنا، والتي تم بثها عبر المنافذ التعليمية وفق منهج سيطرت عليه الأطماع الاستعمارية، ووجهته لمصالحها، كان الصد عن سبيل الله أحد أبرز نتائجها، بعد حصار الأمة المُعلِمة، والتي كانت على الدوام منهلاً للأمم. أُقحم الدين والتاريخ للسيطرة على عقول الناس، ومن أجل إعمار دنيا المزورين، أُدخل الأنبياء عليهم السلام في أتون معركة كانوا من أشد المحذرين منها، ذلك عندما انسلخ الإنسان عن فطرته النقية، التي فُطر الناس عليها. أقيمت اليوم حضارة تسيطر على العالم ومقدرات بني آدم وعلى رفات من مدّ يد العون لها يوماً، ومن دون منّة، إلا تلبيةً لنداء خير البرية بحب العمل للناس، وبالبر لعباد الله أينما كانوا.

الأثر الموجي لهذه الصورة لا زال يهز كيان أمتنا، وسيبقى ما دامت الأمة في سباتها، وسيخرج جيل من أبنائنا وأحفادنا يوجه اللعن تلو اللعن... للآباء، إن لم يتحرك هؤلاء الآباء اليوم، وقبل أن يُحرق ما بقي من شذرات تثبت حقيقة تاريخنا والتزوير الذي تعرض له، بل والعبث بأعز ما نحيا به، ألا وهو عقائدنا ومقدساتنا. لقد خلع الغرب على العرب لبوسه، وتنكر لمن علّمه وأدّبه، على مرأىً ومسمع من كتابنا ومثقفينا، أضحى من تعلّم ونهض بالعلوم الربانية، والتي كان أجدادنا رسلاً حملوها لسعادة البشرية ورفعتها، يوجه السهام الواحد تلو الآخر، ونحن مشغولون ببعضنا البعض، لا تهتز لنا قصبة، لم نلحظ ردّ فعل يبرئ مثقفينا العرب أمام الأجيال القادمة.

المسلّمات التي تُعشعش في عقول الشعوب الغربية عن أمتنا، مهولة مضحكة ومبكية، إلا أن المدهش هو أنها لم تستثر أية مؤسسة عربية أو إسلامية للقيام بمبادرة ما، للتحذير والتنبيه من خطورتها على واقعنا ومستقبلنا، وكل المبادرات الرسمية العربية في هذا الإطار كانت تحطّ على الدوام حيثما حطّت كل القرارات الرسمية العربية الأخرى، في محطة الصمت والنسيان، في تجاهل عجيب وغير مبرر، تذكرنا بتحذير النبي محمد (ص) " يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن، قال حبّ الدنيا وكراهية الموت"[(1)].

لقد أضحى منهج البحث العلمي والذي تعلمه الغرب من العرب هو الأداة التي تستخدم في عصرنا الحاضر في الغرب لاكتشاف نقاط القوة والضعف في الأمة لإكمال الهيمنة والسيطرة، عوضاً عن الاستفادة منه لإصلاح حال العلاقة بينه وبين العرب. فمن خلال منهج البحث العلمي تمت الاكتشافات العلمية الأخرى التي نهضت بها أوروبا، ومن خلال منهج البحث العلمي والعلوم العربية الأخرى توالت الاكتشافات والتجارب والبناء المعرفي التراكمي في كافة العلوم من طب وكيمياء وفيزياء وأحياء وغيرها من العلوم التي تدخل في صلب الحاجات البشرية، بل وحتى الصناعات التي تم توجيهها لتخدم أطماع الأنظمة المستبدة من أسلحة وأدوات فتك.

من خلال منهج البحث العلمي الموجه سياسياً يتم توجيه الصورة عن الأمة وموضعها في ذهن الإنسان الغربي، فهو علم وكباقي العلوم يُمكن توجيهه لخدمة هذا الطرف أو ذاك، فالهيمنة على العقل وتوجيهه – وإن اختلفت مسمياتها المعاصرة- أصبحت من العلوم الرئيسية التي تدرس في الجامعات الغربية بعد أن استطاعت ولحقب طويلة من التحكم في مسيرة مجتمعات بأكملها.

لقد جزأ النظام الغربي الاستعماري علوم الأمة بعد الهيمنة عليها، جزأها وفق المصالح المادية والسياسية، فاندفع في تطوير كل ما يساهم في ملء خزائنه وطرح

---

(1) – أبو داوود، **السنن**، ج٤، ص١١١.

جانبًا تلك الكنوز الروحانية المعنوية والتي لن يكتب له في الأولى النجاح والاستمرار بمعزل عن الثانية، فهذه سنن الكون والطبيعة التي لا تحابي ولا ترحم، فالإسلام منظومة معرفية متكاملة ولا يمكن تجزئتها من قبل مخلوق أيٍ كان، وهذه هي سنن التاريخ التي أقامت إمبراطوريات وأزالتها، ولعل مقولة غوستاف لوبان التي أشرنا إليها سابقاً تبين هذه الحقيقة عندما قال أن العرب قد حاولوا أن يعلموا أوروبا التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، في إشارة لعدم أخذ أوروبا للروافد المعنوية من علوم الأمة.

الأدب الذي يُعد العرب سادته، والذي يلعب الدور الأكبر في التعبير عن بنية المجتمعات بكل ما تنطوي عليه من أفكار وآمال وإشكالات، أعدّته الحركة الصهيونية ليكون حاملاً أساسيا لأيدلوجيتها في معركة التزوير الذي تعرض له تاريخ الأمة، فاستطاع الخطاب الصهيوني أن يقّسم شعوب المنطقة، في ذهنية الشعوب الغربية، إلى مجتمع إسرائيلي- حضاري- متطور- حر ومعطاء، ومجتمع عربي- متخلف- همجي وجاهل. استطاعت الحركة الصهيونية من خلال هذا الحامل تثبيت صورة لليهود الذين غزوا المنطقة من بلدانهم الأوروبية، على أنهم شعب مضطهد ومهدد من قبل العرب الإرهابيين ويحق له الدفاع عن نفسه، ولم يعد الشعب الفلسطيني له حقوق قد سُلبت.

لقد مكنّت الأمة أوروبا من الخروج من عصور الظلام وسطوة الكنيسة،لم يعد لذلك شأن في علاقة الغرب بأمتنا اليوم، إذ جحد الغرب جميل الصنع وتنّكر له. اعتذروا للعالم عن جرائم الفرنجة قبل قرون، ولم نسمع اعتذارًا لأمتنا عمّا لحق بها من تدمير في تلك الحقبة. لا يقر العلم ولا التاريخ بمقولة الأعراق والسلالات التي اختلقوها. أعطوا لأنفسهم صفات خاصة، ميزوا فيها بينهم وبين شعوب العالم، ليصبح الإنسان الذي خرج من مهد الحضارات الإنسانية، من المركز في جزيرة العرب، هو أكثر البشر تخلفاً في أدبياتهم. كل ذلك تم عندما نهضت أوروبا بالعلوم العربية، واليهود الذين كانوا يحفرون الآبار بالعصي، لشدة تخلفهم، أضحوا في أدبيات الغرب شعب الله المختار، ذو السلالة الخاصة التي تنتسب إلى سام بن نوح (ع)، في عملية استخفاف كامل بالعقل البشري. استخدموا شعار اللاسامية كسلاح

إرهابي، يهددون به متى شاءوا، كلما برز أحد الكتاب المنصفين ليكشف زيفهم. أمسى حتى القادة السياسيين في الغرب تحت طائلة التهديد الصهيوني، فنرى الرؤساء الغربيين اليوم يتوددون الواحد تلو الآخر لكسب رضاهم. أخذوا من علوم الأمة ما يؤسس لدنياهم، ونبذوا ما يتعارض مع مصالحهم الدنيوية وخططهم الاستعمارية. لم ترفع الأمة يوماً شعار الأعراق والسلالات، بالرغم من استغلال الغرب لهذا الشعار المزيف، وهي الأولى بهذا الشعار لو تناست مقولة معلّم البشرية النبي محمد (ص) "كلكم لآدم وآدم من تراب"، ولو تناست كلام الله عزّ وجلّ (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)(الحجرات:١٣). فرقوا الأمّة الواحدة عندما اقتضت المصلحة الاستعمارية، فأهدوا الجنس الآري لفارس، ولقد عادوا اليوم يغذون النزعات العنصرية لشعبنا في كردستان وغيره، بغية القضاء على ما تبقى من وحدة.

فلسطين، كانت هي الضحية المباشرة لأدلجة عملية السطو على التاريخ العربي الإسلامي، والتي أُريد لشعبها أن يبقى في الشتات طوال هذه العقود من قبل المزورين والمحرفين. أرّخوا للمنطقة لفترة ما بعد طوفان نوح (ع)، وكأن المنطقة لم يكن لها تاريخ قبل حادثة الطوفان. اتخذوا مدونات التوراة، التي حُرفت بشهادة القرآن في مواضع عديدة، كمصدر أساسي لكتابة التاريخ، وكل ما قبله اعتبروه عصور ما قبل التاريخ. أسقطوا كل التسميات التوراتية لتلك العشائر اليهودية البدوية على المنطقة من الفرات إلى النيل، كان المهم لديهم، أن يوجدوا تاريخا لليهود في المنطقة.

لقد تم العبث بتاريخ الأنبياء (ع) وسلالاتهم، ومناطق دعواتهم، لإكمال مسلسل تزوير التاريخ. في حين حدد القرآن الكريم موضع أمتنا بين الأمم، في قوله تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**)(آل عمران:١١٠)، قاموا بطمس حقيقتها، وحقيقة لغتها وتاريخها عن شعوبهم. فكّوا أساطير المنطقة وصاغوا لهم الأساطير والتراث على أساس وجوهر أساطير الأمة من أجل هزيمتها بها.

كانت لديهم قضية، عُرفت بالمسألة اليهودية، تتلخص في كيفية التخلص من الفائض اليهودي المنبوذ، وخرجت مقولات في الغرب من قبيل أن اليهود شعب بلا أرض، بالرغم من أنهم أوروبيون، فأوجدوا لها حلاً، يحل مشكلة أخرى كانت بادية للعيان، وهي المسألة الشرقية. تداعت الدول الاستعمارية إلى عقد مؤتمر لندن ١٩٠٥م، عندما لاحت في الأفق بوادر نهضة عربية والدولة العثمانية آخذة في الانهيار. فقرروا منع توحّد الأمة، ومنع نهضتها بمجموعة من القرارات الجائرة، كانت لليهود فرصة للتخلص فيها من اضطهاد الغرب المسيحي، فالتقت رغبات مختلف الأطراف. أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها تنفيذ المخطط. اختلقوا مكونات الأمة اليهودية، التي لم يكن لها وجود في يوم من الأيام، لأدلجة المشروع. فزوّروا التاريخ العربي ونسبوه لليهود، اختلقوا لغة بسرقة إحدى اللهجات القبليّة العربيّة البائدة وأسموها اللغة العبرية، واختلقوا خرافات تاريخية عن تراثهم في المنطقة لتمرير الإسقاطات الجغرافية، وليثبتوا حقائق نسفها العلم. نقلوا رحلات الأنبياء من مواقعها في جزيرة العرب، إلى مناطق العراق والشام ليؤسّسوا لاحتلال فلسطين ويشردوا شعبها، فالفشل الذي حطّ على الأمة كأنه من سنين الأبد، عائد في جزء منه إلى تجمد الوعي بسبب التحريف والتزوير في التاريخ.

عملوا بلا كلل على تثبيت هذه الأكاذيب في مناهج التعليم الغربية، وأضحت الحوامل المزورة هي المزود الحقيقي لطلاب الجامعات الغربية بالمعرفة، فمصر التوراتية الواقعة في جزيرة العرب، أضحت هي جمهورية مصر العربية التي نعرفها اليوم، أما آثار عرب وادي النيل، فأمسى إرث الأجداد في الديوان الصهيوني. ظهر ما عُرف بالمؤرخين الجدد في إسرائيل كزئيف هرتسوغ وغيره، فتم حصارهم أدبياً في جامعاتهم ومدارسهم، بعد أن أصبحوا ورطة استراتيجية.

التحريف المتعمد لتاريخنا وتراثنا، لم يدّشن في عصرنا الحاضر، بل كان هذا التزوير حصيلة قرون من العمل الدؤوب من قبل أعداء الأمة، وإن كان للقرنين الأخيرين دور الريادة فيه. هذا التزوير وبعد أنَ أُعيد تدويره ودسّه في مخرجاتنا الثقافية، قد أسس لمستوىً أول من المعلومات، أو بنية تحتية لثقافة الأمة، قامت عليه وتقوم جميع الأنشطة والفعاليات الثقافية، وتكتب الكتب والمقالات.

ولكي لا نبرأ مثقفينا العرب من مسؤوليتهم التاريخية تجاه ما حصل، لابد من التأكيد على أن هذه البنية التحتية الثقافية، قد ساهم في بنائها هؤلاء المثقفين من خلال عمليات النقل التي اعتمدوها عن الكتب الغربية من دون تمحيص وغربلة، فعوضاً عن سعيهم لتنقية كتب التاريخ من التزوير الذي تعرضت له، أصبحوا ينقلون ويرددون ما يكتب في الغرب عن تاريخ الأمة، فتصدر تلك المقولات التي تُستخدم بشكل عفوي في الأدبيات اليومية. فنجد من الأخطاء المترسخة في ثقافتنا، أن اليهود هم "بنو إسرائيل" الذين تحدث عنهم القرآن الكريم، وما هذا إلا أحد الأخطاء الفادحة التي تم الترويج لها من قبل الكثير من الكتّاب العرب، ومن دون وعي منهم، وأضرت كثيرًا، حيث بات الغرب والصهيونية يستخدمونها في حربهم النفسية على أمتنا، بالقول أن القرآن الكريم يقرر لبني إسرائيل تلك الدعاوي التي تُطلق في الغرب عن تاريخ اليهود الحضاري.

ومن المسلّمات التي جردّت الإسلام من عمقه التاريخي، مقولة أن النبي محمداً (ص) هو نبي الإسلام، والنبي عيسى (ع) هو نبي المسيحية، والنبي موسى (ع) هو نبي اليهود، وكأن اللّه عزّ وجلّ قد أرسل رسله بديانات مختلفة، وأسس للمآسي التي عانت منها البشرية، جراء اختلاف الناس حول ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، في حين أن القرآن الكريم قد قرر وحدة هذا الدين بقوله عزّ وجل (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)(البقرة:١٣٦). فالاسلام هو دين اللّه الذي ابتدأ مع آدم الإنسان الأول، وتجريده من هذا العمق التاريخي قد أضر بالأمة وخسرت بسببه البشرية الكثير، وإقرارنا بأن موسى هو نبي اليهود قد أساء لنبي اللّه في غفلة من كُتّابنا، فموسى لم يأتِ باليهودية، وليست هناك آية واحدة في القرآن الكريم تنسب اليهودية للنبي موسى عليه السلام، وتفكيك مدونات التوراة المتناقضة يكشف للباحث زيف هذا الادعاء.

فديانة إبراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم النبي محمد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) هي الإسلام (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ**)(آل عمران:١٩)، وهؤلاء المفترون الذين يعيشون بيننا لم يتشكل دينهم إلا على يد عزرا والكهنة السبعين، الذين قاموا بترجمة

التراث العربي ووضعه في صيغة مقدسة عُرّفت "بالتوراة السبعونية"، ولا علاقة لنبي الله موسى بهم أو أي من الأنبياء كداوود وسليمان (ع) وغيرهم، وهم براء مما نُسب إليهم من أباطيل، كالتي وردت في الأسفار، والتلمود الذي يضج بالاتهامات الرهيبة بحق أنبياء الله العظام. فإن الله لا يبعث رسلاً قتلة أو فاسدين، يفعلون الأفاعيل، كما يقول تلمودهم وأسفارهم، بل يرى أي باحث بكل وضوح، أن تشويه صورة الأنبياء والحط من قدرهم يُعد منهجاً اختطّه اليهود في دعوتهم.[1]

إن عودة الأمة لموقعها الحضاري تتطلب أولا نهضة من المثقفين العرب، تبدأ بتسديد ضربة قاضية لذلك التزوير المتراكم الذي أسس لتلك المسّلمات التي نتداولها كل يوم. إن الصراع مع أعداء الأمة يجب أن يخرج من سياقه الحالي ليأخذ مداده من هذا التاريخ العريق، وحيث أن احتلال الأرض قد بدأ باحتلال التاريخ، فلا بد من تحرير التاريخ بهدم الأرضية المعرفية المزيفة التي أوطأت لاحتلال الأرض.

بتركنا لما عُرف بالروايات الإسرائيلية، أن تبقى في تفاسيرنا، شاركنا نحن ومن دون وعي، في التسويق لمدونات التوراة المزورة، ففي حين يقول القرآن الكريم صراحة، أنهم قد حرفوا الكلم عن مواضعه، وفي حين يجمع المفسرون على التحريف والتزوير الذي اتخذه فريق من اليهود منهجاً، لا نجد كتاباً واحدا من كتب التفسير قد نُقيّ من هذا الدس المغرض، والذي أعطى الشرعية للكثير من الأعمال التي قاموا ويقومون بها ولغاية اليوم. أضحت المنظومة المعرفية للأمة يشوبها الكثير من المعلومات المضللة، فنسمع في كل حين مثقفينا العرب ينطقون بهذا التزوير، على أنه من المسلّمات. في حين كان حرياً بهم القيام لاسترجاع هيبة الأمة، أخذوا يرددون على مسامعنا تاريخنا المزور، الذي تعلموه من كتب الغربيين، بل أخذوا يدرسونه أبناءنا في المدارس. سيجد أي باحث متتبع لهذا التزوير، أن هناك اتهامات قد طالت المؤرخين العرب، كالطبري وغيره، بأنهم قد ساهموا، ومن دون وعي، بإدخال الكثير من المعلومات المضللة لكتبنا. ونحن ننبه هنا، على أن البحث يجب أن يصل إلى جذور هذه المسألة، فمن عَبَث بمخطوطات كتاب العبر لابن خلدون، لن يمنعه العبث بكل مخطوطة تطالها يده، حتى

---

[1] – راجع بحث: **اليهودُ وتوراةُ الكَهَنة**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

ولـو كانـت تفاسـير القـرآن الكـريم، وكيـف لا!!، والقـرآن الكـريم هـو التهديـد الأكـبر للطـامعين في خـيرات الأمـم والشـعوب. لـيس هنـاك إلا حـل واحـد للتعامـل مـع هـذه القضية الحساسة، ألا وهو سنّ منهج علمي لعملية تنقيح كتب التاريخ والتفاسير، قبل إصدار الحكم بجهل مؤرخينا ومفسرينا رحمهم الله.

إن مـا نرمـي إليـه في هـذه الخاتمـة، لـيس توجيـه النقـد للمـثقفين العـرب، وتبيـان تقصيرهم في هذا الأمر وكفى، بل أن يبدأ مفكرونا وبشكل جدي بالمبادرة لنسف هذه القواعد المعرفية القائمة على التزوير والتحريف، فبراءة ذمة هؤلاء المثقفين مرهونة بالبدء بإصلاح هذا الخلل الجوهري من خلال جمع الطاقات العربية، والتي تموج بها الساحة الثقافية، في مشروع نهضوي يرجع هيبة الأمة المختطفة.

نحن مسئولون عن صمتنا على كل ما يُدّرس في الغرب عن أمتنا، ولكي يكون الحل شاملاً، ينبغي لنا مراجعة مناهجنا التعليمية، والتي لا تخلو من المعلومات المضللة لأبنائنا، فالمتابع للمناهج العربية، يراها كذلك مليئة بتلك المسلمات التي تحدثنا عنها، ولقد أوردنا بعض الأمثلة لما يكتبه مثقفونا العرب عن التاريخ العربي، والذي نرى له مصاديق كثيرة في الكتب المدرسية، ومنها تاريخ الحضارات الأولى، كتاريخ عرب وادي النيل، حيث يلاحظ أن تشطير التاريخ لم يقتصر على كتب الغرب، بل وللأسف تعداه لكتبنا ومناهجنا.

الأمر الخطير الآخر الذي بدأت مؤشراته تبرز للعيان، هو هذا السعي المحموم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لتغيير مناهج التعليم العربية، ولعل ما أوردناه خلال البحث عن تغيير المناهج الكويتية يبين حجم ومنحى هذا التغيير واتجاهه، إن ما حذف من هذه المناهج، لهو عزة الأمة وفخرها، وليس للإرهاب علاقة به لا من قريب ولا من بعيد، فما أزالوه من هذه المناهج، يستهدف محو تراثنا. فقد أزيلت دروس في القيم، وأزيلت حقائق تاريخية عن دور الأمة في نهضة الغرب، وأزيلت حقائق عن ديننا وعلاقته بالعلم. إن هذه الجريمة نتحمل مسؤوليتها جميعاً، ولا عذر لمثقف أو مفكر أو مؤرخ، أو مفسر أو أي إنسان عربي، بتركها تمر مرّ السحاب، إنها تعني مستقبل الأجيال القادمة، فنحن من سوف يُلعن، حينما يصحو جيل عربي في يوم ما، ليتساءل أين كان الآباء؟

يسعى الغرب هذه الأيام سعيا حثيثا لتجريدنا من أبسط حقوق الأمم المستقلة، وهو أن نحدد نحن ماذا نتعلم، بعد أن حددوا لنا ماذا نقرأ، وماذا نسمع، وماذا نرى، بهيمنتهم على وسائل الإعلام. إننا بالفعل بحاجة لتغيير الكثير من مناهجنا التعليمية وهذا ما ندعو إليه بقوة، ولكننا ندعو أولاً إلى تنقية مناهج التاريخ "المزور" الذي عملوا على تدويره ودسّه في مخرجاتنا التعليمية بعد استكمالهم السيطرة والدّس في مناهج المدارس والجامعات الغربية.

لقد ساهم بعض المسلمين بكل أسف في إعطاء التبريرات للغرب للسعي بالتدخل في تحديد ماهية مراجعنا والسعي لتغيير ما تحتويه، من خلال الترويج للتفسير المعوّج لآيات القران الكريم، هذا الكتاب الرباني الذي يشكل من أوله إلى آخره رسالة سلام ومحبة وإنسانية وعدل... والتي لو أُحسن بثها لدخل الناس في دين اللّه أفواجاً، ولكن التساؤل الذي يبرز هنا، هل تتحمل الأمة مسؤولية تفسيرات يطلقها أفراد هنا وهناك؟ وإذا كان الأمر كذلك فحري بنا أن نبدأ بالعهد القديم الذي وضع حجر الأساس لمآسي الأمة، نتدارس ونزيل منه ومن مناهجهم تلك المقولات المنسوبة لأنبياء اللّه العظام والتي يخجل المرء من ترديدها.

إن خطابنا التعليمي والثقافي ينبغي أن يركز في هذه المرحلة على إيقاظ ذاكرة الأمة من سباتها، والذي يتطلب العودة إلى أعماق التاريخ بدراسة التاريخ الحقيقي للأمة، ذلك التاريخ الذي يحتوي على تلك المنابع الزكية التي نهلت منها شعوب الأرض قاطبة، والتي إن التفتت إليها الأمة نهضت. ينبغي لنا تمحيص ما تبقى من تراثنا وغربلته بشدة، فقد ثبت بالدليل القاطع للكثير من الباحثين أن هناك عملية اختطاف وتزوير كبرى قد حصلت لتاريخنا العربي الإسلامي.

إن مخرجات النوافذ التعليمية في الغرب والتي شكّلت الصورة التي رسمت عن أمتنا وبينّاها في مقدمة هذا البحث، هي التي أسست للقاعدة الظالمة التي أعطت الشرعية للحكومات الغربية وإسرائيل بفعل كل ما قاموا به لغاية اليوم بحق أمتنا، وبغرس الغدة السرطانية المعروفة بدولة إسرائيل بالإرهاب وسفك الدماء، وأمست هي الدولة المظلومة المُعتدى عليها. هذه المخرجات هي التي ينبغي للأمة أن تقوم

مجتمعة في طلب تصحيحها وتنقيتها من التحريف والتزوير لكل ما ورد فيها من افتراءات وأكاذيب.

لقد جُرِحت الأمّة جرحاً لا تستطيع أن تمحي آثاره كاملاً وهي مجتمعةً، فكيف بها متفرقة، فوحدة الأمة مطلب ضروري لنهضتها، وننبه إلى أن ما خُطط له في أروقة ودهاليز المزورين، لم يستثنِ من العرب أحداً، حاكما أو محكومًا . إن مناهج التعليم في الجامعات الغربية والتي سيطرت عليها الدوائر الصهيونية قد حوّلت تاريخنا المجيد إلى تاريخ بدوي جاهل لأناس يرعون الإبل في الصحراء،و إلى شعب متخلف بلا ماضٍ ولا حاضر، فانسابت هذه الثقافة إلى كافة الشرائح المجتمعية في الغرب، حتى بات ضربنا على الرؤوس أمرًا مبررًا واعتياديًا لشعب مشاغب.

إن خطابنا للشعوب الغربية والإنسان المسيحي بل واليهودي المسكين المُستغفل الذي أصبح مطيّة الصهاينة والمستعمرين يجب أن يكون جلياً واضحا وإنسانياً، بأنها هي نفسها ضحية كحال أمتنا لهذا التزوير والتحريف الذي قام به أعداء الإنسانية، فتعطيل العقل العربي الذي علم البشرية إنما شكّل ولازال يشكّل خسارة عظمى لشعوب الأرض قاطبة، ولا يسعنا هنا إلا أن نشير ونذّكر بمقولة المفكر الفرنسي أناتول فرانس، تلك المقولة التي تعبّر أحسن تعبير عن تلك الحقيقة الغائبة عن وعي الغرب، " إن أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتييه (بلاط الشهداء) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت "شارل مارتل " قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي" . أناتول فرانس هنا يتألم من انتصار قومه على أعدائهم، ويرى بأن فرنسا قد خسرت بسبب عدم دخول العرب المسلمين إليها .

وختاما نقول، إن كان يصعب على الأمة في هذه المرحلة الحرجة والحساسة من تاريخها أن تعمل على تغيير جميع مخرجات هذه النوافذ التعليمية لخضوعها لسيطرة القوى المعادية للأمة، فإن ذلك لا يعفي على أقل تقدير المفكرين والمثقفين العرب من مسئولية البدء في صياغة حلٍ تُدعى له كافة المؤسسات العربية والإسلامية لإنقاذ تاريخ الأمة وإرجاع هيبتها .

من هنا نتوجه إلى أبناء الأمة والمؤسسات المتخصصة للنهوض بمشروعٍ لردم الهوة التي أسست وتؤسس لكل المظالم التي وقعت على أمتنا حتى هذه الساعة، بعملية إصلاح جذرية، تتلخص في عمل جاد لتصحيح هذا التزوير الهائل الذي تعرض له تاريخ الأمة وبالتالي تشويه صورة التاريخ الإنساني:

١- في المنافذ التعليمية في الغرب، ومنها مناهج التعليم في المدارس والجامعات.

٢- في مناهج التعليم العربية، عبر خطوات تبدأ بوقف تدخل الغرب في تغيير المناهج ومن ثم العمل على صياغة مناهج الأمة من جديد، لعرض التاريخ الحقيقي للعرب، لا المزور.

٣- مطالبة المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية بتحمل مسؤولياتها الدينية والتاريخية بتنقية التفاسير من دنّس الإسرائيليات، لما تمثله من ضرر واسع على حاضر ومستقبل الأمة.

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - العربية والمترجمة:

١ . ابن الأثير (أبوالحسن عزالدين)، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ .

٢ . ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبدالحليم)، **مقدمة في أصول التفسير**، ط١ ، الرياض – السعودية: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ .

٣ . ابن جرير الطبري (أبي جعفر محمد)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**/ ضبط صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر،١٤١٥ .

٤ . ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي)، **البداية والنهاية**/ تحقيق علي شيري، ط١ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.

٥ . ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي)، **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٢هـ.

٦ . أبو الفداء (إسماعيل بن علي الدويني)، **المختصر في أخبار البشر**، مصر: المطبعة الحسينية، ١٣٢٥ .

٧ . أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)، **سنن أبي داود**، تحقيق سعيد محمد اللحام، ط١ ، بيروت: دار الفكر، ١٤١٠/ ١٩٩٠ .

٨ . إدارة المناهج، مملكة البحرين، **دراسات في الثقافة الاسلامية للمرحلة الثانوية** (مقرر دين: ٣٢٣).

٩ . الأنبا موسى (أسقف الشباب)، مقابلة، **الأهرام العربي**، ٦ مارس ٢٠٠٤ .

١٠ . بييروسي، **مدينة إيزيس**: التاريخ الحقيقي للعرب/ ترجمة فريد جحا، ط٣، دمشق: دار البشائر، ١٩٩٦ .

١١ . جـارودي (روجيـه)، "الأسـاطير المؤسسـة للسياسـة الإسـرائيلية"،**صـحيفة تايم**،٢١يونيو/حزيران١٩٧٦ .

١٢ . الجزائـري (السـيد نعمـة الله)، **قصـص الأنبيـاء**، ط٨، بـيروت: مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعات، ١٣٩٨/ ١٩٧٨ .

١٣ . جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **الأسطورة توثيق حضاري**.

١٤ . جمعيـة التجديـد الثقافيـة الاجتماعيـة، **اللِّسـان العربـي - بُعـد فطـري وارتبـاط كوني**.

١٥ . جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **اليهود وتوراة الكهنة**.

١٦ . جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **طوفان نوح - بين الحقيقة والأوهام**.

١٧ . جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **معجزة اللغة العربية**.

١٨ . جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، **نداء السراة — اختطاف جغرافيا الأنبياء**.

١٩ . الجندي (أنور)، **المخططات التلمودية**، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧ .

٢٠ . الجندي (أنور)، **مقدمات العلوم والمناهج**، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧ .

٢١ . الحجار (وليد)، **رحلة النيلوفر أو آخر الأمويين**، ط٢، ١٩٨٤ .

٢٢ . حمـوي (حسـين)، "هـل الـذاكرة العربيـة مهددة؟!" **جريـدة الأسـبوع الأدبـي**، العـدد ٨٦١ ، ٢٠٠٣/٦/٧ .

٢٣ . داوود (أحمـد)، **العـرب والسـاميون والعبرانيـون وبنـو إسـرائيل واليهـود**، ط١، دمشق: دار المستقبل، ١٩٩١ .

٢٤ . داوود (أحمـد)، **تـاريخ سـوريا الحضـاري القـديم**-١ المركـز، ط٢، دمشـق: مطبعـة الكاتب العربي، ١٩٩٧ .

٢٥ . داوود (أحمـد)، **تـاريخ سـوريا القـديم**- تصـحيح وتحريـر، ط٣، منشـورات دار الصفدي، دمشق، ٢٠٠٣ .

٢٦ . دوائر وهيئات صهيونية تحـرض مثقفـي العـالم علـى مقاطعـة مركـز زايـد، **جريـدة الوطن السعودية**، ٣سبتمبر ٢٠٠٢م.

٢٧ . ديورانت (ول وايريل)، **قصـة الحضـارة**/ ترجمـة زكـي نجيـب محمـود، ط١، بـيروت: دار الجيل، ١٤١٢/ ١٩٩٢ .

٢٨. رئيس التحرير، "صورتنا في الغرب .. مسئولية من؟" **مجلة العربي** (الكويت)- العدد ٥٥٤، السبت ٢١/ ١١/ ١٤٢٥- ١ يناير ٢٠٠٥.

٢٩. ربيع (أمال)، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢.

٣٠. ربيع (أمال)، **جريدة البيان الإماراتية**، الاثنين، ٢١ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ٨ مارس ١٩٩٩.

٣١. رومانسكي، إلينا،(مسئولة برامج مبادرة الشراكة الأمريكية - الشرق أوسطية)، تصريح، **الوطن القطرية**، ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣.

٣٢. الريشهري (محمدي)، **ميزان الحكمة**، ط١[منقحة]، قم: دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٣٣. زهر الدين (صالح)، "الدين والتاريخ والمياه والثقافة وغيرها: مخاطر المشروع الصهيوني على العرب والمسلمين.. احتلال العقل اسوأ الاحتلالات"، دورية "**باحث**"، بيروت، العدد صفر ٢٠٠٢.

٣٤. سويد (ياسين)، تزوير التوراة، **جريدة الاتحاد**، الأربعاء ٢٠٠٠/٣/٨.

٣٥. صلاح (محمد)، **جريدة الحياة** (القاهرة)، ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٤.

٣٦. الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسن)، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق أحمد العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩.

٣٧. عاشور (سعيد)، **المدنية الإسلامية واثر ها في الحضارة الأوربية**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٣.

٣٨. عبد الخالق (محمد)، "هل نلقي بالطبري في البحر أم يستمر صمت الأزهر والعلماء؟!" تحقيق، **الأهرام العربي**، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢ العدد ٢٩٧ السنة ١٢٣.

٣٩. الفنجري (أحمد شوقي)، **تاريخ العلوم الاسلامية من الصفر حتى قمة الحضارة**، ط١، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم والبحث العلمي، ١٩٨٥، (سلسلة الكتب العلمية.)

٤٠. الفيض الكاشاني (محمد محسن)، **الأصفي في تفسير القرآن**، ط١، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ١٤١٨هـ.

٤١. قدوري (زبير سلطان)، "البعد الآخر للغزو الأمريكي على العراق"، **جريدة الأسبوع الأدبي**، العدد ٩٢٠ تاريخ ٢٠٠٤/٨/٢١.

٤٢ . القمي (محمد تقي) "محنة التراث الخالد على أيدي أهل الجديد"، **مجلة رسالة الإسلام**، العدد ١٦ .

٤٣ . المتّقي الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين)، **كنز العمال/** تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٤ . المسعودي (**أبو الحسن علي بن الحسين بن علي**)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر/** تحقيق شارل بلا، ط١، الناشر: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٩ .

٤٥ . النسائي (أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب)، **السنن الكبرى/** تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد كسروي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١/ ١٩٩١ .

ثانياً – الانترنيت:

١ . ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، www.al-eman.com

٢ . أبو ناصر (عدنان)، **رؤية ذرائعية للهيمنة على المنطقة**،

http://www.tajamo.org.

٣. أبي الفداء (إسماعيل بن علي الدويني)، **تاريخ أبي الفداء**،

www.al-eman.com

٤ . أرمسترونغ (كارين(، الحرب المقدسة... الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم: www.aljazeera.net.

٥ . البلوشي (عبد الحكيم)، **الجوهر المنقوش لتاريخ البلوش**،

http://www.albloushi.net

٦. بيير روسي، **مقدمة دراسة التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**، لنزيه الشوفي، www.awu-dam.org.

٧. تولان (جون ف)، "الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون الوسطي"، العرب،**جريدة البيان الاماراتية**، الاثنين ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ ٢٩ يوليو٢٠٠٢ –العدد ٢٢١:

http://www.albayan.co.ae/albayan/book/2002/issue221/foriegnlib/1.htm

٨. جارودي (روجيه)، **الإسلام في الغرب - قرطبة عاصمة العلوم والفكر**.

٩. حايك (حسني إبراهيم)، **الإرهاب الأمريكي البداية والنهاية**:

http://minshawi.com/other/usa-terrorist.htm .

١٠ . الخالدي (وليد)، من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي، (الحياة ١٩٩٧/٨/٢٩)، www.daralhayat.com

١١ . خشيم (علي فهمي) "الفرعونية " أكذوبة كبرى والحضارة المصرية القديمة تكونت من مهاجرين عرب وليبيين" **الشرق الأوسط**:

http://www.al-sham.net/home/modules.php?name=News&file=print&sid=248

١٢ . خليف (بشار)، **المؤرخون الجدد في إسرائيل**:

http://www.souriana.com/modules/news/article.php?storyid=2646

١٣ . الربيع (أمال)، **لقاء**، منشور على إسلام ويب، الأحد :٢٠٠٣/٠١/٢٦

www.islamweb.net.

١٤. زعتري (علاء الدين)، **العولمة واللغة العربية** - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، تنظيم كلية الدعوة الإسلامية - بيروت، الفترة ٢٦و٢٧/محرم/١٤٢٣هـ - ٨و٩/نيسان/٢٠٠٢م:

http://www.alzatari.org/motamarat/٦.htm

١٥ . سرية (صالح عبد الله)، **تعليم العرب في إسرائيل**،

http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/٩/page٣.html

١٦ . **سفر التكوين**، ترجمة دار الكتاب المقدس الدولية:

http://www.ibs.org/bibles/arabic

١٧ . **سقطات الكتبة حول فلسطين**، موقع: www.falastiny.net.

١٨ . سلطان (حامد)، **المشكلات القانونية المتفرعة عن قضية فلسطين**، عن وثائق صادرة في الفترة بين ١٨٩٥-١٩١٦، موقع السلطة الوطنية الفلسطينية:

nakba.sis.gov.ps.

١٩ . سـليم (غـادة)، **دنيـا الإتحـاد**، العـدد (٩٥٠٩)، موقـع **مجلـة النبـأ** http://www.annabaa.org/nba٦١/hasad.htm.

٢٠ . سوسة (أحمد)، **مفصل العرب واليهود في التاريخ**،

http://www.darislam.com/home/alfekr/data/feker٤/٣.htm .

٢١ . سويد (ياسين)، **تزوير التوراة**،

http://aloma.2islam.com/lies.htm

، http://www.aqsa-mubarak.org/?cat_id=74&page_

٢٢ . سويد (ياسين)، **الثقافة الصهيونية وتزوير التاريخ**، مجلة الفكر السياسي. موقع: اتحاد الكتاب العرب، www.awu-dam.org/politic

٢٣ . شقير (إيمان شمص)، **ملامح مشوهة تتجدد**:

http://www.elsohof.com/index.html.

٢٤ . صالح (أحمد نجيب بن عبد الله)، **الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري** "من سـورة الفاتحـة إلى آخـر سـورة الإسـراء"، الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة: http://www.iu.edu.sa/arabic/daleel/rasail/Browse/quran/tafsir/munakash/index.h

٢٥ . صالح (محسن محمد)، خلفيات ظهور القضية الفلسطينية في التاريخ الحديث حتى ١٩١٤م، موقع: http://www.altareekh.com.

٢٦ . الطباطبائي (وليد)، مناهجنا تسلخ...، تصريح، **الوطن الكويتية**، الجمعة ٢٠٠٤/١٠/٢٢. http://www.alwatan.com.kw.

٢٧ . علي (وليد محمد)، **صهيونية الخزر وصراع الحضارات - الحلقة الرابعة**، الثلاثاء، ٢٤ حزيران (يونيو) ٢٠٠٣،

http://www.falasteen.com/article.php٣?id_article=103

٢٨ . فرانس (أناتول)، **الحياة الجميلة**:

bafree.net/forum/archive/-21249.htm .

٢٩. قناة الجزيرة: www.aljazeera.net.

٣٠. كحالة (عمر)، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، موقع الورّاق

:http://www.alwaraq.com.

٣١. المحرر المحلي، "المبالغة في حذف مواضيع من منهجي التربية الإسلامية واللغة العربية"، **الوطن الكويتية**، الجمعة ٢٢/١٠/٢٠٠٤.

http://www.alwatan.com.kw.

٣٢. منصور (ماهر)، **الأدب الصهيوني من تشويه الصورة إلى تزييف الحقائق**: /science/science.htm١٤٥http://www.an-nour.com/old/

٣٣. مورو (محمد)، **إسرائيل طليعة استعمارية أم طبيعة دينية**

؛http://www.albayan-magazine.com/intifadah/intifadah-30/int-30-02.htm

٣٤. موسوعة مقاتل من الصحراء http://www.moqatel.com.

٣٥. هذه الصورة كيف نغيرها؟!:

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/files7.htm.

٣٦. ياسين (عبد الجواد)، **التنصيص السياسي في العصر الأموي من كتاب السلطة في الإسلام**، موقع الأمل المشرق:

http://216,221,185,71./index2.html .

٣٧. الدالاتي (عبد المعطي)، **حضارتنا في عيون الغربيين**:

http://www.aljannahway.com/www/news.php?action=view&id=٢٠٣٠&s =632c2175dffd97f44463967f2cdf3c52

٣٨. الربيعي (فالح)، **القصة القرآنية والإسرائيليات**، موقع بلاغ:

www.balagh.com.

٣٩. السعد (جودت)، **الصهيونية وتشويه التراث العربي**،

http://www.aqsa-mubarak.org/?cat_id=74&page_id=287

٤٠ . الصرامي (ناصر صالح)، "انتبه: الموسوعة البريطانية.. تمارس التزوير"، الاثنين ١٦/ ٢/٢٠٠٤، **منتدى الكتاب**، جريدة الرياض السعودية، writers.alriyadh.com.sa

٤١ . الطويل (توفيق)، **في تراثنا العربي الإسلامي**:

www.alasfoor.dk/articles/derasah_1

٤٢ . الطيار (مساعد بن سليمان)، **تفسير الصحابة للقرآن** - الحلقة الثانية:

www.quranway.net.

٤٣ . العدوي (خميس)، **المنهج في قصص الأنبياء** ج٢، مكتبة الندوة العامة: www.alnadwa.net.

٤٤ . العلوي (مجتبى)، "صكوك الغفران"، **مجلة النبأ**، العدد ٤٥ :

http://www.annabaa.org/nba45/hroobsalebee.htm

٤٥. العودة (سلمان بن فهد) " **الإسلام والعلم المادي**":

http://www.suhuf.net.sa/2004jaz/feb/15/ar2.htm .

٤٦ . الفرحان (إسحق)، **أثر تغيير المناهج على هوية الأمة**، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة- ٢٠٠٤/٠٢/١٨ : www.aljazeera.net.

٤٧ . القلقشندي (أحمد بن علي)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**،

www.al-eman.com

٤٨ . القوصي (محمد رفيق)، **الوحدة العربية هاجس يؤرق ما يسمى (إسرائيل)**، www.falastiny.net/policy/soundpal/108.htm

٤٩ . اللقاني (أحمد حسين)، **ملف فلسطين أرض اليهود ولا أحد ينازعهم**،

www.al-mostaqbal.com/mostaqbal159/files/files٣.htm.

٥٠ . المرصفي (سعد)، **معالم النصر على اليهود**،

http://www.al-eman.net/Islamlib/viewchp.asp?BID=274&CID=٦

٥١ . **المسيحية المتهودة، والمسيحيون الغربيون المتصهينون**،

www.falastiny.net.

٥٢ . المسيري (عبدالوهاب)، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مقابلة في قناة الجزيرة، www.aljazeera.net .

٥٣. الهيئـة العامـة للاسـتعلامات، وزارة الإرشـاد القـومي، **وثـائق فلسـطينية**، الجـزء الأول، القاهرة، آب / أغسطس ١٩٦٩ .الموقع: http://www.moqatel.com.

٥٤. الوهيبي (خالد بن مبارك)، موقع الأمل المشرق: ٧١, ١٨٥, ٢٢١, ٢١٦.

٥٥. الشويخ (نزيه)، **التلفيق الصهيوني واغتيال التاريخ**، www.awu-dam.org.

56. http://quran.alislam.com//Tafseer/DispTafsser.asp?l=arb&taf=KORTOBY&nType١=nSora=10& nAya=87id=288

ثالثاً - الإلكترونية:

أ - القرآن:

١ – سيمافور للتقنية، **مصحف النور للنشر المكتبي**، الإصدار الثاني، الرياض: المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.

ب - التوراة:

1- Rick Meyers,E-Sword, Ver 7.1.0,2000-2004, http://www.e-sword.net

2-Online Bible Millennium Edition. Version: 1.11.90, Mar 28, 2002, http://www.onlinebible.net ./

ج – أقراص مدمجة:

١ – مركز المعجم الفقهي، **برنامج المعجم**، الإصدار الثالث، قم المقدسة، ١٤٢١هـ.

٢ – مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، **المكتبة الألفية للسنة النبوية**،الإصدار ١,٥، الأردن (عمان): مركز التراث، ١٤١٩/ ١٩٩٩.

فهرست المحتويات

سلسلة عندما نطق السراة

١. مفاتح القرآن والعقل.

٢. التوحيد - عقيدة الأمة منذ آدم.

٣. الأسطورة ... توثيق حضاري.

٤. الخلق الأول ... كما بدأكم تعودون.

٥. وعصى آدم ... الحقيقة دون قناع.

٦. بين آدمين ... آدم الإنسان وآدم الرسول.

٧. نداء السراة ... اختطاف جغرافيا الأنبياء.

٨. طوفان نوح ... بين الحقيقة والأوهام.

٩. مسخ الصورة ... سرقة وتحريف تراث الأمة.

١٠. اللسان العربي ... بعد فطري وارتباط كوني.

١١. جنة آدم ... تحت أقدام السراة.

١٢. ليلة القدر ... عيد الخليقة.

١٣. اليهود وتوراة الكهنة.

مَسخ الصُّورَة

سرقة وتحريف تراث الأمّة

كانت لدى الغرب قضية، عُرفت بالمسألة اليهودية، تتلخص في كيفية التخلص من الفائض اليهودي المنبوذ، وخرجت مقولات في الغرب من قبيل أن اليهود شعب بلا أرض، بالرغم من أنهم أوروبيون، فأوجدوا لها حلاً، يحل مشكلة أخرى كانت بادية للعيان، وهي المسألة الشرقية. تداعت الدول الاستعمارية للاجتماع والاتفاق، عندما لاحت في الأفق بوادر نهضة عربية والدولة العثمانية آخذة في الانهيار. فقرروا منع توحّد الأمة، ومنع نهضتها بمجموعة من القرارات الجائرة، كانت لليهود فرصة للتخلص فيها من اضطهاد الغرب المسيحي، فالتقت رغبات مختلف الأطراف.

أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها تنفيذ أهم هذه القرارات وهي غرس دولة لليهود في خاصرة الأمة، فاختلقوا مكونات الأمة اليهودية، التي لم يكن لها وجود في يوم من الأيام، لأدلجة المشروع. فزوّروا التاريخ العربي ونسبوه لليهود، اختلقوا لغة بسرقة إحدى اللهجات القبليّة العربيّة البائدة وأسموها اللغة العبرية، واختلقوا خرافات تاريخية عن تراثهم في المنطقة لتمرير الإسقاطات الجغرافية، وليثبتوا حقائق نسفها العلم. أُقحم الدين والتاريخ للسيطرة على عقول الناس، ومن أجل إعمار دنيا المزورين، أُدخل الأنبياء عليهم السلام في أتون معركة كانوا من أشد المحذرين منها، نقلوا رحلات الأنبياء من مواقعها في جزيرة العرب إلى مناطق العراق والشام ليؤسّسوا لاحتلال فلسطين ويشردوا شعبها، فساهم هذا التزوير والتحريف الذي تعرض له تاريخ الأمة في مسخ صورة العربي والمسلم في الثقافة الغربية.

جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية
Altajdeed Cultural & Social Society
نحو منهاج إصلاحي جديد